

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي :

رقم التسجيل : DL /05 / 14

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتور في العلوم

تداولية الخطاب في الأمثال النبوية " صحيح البخاري أنموذجا "

تخصص : الأدب العربي

شعبة : الأدب العربي

من إعداد : معزوز فاطمة الزهراء

تاريخ المناقشة :/...../.....

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة :

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة	الصفة
1				رئيسا
2	مجناح جمال	أستاذ	جامعة المسيلة	مشرفا و مقرا
3				ممتحنا
4				ممتحنا
5				ممتحنا
6				ممتحنا

السنة الجامعية : 2021 / 2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

إلهنا الشكر قيدا للنعمة، وسببا في زيادة الرحمة، فإني أشكر الله عز وجل

وأشكره على ما أولاني من كرمه وفضله ويسر في طلب العلم ومهد لي سبيله.

ثم إنني أرفع خالص شكري وفائق تقديري إلى الأستاذ المتصرف الأستاذ الدكتور مجناح

جمال الذي لم يدخل على بوقه وخبرته وتوجيهه.

وأشكر أعضاء هيئة المناقشة على تفضلهم لمناقشة هذا البحث وقد أفضى قسطا علينا من وقتهم.

كما أشكر كل من أسرى إلى نصحا أو أبرى لي رأيا أو رؤية أو أعانني في شيء مما قل أو

أكثر.

لقد كانت اللغة ولا زالت مدار اشتغال الباحثين في شتى التخصصات باعتبار طبيعتها التواصلية، لذلك اهتمت اللسانيات منذ نشأتها بدراسة اللغة ووصفها بمختلف المناهج والوسائل، و هذا ما تجلى في التيار التداولي الذي اهتم بكيفية استخدام العلامات اللغوية، و كذلك البحث عن عوامل تجعل من الخطاب عملية تواصلية، حيث كان لتداوليته دورا جليا في اهتمامها باللغة وعلاقة الدرس اللغوي بمستعمليه.

كما كان للرسول ﷺ دورا مهما في تبليغ الرسالة، حيث خصه الله سبحانه وتعالى بكمال الفصاحة، وأنطقه بجوامع الكلم، وأتاه بحكمته أسرار البلاغة وفصل الخطاب، وخص السعادة الأبدية بمقتضى آثاره.

من هنا ارتأينا أن يكون الخطاب النبوي مرتعا خصبا للبحث التداولي، فكان عنوان بحثنا " الأمثال النبوية في صحيح البخاري دراسة تداولية".

ويكون هدفنا من هذه الدراسة أن نستفيد من النظريات الحديثة وذلك رغبة منا لإعادة قراءة هذه النصوص التراثية بأدوات قرائية جديدة، تجمع بين ما أبدعه الفكر الغربي وما توصل إليه بعض اللسانيين من العرب القدامى و المحدثين من نتائج و جهود لا تنكر في هذا المجال ونتجاوز الدراسات الكلاسيكية التي كان جل اهتمامها بالرواية والرواة في الشكل والمحتوى البلاغي في المضمون.

وقد اختيرت مدونة الأمثال النبوية لما فيها من قوة حجاجية اقناعية كبيرة أدى إلى انتشارها وتداولها بين عامة المسلمين، كما أن الخطاب في الأمثال يمتاز ببنائه اللغوي المشحون بالسماوات التواصلية والتداولية، وهذا ما يجعل منه نصا تتفاعل معه العقول والعواطف، وتتجدد بتجدد استجابة القارئ عبر الأمكنة والأزمنة.

وحاولت في هذا البحث الإجابة على الكثير من التساؤلات، لعل أبرزها:

- ما هي الآليات التداولية التي استعملها الرسول ﷺ في التبليغ؟
- ما هي ماهية الأمثال النبوية في التلفظ والاستعمال اللغوي، وما هو أثرها التداولي في الخطاب؟
- ما هي قيمة المثل النبوي حين يكون معزولا عن السياق، وقيمه التداولية حين يندمج في سياق ما؟
- هل يمكن أن تعتبر الأمثال طريقة مبدعة ومقنعة في التواصل؟ وإلى أي قانون من قوانين الخطاب يخضع استحضار الأمثال النبوية في المناسبات المتعددة؟
- كيف يمكننا استثمار الإشارات باعتبارها آلية من آليات التحليل اللساني في فهم الرموز اللغوية لخطابات الرسول ﷺ وتأويلها تأويلا مناسبا؟ وما مدى نجاعة هذه التقنية في استجلاء مقاصد المتكلم؟ وإلى أي مدى أسهمت هذه الروابط الإحالية في تحقيق انسجام هذه الخطابات وترابطها؟
- ما مفهوم الحجاج؟ وما أهم الخصائص الحجاجية في المثل النبوي؟ وعبر ماذا تظهر هذه الخصائص؟
- فيم تتمثل الآليات الحجاجية التي وظفها الرسول ﷺ في أمثال صحيح البخاري؟

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكاليات وغيرها، ارتأيت أن تكون دراستي نظرية وتطبيقية موزعة على ثلاثة فصول زائد فصل تمهيدي ومقدمة وخاتمة تضمنتها أهم النتائج.

تناولت في التمهيد كلا من مفهوم التداولية ومفهوم النص والخطاب والتعريف بمدونة صحيح البخاري وصاحبها. وقد تلا هذا التمهيد والمقدمة ثلاثة فصول:

عنوان الفصل الأول: الأمثال النبوية في صحيح البخاري. حيث تضمن مفهوم المثل في اللغة والاصطلاح وأغراض الأمثال وأهميتها وأنواعها، كما تناولنا فيه مؤلفات الأمثال النبوية ونصوص الأمثال المرسلة والقياسية في صحيح البخاري.

أما عنوان الفصل الثاني فكان: تداولية الإشارات في الأمثال النبوية (قراءة في السياق

" ب "

(والإشارات)

وتناولنا فيه: مفهوم الإشارات وأنواعها و السياق في الأمثال النبوية والإشارات في الأمثال النبوية.

وقد والى هذا الفصل فصل ثالث تحت عنوان: تداولية الحجاج في الأمثال النبوية.

تناولنا فيه مفهوم مصطلح الحجاج، والحجاج من وجهة نظر المدارس اللسانية الغربية "كبيرلمان وتيتيكا" في نظرية البلاغة الجديدة، و"ديكرو" في نظرية الحجاج في اللغة، كما تناولنا الحجاج عند العرب القدماء والمحدثين، أما الجزء الثاني فهو جزء تطبيقي سعينا فيه إلى استخراج أهم تجليات الحجاج في الأمثال النبوية ووقفنا على حاجية أفعال الكلام في الأمثال النبوية.

وأنهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيها جملة النتائج التي توصلنا إليها.

وإن بحثنا لا يزعم سبق في هذا المجال، بل له مصادر ومراجع معرفية اعتمد عليها، فهو تكملة لما سبق وتوضيح لما لحق، وعلى سبيل الذكر لا الحصر نذكر فيما استعنا به، بالإضافة إلى المصدر الأساسي "صحيح البخاري" وأهم شروحاته مثل فتح الباري للعسقلاني و "مجمع الأمثال للميداني"، الأمثال في القرآن "لابن قيم الجوزية" و "تسيح النص للأزهر الزناد" "اللسان والميزان لطفه عبد الرحمن"، "معاني النحو للسامرائي"، "استراتيجيات الخطاب للشهري" المقاربة التداولية "لفرنسواز آرمينكو".

كما استقدنا من بعض الرسائل الجامعية التي سبقت بحثنا هذا مثل: " وجوه البيان في أمثال القرآن لسميرة عدلي رزق والأمثال النبوية في الكتب الستة و موطأ مالك لمروان عبد الله... وغيرها.

ومع العلم أن أي بحث لا يخلو من الصعوبات في مسيرته وصيرورته فإن من أبرز ما واجهنا:

- أولاً: صعوبة النظرية فهي لم تتبلور بعد بشكل جلي في فكرنا العربي بعد وقلة المراجع المتخصصة حولها خاصة في الجانب التطبيقي.

"ج"

- ثانياً: كون مدونتنا مدونة مستفيضة حيث تقف على جميع الأشكال البلاغية بكل تفاصيلها مما أدى بنا إلى أخذ وقت طويل من أجل استيعابها ودراستها

- ولعل أكبر صعوبة واجهتني أيضاً هي الخوض في مجال الحديث النبوي الشريف كونه نصاً مقدساً، وارتباطه بشخص الرسول ﷺ مما ينتج عنه حساسية خاصة ورهبة تترك الدارس وتجعله أكثر تردداً في إصدار الأحكام، ولكنني خضت التجربة دون أن أقحم نفسي في المسائل الفقهية والتشريعية - إلا إذا استدعت الضرورة - مكتفية بالمقاربة النصية للمثل النبوي.

وفي الأخير لا نزعم أننا بلغنا الكمال في هذه الدراسة ولكن ما نود التنويه إليه أننا بذلنا جهداً في هذا المضمار، فإن وفقنا فمن الله وإذا لم نوفق فمن قلة باعنا وقصور أنفسنا.

وختاماً كلمة لأصحاب الفضل: أستاذي الدكتور جمال مجناح الذي أمدني بنصائحه وكنفني بعلمه وتوجيهاته لأنجز هذا العمل تحت إشرافه طيلة هذه المدة، فشكراً على سعة صبره وسمو خلقه،

كما أشكر رئيس القسم المساعد المكلف بالبحث العلمي الدكتور " بن صالح " الذي سدد لي بعض النصائح أضاءت جزءاً من عتمات هذا الدرب،

وشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث أو قدم لي رأياً أو رؤياً من قريب أو بعيد.

ولله الفضل والمنة من قبل ومن بعد.

الفصل التمهيدي

1- توصيفات المنهج التداولي

- تحديد مفهوم التداولية لغة و اصطلاحا
- التداولية

2- عرض لمفهومي النص و الخطاب و العلاقة بينهما

- مفهوم النص لغة و اصطلاحا
- مفهوم الخطاب لغة و اصطلاحا
- بين النص و الخطاب

3- التعريف بالمدونة و سبب اختيارها

- التعريف بالمدونة
- سبب اختيارها

I- التداولية: المفهوم و المصطلح :

تُعد اللغة الأسلوب الأمثل و الطريقة الأكثر إفصاحا في تشكيل أي حدث تخاطبي، قادر على إنجاز فعل يتسم بكفاءة التواصل المطلوب، و قد أشغلت اللغة الإنسان منذ الأزل في أصلها وطبيعتها، هل هي نظام ترميزي صوري أم بنية ذات طبيعة وظيفية؟ و هل تكفي البنية اللغوية المجردة وحدها في تحقيق هدف الحدث اللغوي؟ ونعني به التواصل الكامل بين الأطراف المتخاطبة. أم أننا بحاجة إلى أدوات و آليات أخرى تتضافر و اللغة من أجل تحقيق عملية تواصل ناجحة و مكتملة بين طرفي الخطاب؟ «إن طبيعة اشتغال اللغة يعد أمرا معقدا، كونه يعمل على تحويل المرجع أو الشيء المادي إلى رمز لغوي، و تحويل المجرد من الفكر أو المشاعري إلى مادي محسوس عبر الجمل أو الأصوات التي تحتوي ذلك الفكر أو تلك المشاعر ملفوظة أو منطوقة و بالرغم من كونها غير قابلة للاختزال في منظومة إشارية مهما كانت تلك المنظومة معبرة، ويجعل من التواصل بها يحتاج لمؤازرة غير اللغوي مما يقع في حقل العمليات الاستدلالية التي يتطلبها الفهم، فالبحث عن المعنى لا يقتصر على الإنتاج و التأويل في البنية اللغوية المجردة ... لأن ذلك لن يتيح لعملية الفهم أن تستكمل مداها إلا من خلال سياق تتضافر فيه عوامل غير لسانية، و تلعب فيه استراتيجية المؤول و من يخاطبهم دورا في تحقيق هدف الحدث اللغوي الكامل»⁽¹⁾

فالبنية اللغوية المجردة وحدها لا تكفي في البحث عن المعنى، و عملية الفهم بحاجة إلى سياق موسع (سياق تداولي) يضم عوامل لسانية و أخرى غير لسانية تتفاعل فيها الظروف التي تكتنف المرسل و المخاطبين معا و ذلك بدراسة الأحوال المتعلقة بعملية الإنجاز اللغوية-السياقية بكل ما تحمله مفردة السياق من اشتباكات زمانية و مكانية و ظروف عامة و خاصة وايديولوجيات ... و غيرها.

و قد توالى النظريات اللغوية و الفلسفية على الخطابات و النصوص تباعا، و ما تلبث أن تتحسر نظرية ما في اللغة حتى تحل أخرى محلها، و عيب هذه النظريات- التي سبقت المقاربة التداولية- أنها سجنّت اللغة و النصوص و الخطابات اللغوية داخل حدود البنية الصورية مهملة بذلك تفاعلها الحيوي مع الحياة و مرجعياتها. « و بالرغم من أن اللغة

1- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي و النقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012م، ص10.

الطبيعية هي مادة الخطاب في الغالب، إلا أن استعمالها هو الذي يخرجها من حالة السكون، فما يتم التبادل به ليس اللغة وفق مصطلح "سوسور" بل الخطاب الذي يستلهم المعنى من الخارج أي من السوق اللغوي، وبالتالي يكتسب هذا الخطاب قيمة رمزية تنبع من التجارب الفردية ومن التضمين و الإيحاء حينئذ يبني التواصل بين المتحدثين كونهم الممثلين الاجتماعيين على مبدأ الحوارية و تعدد الأصوات»⁽¹⁾.

نفهم من هذا الكلام أن الخطابات الإنسانية ذات طبيعة اجتماعية و نفسية و خاضعة لقوى خارجية تؤثر في الإلقاء و التلقي، و بالتالي في عمليتي الفهم و الإفهام، لذلك ما لبث اللسانيون أن وجدوا أنفسهم عاجزين عن إدراك مقاصد المتكلم و استجابة المتلقي في ظل إقصاء البنيوية لملايسات السياق و مقام الكلام الذي أنتج فيه، و تعذر عليهم الإجابة على بعض الأسئلة من مثل: من هو المتكلم الحقيقي؟ إلى من يتوجه بالكلام؟ كيف يتلفظ بشيء و هو يريد شيئاً آخر؟ وكيف يفهم المتلقي هذا القصد الذي أراده المتكلم؟ ... فكانت هذه الإشكاليات و القضايا موضوعات لحقل جديد عرف بالتداولية.

لقد تجاوزت التداولية المفاهيم اللسانية التقليدية التي تبنت دراسة اللغة كنظام لساني يدرس في ذاته و لذاته إلى دراستها كنظام للتواصل الفعال ممثلاً في دراسة أفعال الكلام و أشكال الإقناع و شروط تحقيق الخطاب الإقناعي و الحجاجي و تحليل مختلف الخطابات مركزة على المقام الذي تحدث فيه تلك الخطابات، و علاقة العلامات اللغوية و غير اللغوية بمستعملها فما المقصود بالمقاربة التداولية؟ و ما هي أبرز مفاهيمها؟

I-1- التداولية في اللغة:

يعود المفهوم المعجمي للتداولية إلى الجذر اللغوي "د.و.ل" فقد ورد في معجم مقاييس اللغة أن: الدال و الواو و اللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، و الآخر يدل على ضعف و استرخاء. فأما الأول فقال أهل اللغة: إندال القوم: إذا تحولوا من مكان إلى مكان، و من هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم إلى بعض، و الدولة و الدولة لغتان، و يقال بل: الدولة في المال و الدولة في الحرب، و إنما

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص25.

سمياً بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك و من ذاك إلى هذا. (1)

و أما الأصل الآخر فالدَّوِيل من النبت ما يبس لعامه، قال أبو زيد: دَال الثوب: إذا بلي (.....) يدول أي: يبلى، و من هذا الباب، أندال بطنه أي استرخى. (2)

وورد في لسان العرب: "أن" الدَّوَلَة و الدَّوَلَة: "العقبة في المال و الحرب سواء و قيل الدَّوَلَة بالضم في المال و الدَّوَلَة بالفتح في الحرب... و الدولة: الانتقال من حال الشدة إلى حال الرخاء.. و تداولنا الأمر أخذناه بالدول .. و تداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة. (3)

و جاء في أساس البلاغة للزمخشري: دَالَت له الدَّوَلَة، و دَلَّت الأيام لكذا و أدال الله بني فلان من عدوهم، و جعل الكَرَّة لهم عليه... و الله يداول الأيام بين الناس مرة لهم و مرة عليهم. (4)

و داوَل الله الأيام بين الناس، أدارها و صرفها، كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ آل عمران: [140] أي تُدِيل عليكم الأعداء تارة، و إن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة كما أشار ابن كثير: «يأتي الألم و الفرح تارة عليكم فيكون الأعداء غالبين، و تارة تكون لكم الغلبة، لكن النصر الأخير للمؤمنين». (5)

1- أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، كتاب الدال، مادة (د.و.ل)، تحقيق: عبد السلام محمود هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م، ص314.

2- أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا، المرجع نفسه، ص315.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصص)، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: عبد الله علي الكبير و آخرون، د.ط، د.ت، مادة دول، ص4155.

4- محمد ابن عمر أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص303.

5- ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، اختصره: أحمد بن شعبان، و محمد بن عبادي، مكتبة الصفا، ميدان الأزهر، مصر، ط1، 2004م، ص190.

و قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الحشر: [07] أي لا يبقى هذا الفيء منتقلا بين الأغنياء منكم فقط أي: كي لا يبقى مأكله يتغلب عليها الأغنياء و يتصرفون بمحض الشهوات و الآراء و لا يتصدقون منه شيئا إلى الفقراء.⁽¹⁾

و خلاصة المفهوم اللغوي للتداولية:

1- التحول: التحول من مكان إلى مكان للقوم، و تحول البطن إلى حالة الاسترخاء.

2- التناقل: تناقل المال من أيدي هؤلاء إلى أيدي أولئك.

3- الانتقال: من حال إلى حال (من السلم إلى الحرب و العكس).

I-2- مفهوم التداولية اصطلاحا:

إن مفهوم التداولية كمنهج جديد في التواصل الإنساني من أهم المناهج العلمية الحديثة، والمقاربة التداولية هي تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي و التداولي و السياقي في النص و الخطاب، و تدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم و المخاطب مع التركيز على البعد الحجاجي و الإقناعي و أفعال الكلام داخل النص.

فالمقاربة التداولية تمكننا من دراسة كل ما لا يمكن تناوله ضمن مبادئ البلاغة و النحو والدلالة « فالتداولية اللغوية الآن كتنظيم غير مخالف لعلمي الدلالة و النحو إلا في المستوى فحسب إذ أنه يقوم بجمعهما في مستوى ثالث خاص بالسياق المباشر مما يجعل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية و الدلالية و البلاغية »⁽²⁾

و الإجماع لم يتحقق بعد بين الباحثين فيما يخص تحديد مفهوم التداولية و فرضياتها ومصطلحاتها فهل نحن أمام تداولية أم تداوليات؟ و يتفق هؤلاء على أن التداولية تتداخل مع العلوم التي لها علاقة باللغة فهي ملتقى الأبحاث اللسانية و الفلسفية و الاجتماعية«إذ تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية معا»⁽³⁾

1- ابن كثير، المرجع نفسه، ص302.

2- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ص89.

3- فرانسواز آرمينكو، المقاربة التداولية، تر : سعيد علوش مركز الاهداء القومي ، د.ط، د.ت ، ص08.

كما تواضع كل من "آن ماري ديلر Anne Marée Diler" و فرانسوا راكيناتي François Récanati على تعريف لساني آخر للتداولية و هو: «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية»⁽¹⁾.

فالتداولية إذن « علم تواصلية جديد يعالج الكثير من ظواهر اللغة و يفسرها و يساهم في حل مشاكل التواصل و معوقاته، لا سيما و هو المجال الرحب الذي يستمد معارفه من مشارب مختلفة "كعلم الاجتماع" و علم النفس المعرفي و اللسانيات و الانثروبولوجيا و الفلسفة التحليلية»⁽²⁾.

لذلك يتسم الدرس التداولي بالثراء في معالجاته المختلفة للنصوص و الخطابات فهي ليست علما يكتفي بتفسير البنى اللغوية فحسب بل هي علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية أثناء استعمالها، وهي تشغل اهتمام المناطقة والسيميائيين والسيسيولوجيين والبلاغيين واللسانيين... وغيرهم، لذلك لم تتضح معالمها بعد كما صرح العديد من الباحثين « هي درس جديد و غزير إلا أنه لا يملك حدودا واضحة»⁽³⁾.

و لارتباط التداولية بالكثير من العلوم لا عجب أنها عرضت لها عدة ترجمات في اللغة العربية في مقابلة المصطلح الاجنبي Pragmatique مثل: البراغماتية و البراغماتيك، المقامية، الوظيفية، و السياقية، و النفعية؛ و لعل أفضل هذه الترجمات هي "التداولية" إذ هي تداول و انتقال للغة بين المتخاطبين.

و يرجع أصل كلمة "pragmatique" إلى الكلمة اللاتينية "pragmata" و معناها "العمل" ثم أصبحت الكلمة بفضل اللاحقة تطلق على كل ما هو عملي أو واقعي.⁽⁴⁾

وقد ظهرت جهود جادة في ترجمة هذا المصطلح إلى العربية من بينها ترجمة " طه عبد الرحمن" حيث يقول: « وقع اختيارنا منذ سنة 1970م على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيك" لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالاته على معنيين:

1- فرانسواز آرمينكو المرجع نفسه، ص08.

2- بوقرة نعمان، اللسانيات، اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2009م، ص163.

3- فرانسواز آرمينكو، المقاربة التداولية، ص07.

4- ينظر: الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية، مجلة اللغة العربية، جامعة الجزائر، العدد07، ص06.

الاستعمال" و " التفاعل" معا و لقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم». (1)

و يعرف طه عبد الرحمن التداولية بقوله: «التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل و التفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا و زمانيا لحصول التواصل و التفاعل، فالمقصود "بمجال التداول" في التجربة التراثية هو - إذن - "محل التواصل و التفاعل بين صانعي التراث».(2)

بيد أن الباحث الجزائري "عبد الملك مرتاض" يشك في ملائمة المصدر "تداولية" للمصطلح الأجنبي، و يقترح أن يكون التداول دون الياء الصناعية كي لا يتم ترجمة "pragmatique" و "pragmatism" بصيغة عربية واحدة، فيكون التداول للدلالة على الأول أي: "تداول اللغة" وتكون التداولية للدلالة على المفهوم الثاني المرتبط بالنزعة المذهبية الفلسفية القائمة على مبدأ النفعية. (3)*

1- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص28.

2- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص244.

3* - يقول الباحث: «و قد اصطلح في العربية النقدية على أنه تداولية في حين أنا نشك في أنه كذلك بهذه الصفة التي ورد عليها، في أصل الاستعمال الغربي لأن صيغة هذا الاستعمال "Pragmatics /Pragmatique" لا تدل على وجود ياء النزعة المعرفية (علمية أو فلسفية أو أدبية) و التي يطلق عليها النحاة العرب بغير اقتناع (الياء الصناعية) فالأجانب يصطنعون صيغة أخرى لما يقابل هذه الياء أو اللاهقة الثنائية على الأصح (Pragmatism/Pragmatisme) فكيف نترجم نحن العرب مفهومين اثنين في أصلهما بصيغة عربية واحدة؟ ... لذلك نقترح أن نطلق على مقابل المفهوم الأول: التداول أي (تداول اللغة) و على المفهوم الآخر المنصرف إلى النزعة المذهبية التداولية و ذلك حتى نطوع العربية « ينظر: عبد الملك مرتاض، تداولية اللغة بين الدلالة و السياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية و التقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد10، 2005م، ص66-67 .

و عرفها جيلالي دلاش بأنها « تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم و خطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»،⁽¹⁾ و يعرفها في موضع آخر بقول: «هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية». ⁽²⁾

و يرى مسعود صحراوي بأن التداولية « علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، و يدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي و تفسيره». ⁽³⁾

ثم يردف قائلاً: « و على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية، وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية... فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي و التعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي»⁽⁴⁾

I-3- كيف ظهرت التداولية و ما هي اتجاهاتها؟

إن أقدم تعريف للتداولية هو تعريف " موريس Morriss " سنة 1938م الذي اعتبرها «جزءاً من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات». ⁽⁵⁾

و قد وزع دراسته للعلامات اللغوية على ثلاث مرتكزات أساسية و متكاملة و هي:

1- التركيب: يعني به علاقة الرموز اللغوية بغيرها.

2- الدلالة: علاقة الرموز اللغوية بالأشياء التي تدل عليها.

3- الوظيفة: و تدرس علاقة العلامات بمستعملي هذه العلامات، والجمل بالمتكلمين. ⁽⁶⁾

1- جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992م، ص1.

2- جيلالي دلاش، المرجع نفسه، ص2.

3- صحراوي مسعود، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص16.

4- صحراوي مسعود، المرجع نفسه، ص17.

5- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص08.

6- فرانسواز أرمينكو، المرجع نفسه، ص09.

ففي اتجاه "بيرس" و "موريس" و "كارناب" و "يسوك" تظهر التداولية كأحدى مكونات السيميائية مكتسبة مظهرًا تجريبيًا و طبيعيًا أساسيًا. (1)

كما ركز كل من "نفس" و "لاينس" و "ادري كوني" ... على نظرية التلطف فربطوها بالسياق التواصلية الذي يبنى على الإشارات و الزمان و المكان و الصيغ العاطفية و الانفعالية و أحكام التقويم و غيرها...

أما تيار الفلاسفة أمثال "أوستين" و "سورل" و "كرايس" فقد اهتموا بنظرية "أفعال الكلام".

و يمكن الإشارة إلى تيارات أخرى: كالنظرية التخاطبية و النظرية الحجاجية و التلطفية و المقصدية و النظرية التوليدية الوظيفية مع " فان ديك" و " هاليداي" و "رقية حسن" و " المقاربة التأويلية" مع " بول ريكور" الذي اهتم كثيرا بالإحالة السياقية، و " مدرسة فرانكفورت" التي اهتمت بدورها بالسياق التواصلية مع " هايرماس".

و قد حاول " هانسن Hansson " التوحيد بين مختلف أجزاء التداولية توحيدًا نسقيًا مراعيًا التفضل بين مختلف الأجزاء، « و قد أقام محاولته هذه بطريقة تقديمية مستقلة نسبيًا». (2)

فهو يميز بين ثلاث درجات للتداولية و عبارة درجات عوضًا عن أجزاء تحدد فكرة المرور التدريجي من مستوى إلى آخر، و السياق التداولي يغتني و يتعد من درجة إلى أخرى، و يمكن تلخيص هذه الدرجات كما يلي: (3)

I-3-1- تداولية الدرجة الأولى: و هي دراسة الرموز الإشارية أي التعابير المبهمة حتمًا، و العبارات الغامضة نسقيًا ضمن ظروف استعمالها، أي سياق التلطف، فما هو السياق بالنسبة لهذه الدرجة؟ إنه موجودات و محددات موجودات، سياق وجودي و مرجعي، المخاطبون و إحدائيات الزمان و المكان.

1- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 11.

2- صابر الحباشة، الأبعاد التداولية في شرح التلخيص للقرويني، الدار المتوسطية للنشر، تونس، بيروت، ط1، 2010م، ص 46-47.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 46-47. و فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 38-39.

I-3-2- تداولية الدرجة الثانية: هي دراسة القضية التي تتصل فيها القضية المعبر عنها بالجملة المنطوقة، إذ في الحالات المهمة ينبغي أن تتميز القضية المعبر عنها عن الدلالة الحرفية للجملة، فما هو السياق بالنسبة لهذه الدرجة؟ إنه السياق في معناه الموسع بالنسبة إلى " ستالنيكر Stalnaker " إنه موسع حتى ما يفترضه و يحدس به المخاطبون، إنه سياق معلومات و معتقدات مشتركة، و مع ذلك فإنه ليس سياقاً ذهنياً، و لكنه سياق يعبر عنه بألفاظ العوالم الممكنة.

I-3-3- تداولية الدرجة الثالثة: و هي نظرية أفعال اللغة، و يتعلق الأمر بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية، فأفعال اللغة مسجلة لسانياً، إلا أن هذا لا يكفي لرفع الإيهامات، و الإشارة إلى ما أنجز فعلاً عبر هذا الموقف التواصلية، من هنا يجعل وجود أفعال اللغة الضمنية المشكل أكثر تعقيداً.

و ما كتب " شانيل shnelle " عن ذلك منذ 1973م : إن السياق هو الذي يحدد ما إذا كان ملفوظ جاد تم إنجازه و ليس مزحاً، أو ما إذا عرضنا مثلاً هل يشكل إنذاراً أو يعطي أمراً فإننا نرى أن مفهوم السياق هنا أشد ثراءً، و أكثر إطلاقاً منه في الحالات السابقة، إن رفع الالتباسات في الحالات التي طرحها "شنال" قريب إلى الانتساب إلى كفاءة موسوعية أو كفاءات ثقافية أو بين الثقافات و حتى الحس الفردي.⁽¹⁾

و خلاصة القول: أن اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" و " الرواقيون" من بعده بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلا على يد " باركلي" تغذيها طائفة من العلوم على رأسها الفلسفة و اللسانيات والانتروبولوجيا و علم النفس و علم الاجتماع.

و لم تصبح التداولية مجالاً يعتد به في الدرس اللساني إلا في العقد العشرين بعد أن طورها فلاسفة اللغة المنتجين إلى جامعة أكسفورد "Oxford" "جون أوكستين" و " جون سيرل" و " بول غرايس" و هم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية "Langage Natiral" في مقابل مدرسة اللغة الشكلية الصورية "Formal Languag" و كانوا يهدفون إلى إيجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الإنسانية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها،

1- ينظر: صابر الحباشة، الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، ص47.

فكان عملهم من صميم البحث التداولي و كانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام، مع جون أوستين و تطورت على يد جون سيرل و بعض فلاسفة اللغة من بعده لتظهر بعدها جملة من المفاهيم و النظريات التي تشكل مجتمعة ما يعرف : باللسانيات التداولية. (1)

II- مفهوم النص و الخطاب:

II-1- مفهوم النص: تعددت التعريفات التي شرحت مفهوم النص و مدلولاته بعدد الدارسين و توجهاتهم.

II-1-1- النص في المعجم:

أورد الفيروز آبادي في مادة " نصص " قوله : « نَصَّ الحديث: رفعه، و ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير، والشئ: حركه، و منه فلان يُنصُّ أنفه غضبا، و هو نَصَّاص الأنف، و المتاع: جعل بعضه فوق بعض، و فلان: استقصى مسألته عن الشئ، و العروس: أفعدها على المنصة بالكسر، و هي ما ترفع عليه فانتصت، و الشئ: أظهره، و الشواء: يُنصُّ نَصِيصا: صوت على النار، والقدر: غلت، و المنصّة بالفتح : الجملة من نص المتاع، و النصّ: الإسناد إلى الرئيس الأكبر و الترقيات و التعيين على شئ ما، و سير نصّ و نصيص: جد رفيع... و حية نَصَّاص أي كثيرة الحركة، و نصنص غريمه و ناصه: استقصى عليه و ناقشه، و انتصّب: انقبض، و انتصب: ارتفع، و نصنصه: حركه و قلقله، و البعير: أثبتت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض». (2)

و في لسان العرب لابن منظور: النص: فعل الشئ، و نصّ الحديث يُنصّه نصّا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نصّ، و وضع على المنصّة، أي على غاية الفضيحة و الشهرة و الظهور، وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء و مبلغ أقصاها و منه قيل: نصصت الرجل: إذا استقصيت مسألته عن الشئ حين تستخرج كل ما عنده، و في حديث هرقل:

1- ينظر: باديس الهويل، التداولية و البلاغة، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 07، 2011م، ص 160-161.

2- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 8 2005م، مادة "نص". ص 632.

يُنصَّبهم: أي يستخرج رأيهم ويظهره، و منه قول الفقهاء: نص القرآن و نص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام، و انتهى الشيء و انتصب: إذا استوى و استقام. (1)

إذن تعددت المعاني اللغوية لمادة(نص) في المعاجم العربية فهي تدل على:

1- الرفع: نص الشيء: ارتفع، سميت المِنصَّة بذلك.

2- الإظهار: أي ظهر و بان

3- ضم الشيء إلى الشيء: نَصَّصْتُ الشيء و المتاع: جعلت بعضه فوق بعض.

4- أقصى الشيء و منتهاه: النص منتهى الأشياء، و مبلغ منتهاهها.

أما في اللغة اللاتينية نجد مصطلح "texte" يعني الحياكة و النسيج كما يطلق على المتن جمع "متون" أي: نصوص، كما تطلق كلمة "texte" على الكتاب المقدس، و هو في اللاتينية "textus" و تعني النسيج. (2)

II-1-2- النص في الدراسات اللغوية الحديثة:

النص في الدراسات اللغوية الحديثة مأخوذ من "textus" و هو النسيج، و يعرفه "فاولي" بأنه: «بنية في أصلها متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها، تشكل استمرارا و نسيجا على صعيد تلك المتوالية»، (3) و تعرفه " جوليا كرستيفا" بأنه «جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر، و بين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه المتزامنة معه». (4)

إذن يُجمع رواد لسانيات النص أن النص متوالية من الجمل تربطها علاقات بين السابق واللاحق، و هناك من يُعرّف النص من جهة المعنى « فالنص هو ما يظهر فيه المعنى»، (5) ولظهور المعنى آليات متعددة تختلف باختلاف الدارسين، و لا يُنظر إلى الحجم في تسمية الملفوظ نصا فالنص قد يكون جملة واحدة أو عدة جمل، أو سلسلة متوالية

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نص)، دار المعارف، القاهرة، ص441.

2- الازهر الزناد ، نسيج النص، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان، ط1، 1993، ص12.

3- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د ط، 1988م، ص12.

4- جوليا كرستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي ، سلسلة المعرفة الادبية ط1 ، 1991، ص21.

5- الازهر الزناد ، نسيج النص، ص12.

من الجمل تقصر و تطول بحسب تلبيتها للسياق إذ ينظر إلى النص هنا بوصفه «وحدة دلالية متكاملة»⁽¹⁾ «و ليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق فيها النص»⁽²⁾ و غايتها التواصل لذلك عرفه سعيد يقطين تعريفا موسعا بأنه: «بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية ضمن بنية نصية منتجة، و في إطار بنيات ثقافية و اجتماعية محددة»⁽³⁾.

و يرى الدكتور " سعيد حسن بحيري" أن إنتاج النص يخضع لعمليات لغوية و نصية و اجتماعية، و معرفية، تشكل من الأجزاء وحدة منسجمة قائمة على قواعد تركيبية دلالية و تداولية معا، و يؤدي الفصل بين هذه القواعد أو الاكتفاء بقسم منها إلى خلل حتمي في التفسير. (4)

و هناك من يؤكد على الفعل التواصل للنص و يلح عليه فان دي بوجراند و درس لر" يصران على أن النص «حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير هي: الربط و التماسك، القصديّة، المقبولية، الإخبارية، الموقفية و التناص،⁽⁵⁾ منها ما يتصل بالنص في حد ذاته و منها ما يتصل بالمتعاملين مع النص ومنها ما يتصل بالسياق، وفق المخطط التالي:

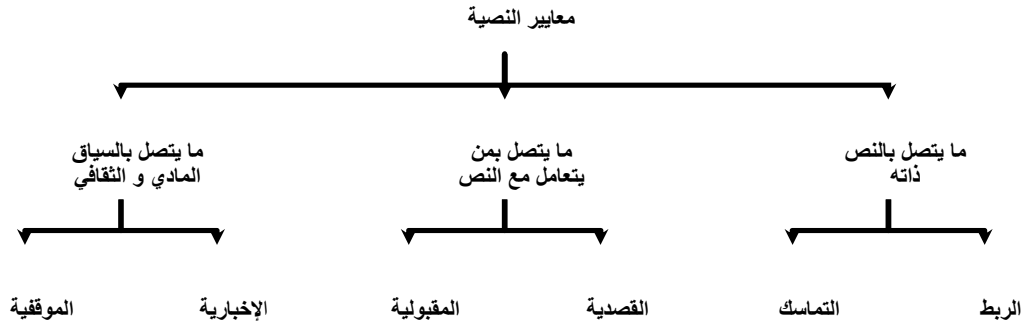
1- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص و السياق، عالم الكتب الحديث ، اريد الاردن، ط1 ، 2008، ص19.

2- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2006م، ص13.

3- سعيد يقطين، إنفتاح النص الروائي، ص32.

4- ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون بيروت لبنان ، ط1، 1997م، ص106.

5- ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات، ص146.



و قد تم توسيع مفهوم النص من خلال مفهوم التماسك الذي ليست له طبيعة نحوية فحسب، بل يتضمن في الوقت نفسه جوانب دلالية و تداولية أيضا.

و يحاول "برينكر" في تعريفه للنص أن يتجاوز ماضي العلامة من عموم حيث يقول: «إنه مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية، تتربط بعضها مع بعض على أساس محوري- موضوعي أو جملة أساس، من خلال علاقات منطوية دلالية»⁽¹⁾ ولا يكتفي برينكر بإدخال عنصر التماسك الدلالي في حده، بل يتجاوزه إلى التماسك التداولي في تعريف آخر للنص «الذي ينطلق من تضمن نص ما في موقف اتصالي *Komminikation* situation من خلاله يحقق أو يمكن أن يحقق كل نص بوصفه أداة اتصال *Komminikat*" وظيفة اتصالية، يحاول من خلالها أن يدرك مقاصد محددة يتم فهمها من الناحية اللغوية في شكل أحداث كلامية "Sprachalation"، ومن ثم يفهم برينكر النص أيضا على أنه ربط أفقي أو متدرج لأحداث كلامية و على أنه حدث كلامي مفعّد أيضا»⁽²⁾

هكذا يتسع مفهوم النص من الجملة أو متواليات من الجمل ليضم مدلولات دلالية و تداولية وسياقية و يتداخل مفهوم النص مع مفهوم آخر لازمه كثيرا في دائرة الأبحاث اللغوية و الأدبية لما بينها من تداخل و هو مفهوم الخطاب.

1- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص 109-110.

2- سعيد حسن بحيري، المرجع نفسه، ص 110.

II-2- مفهوم الخطاب:

II-2-1- في المعاجم العربية:

الخطاب من "خطب" الخاء و الطاء و الياء "أصلان:

- أحدهما:الكلام بين اثنين، يقال: خَاطَبَهُ، يخاطبه خِطَابًا، و الخَطْبُ: الأمر يقع، و إنما سمي كذلك لما يقع فيه من التخاطب و المراجعة.

- الأصل الآخر:اختلاف لونين، و الخَطْبَاءُ : « الأتان التي لها خط أسود على متنها، و الأخطَبُ: طائر، و لعله يختلف عليه لوانان...».(1)

و لم يخرج ابن منظور في تحديد مفهوم الخطاب عن دلالة الكلام ومعابيره و هو الضبط الذي يذهب إليه كثير من علماء اللغة قديما و حديثا، يقول ابن منظور:«الخطاب و المخاطبة: مراجعة الكلام، و قد خاطبه بالكلام مُخاطَبَةً و خِطَابًا، و هما يتخاطبان و الخُطْبَةُ مصدر الخَطِيبِ، و خَطَبَ الخاطِبُ على المنبر، و اخْتَطَبَ يَخْطُبُ خِطَابَةً، و اسم الكلام الخُطْبَةُ...و الخُطْبَةُ الكلام المنثور و المسجع و نحوه...».(2)

وورد في أساس البلاغة للزمخشري:«خَطَبَ:خاطبه، أحسن الخطاب و هو المواجهة بالكلام ... و كان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقال خَطَبَ ... و اخْتَطَبَ القوم فلانا: دعوه إلى أن يخْطُبَ إليهم...و تقول له أنت الأخطَبُ:البين الخطبة، فتخيل إليه أنه ذو البيان في خطبته».(3)

و في كشف اصطلاحات الفنون و العلوم للتهانوي:«الخطاب: توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، و قد يعبر عنه بما يقع في التخاطب» و قال في الأحكام:«الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه».(4)

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت لبنان، د. ط، د. ت، ج2، كتاب الخاء، ص198-199.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب). ص1195.

3- جار الله ابي القاسم الزمخشري ، أساس البلاغة، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1، 1998م، مادة(خطب)، ص 256.

4- محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون و العلوم، ج 1، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان، ط1، 1996م، ص749.

الخطاب في اللغة لا يخرج عن دلالة الكلام و معايبه.

II-2-2- الخطاب في القرآن:

ورد الخطاب في القرآن بصيغة الفعل في ثلاث آيات هي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان: [63]

و قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبِي فِي الدِّينِ ظَلَمُوا﴾ هود: [37]

و قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبِي فِي الدِّينِ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ المؤمنون: [27]

وورد بصيغة المصدر في ثلاث آيات أيضا:

في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾ ص: [20]

و قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ص: [23]

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ النبأ: [37]

وتقف كتب التفسير على دلالة لفظ الخطاب في الآيات السابقة كما أورده الزمخشري والرازي وغيرهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبِي فِي الدِّينِ ظَلَمُوا...﴾ فوردتا بمعنى: لا تدعني في شأن قومك. (1) ، وفي قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص في العذاب أو زيادة في الثواب... (2)، و في قوله تعالى: ﴿أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ فهنا قرن الخطاب بالكلام كنشاط ذاتي يعتمد المتكلم في تعبيره عن أغراضه، و في قوله تعالى عن داود عليه السلام ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾ فقد عد الرازي صفة فصل الخطاب من الصفات التي أعطاها الله تعالى لداود عليه السلام معتبرا إياها من علامات حصول قدرة الإدراك و الشعور و التي يمتاز بها عن غيره. إذ يذهب إلى أن: «الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير، فمنهم من يتعذر عليه الترتيب في بعض الوجوه و منهم من يكون قادرا على ضبط المعنى و التعبير عنه إلى أقصى الغايات، و كل من كانت هذه القدرة في حقه أكمل، كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقه أعظم، و كل من كانت تلك القدرة في حقه أقل، كانت تلك الآثار أضعف،

1- جار الله ابي القاسم الزمخشري، الكشاف، ج3، تح: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م، ص197.

2- الزمخشري، الكشاف، ج6، ص302.

لأن فصل الخطاب: عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال و يحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء يفصل كل مقام عن مقال»⁽¹⁾.
و فصل الخطاب عند الزمخشري: «البيان من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه»⁽²⁾ يقول: «و أردت بفصل الخطاب، الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاقد و الحق و الباطل و الصواب و الخطأ و هو الكلام في القضايا و الحكومات و التدابير والملك و المشورات ... و يجوز أن يراد الخطاب: القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل...»⁽³⁾.

إن تفسير الزمخشري لمفهوم الخطاب يقترن بما ذهبت إليه المعاجم التي حددت هذا المفهوم و قرنته بالكلام، و هو عند الرازي فعالية فردية و نشاط ذاتي تعتمد الذات المتكلمة في التعبير عن غرض من الأغراض وفق سياق تكلمي.

II-2-3- الخطاب في الدراسات اللغوية الحديثة:

مثما تعددت مفاهيم النص في الدراسات الحديثة تعددت مفاهيم الخطاب هي الأخرى و ذلك لتعدد المفاهيم و الدراسات الخاصة بالخطاب بتعدد الدارسين و تخصصاتهم، فبينما يضعه البعض ليقصر على أساليب الكلام يوسعه البعض ليجعله مرادفا للنظام الاجتماعي برمته.

فالخطاب مرادف للكلام عند "سوسور" و هو المعنى الجاري في اللسانيات البنائية، و على المستوى اللغوي يشير مصطلح الخطاب إلى: «كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء أكان مكتوبا أو ملفوظا»⁽⁴⁾.

1- الفخر الرازي، تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ، دار الفكر بيروت لبنان ، ط1، 1981م، ص187.

2- الزمخشري، الكشاف، ج5، ص251.

3-الزمخشري، المرجع نفسه ، ص251.

4- ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002م، ص156.

كما ينظر إلى الخطاب: «بأنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة متعلقة يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، و بشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض».(1)

و في مقابل هذه التعريفات التي تحصر الخطاب كموضوع لساني في الجملة يرى "غرايس" أن الكلام يتجاوز ذلك إلى دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث و السامع دون علامة معلنة أو واضحة، و يحدد "بنفنست" الخطاب بمعناه الأكثر اتساعا بأنه كل تلفظ يفترض متكلما و مستمعا و عند الأول هدف التأثير على الثاني.(2)

و يذهب " ميشال فوكو " إلى أكثر من ذلك فالخطاب- عنده- «شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية و السياسية و الثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة و المخاطر في الوقت نفسه»... ثم يردف قائلا: «أفترض أن إنتاج الخطاب في مجتمع ما هو في الوقت نفسه إنتاج مراقب أو منتقى، و معاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته و مخاطره و التحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء ماديته الثقيلة و الرهيبة»(3)، ف"ميشال فوكو" يرى أن إنتاج الخطاب ليس حرا أو بريئا كما قد يبدو من ظاهره ، و أن توزيعه يعمل على الحد من ماديته الثقيلة. إذن الخطاب نظام إشاري دال، و هذا النظام تشكله مكونات الخطاب و عناصره من أصوات و المعجم و التركيب و المعنى و التداول....

II-3- الفرق بين النص و الخطاب:

هناك من الباحثين من يفرق بين النص و الخطاب، و هناك من يرى أنهما شيء واحد، أغلبهم يفرق بين "نص" من حيث هو كائن فيزيائي منجز و "خطاب" وهو موطن التفاعل و الوجه المتحرك منه و تمثل في التعبير و التأويل.(4)

1- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي و أنواعه و خصائصه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط3، 2013م، ص25.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية، ص37.

3- ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص156.

4- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 156.

و يمكن الوقوف على أبرز الفروق فيما يلي:

1- يفترض الخطاب وجود السامع الذي يتلقى الخطاب، بينما يتوجه النص إلى متلق غائب يتلقاه عن طريق عينيه قراءة، أي أن الخطاب نشاط تواصل ي تأسس أولاً و قبل كل شيء على اللغة المنطوقة، بينما النص مدونة مكتوبة.

2- الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره، أي أنه مرتبط بلحظة إنتاجه بينما النص له ديمومة الكتابة فهو يقرأ في كل زمان و مكان.

3- الخطاب تنتجه اللغة الشفوية، بينما النصوص تنتجها الكتابة.⁽¹⁾

4- إن الخطاب على رأي " أليتش " و زميله "شورت" تواصل لساني ينظر إليه كإجراء بين المتكلم و المخاطب، أي أنه فاعلة تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية. أما النص فهو تواصل عبر لساني مكتوب و بذلك يأخذ معنى متوالية خطية ذات علاقة مرئية على الورق.⁽²⁾

و تجمع "جوليا كرسنيفا" في كتابها "علم النص" بين المصطلحين حيث تقول: «النص الأدبي خطاب يخترق حالياً وجه العلم و الإيديولوجيا و السياسة و ينتفع لمواجهتها و فتحها و إعادة صهرها و من حيث هو خطاب متعدد و متعدد اللسان أحياناً و متعدد الأصوات غالباً يقوم النص باستحضار (Présentifié) كتابة (Graphique) ذلك البلور الذي هو محمل الدلالية المأخوذة في نقطة معينة من لا تتأهيا أي كنقطة من التاريخ الحاضر حيث يلح هذا البعد المتأهيا».⁽³⁾

ثم تقوم كرسنيفا بنوع من الفصل بينهما قائلة: « و هناك حقيقة معينة تحكم و تؤسس كل ما هو ملفوظ و هي أن اللغة دائماً علم و الخطاب دائماً معرفة بالنسبة لمن يتلفظ بالكلام أو ينصت له داخل السلطة التواصلية».⁽⁴⁾

1- ينظر: هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي، ص31.

2- ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص12-13.

3- جوليا كرسنيفا، علم النص، ص40.

4- جوليا كرسنيفا، المرجع نفسه، ص40.

و يقدم "قان دايك" تمييزاً أكثر تحديداً فهو ينظر إلى النص بوصفه بنية عميقة ، بينما يمثل الخطاب بنية سطحية أو ينظر إليهما بوصفهما مظهرين : المظهر التجريدي و المظهر الحسي، و النص مظهر تجريدي بينما الخطاب يجسد وحدة لسانية ينجلي في ملفوظ لغوي، فالنص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلية. (1)

و في إطار هذه العلاقة يتم الربط بين النص و سياقه التداولي.

أما "هاليداي" و "رقية حسن" فإنهما يبرزان الوحدة و الانسجام و علاقة النص بالسياق فروقا جوهرية بين النص و الخطاب، فالنص يأخذ بعداً مختلفاً في الخطاب من خلال صلته بالقارئ و المقام الاجتماعي للتواصل و أبعاده غير اللسانية. (2)

فالخطاب إذن يتضمن أنواعاً أخرى من النشاط العلاماتي مثل الصور المرئية و الفوتوغرافية ، الأحلام و الرسوم البيانية، و الاتصال غير الشفوي مثل حركات الرأس و الأيدي... فالخطاب أحد أشكال الممارسة الاجتماعية «و ليس كل خطاب نصاً و إن كان كل نص بالضرورة خطاباً» و مع ذلك يبقى المشكل مطروحاً و الاختلاف قائماً و تبقى وجهات النظر والآراء متعددة، مع الإشارة إلى أننا نتبنى الرأي الذي لا يفصل بين مصطلح الخطاب و مصطلح النص، لتفادي التشتت بين آراء الاتفاق و الاختلاف، فخطاب المثل النبوي باعتباره خطاباً مقاصدياً موجهاً يحمل هدفاً في ذاته و هو التأثير في المتلقي و هو ما تنأتى لنا دراسته من خلال تجاوز وصف الخطاب وصفاً شكلياً و عدم الاكتفاء بالوقوف عند بيان علاقة وحدات الخطاب بعضها البعض و تحليلها، و الدعوة إلى ضرورة الاعتناء بدور عناصر السياق و مدى توظيفها في إنتاج عناصر الخطاب و في تأويله.

1- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص24.

2- خلود العموش، المرجع نفسه، ص24.

III- المدونة (صحيح البخاري)

III-1- التعريف بالمدونة:

صحيح البخاري (1) :

يعد كتاب "صحيح البخاري" أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وقد اشتهر قديما وحديثا في أكثر كتب الفقه والتفسير والحديث وغيرها من كتب المكتبة الإسلامية وعلى السنة الكثير من الناس. (2)

أما أصل "صحيح البخاري" فقد لخصها ابن حجر بقوله: "تقرر أنه التزم فيه الصحة، وأنه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه: (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) ومما نقلناه من رواية الأئمة عنه صريحا ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية، والنكت الحكيمة، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة، فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام، فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة". (3)

أقدم الإمام البخاري على تأليف هذا الكتاب لما سمعه من أستاذه يقول: « كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ، قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح». (4)

1- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، اعتنى بها وضبط نصها : أحمد جاد، دار البصائر، الجزائر، د.ط، د.ت.

2- انظر، ابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، تح: عبد القادر شيبية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، ط1، 2001م، ص8،

3- ابن حجر العسقلاني، المرجع نفسه، ص10.

4- ابن حجر العسقلاني، المرجع نفسه، ص9.

ولمكانته العلمية اتفق العلماء أن مصنف (صحيح البخاري) أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وأول من صنف في الصحيح "البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل" وتلاه " أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري" ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه، وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز. (1)

كما بينوا أن الصحيحين "البخاري و مسلم" تلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد، ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلما كان يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث. (2)

وقد مكث " البخاري" في تصنيف جامعته وتهذيبه ستة عشرة سنة، لأنه جمعه من ألوف مألوفة من الأحاديث الصحيحة. (3)

ويكفيه فخرا أن شهد له أساطين العلم وجها بذاته ومما شهدوا: قال قتبية بن سعيد: «جالست الفقهاء والزهاد والعباد، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل البخاري وهو في زمانه كعمر في الصحابة». (4)

وقال عنه الإمام الذهبي: « كان رأسا في الذكاء، رأسا في العلم، رأسا في الورع والعبادة». (5)

كما استحسنه شيوخه بعد أن عرضه عليهم وكان منهم جهابذة الحديث مثل: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث.

1- انظر: ابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري ، ص12.

2- النووي (محيي الدين يحيى ابن شرف)، صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1994م، ج1، ص47.

3- ابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص482.

4- ابن حجر العسقلاني، المرجع نفسه، ص482.

5- الذهبي (شمس الدين)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج2، ص555.

III-2- سبب اختيار المدونة:

جاء اختيارنا لخطاب الأمثال في صحيح البخاري ليكون مادة للبحث لمسوغات عديدة منها:

- إدراكنا أن الإمام البخاري من أبرز العلماء المحدثين وأن كتابه من أصح الكتب وأدركنا ما يحتويه من مادة علمية وإسهامات تربوية.
- وإذا كان الدرس اللغوي يهدف إلى رصد ظواهر اللغة في ألفاظها وتراكيبها ووصفها وتحليلها للوقوف على خصائصها، فإن الأمثال تزداد أهمية في مجال الدرس اللغوي، لأنها تعتمد على لغة الفطرة الأولى، تلك اللغة التي تتغلغل في أعماق النفس وأغوارها وتعتبر عن أغراض الناس دون تكلف.
- كما أن الأمثال أصدق دلالة على لغة الناس لكونها تتبع من مختلف طبقاته وعلى محض السليقة بخلاف لغة الشعر التي تتبع من طبقة الشعراء فإنها لا تمثل طبيعة اللغة الكلامية، فإذا كانت أمثال سائر الناس بهذه الأهمية في مجال الدرس اللغوي فلا شك أن أمثال النبي ﷺ، أكثر أهمية لأنها أرفع منزلة، وأعلى شأنًا وأوجز لفظًا وأدق فكرًا، وأبلغ حكمة، وأكرم معنى، وأسمى غاية.

الفصل الأول: المثل و ما يتعلق به

1- مفهوم المثل

- المثل في كتب اللغة و المعاجم
- المثل إصطلاحا
- الإصطلاح الأدبي للمثل
- المثل عند البلاغيين
- المثل عند علماء القرآن و المفسرين

2- ضرب المثل

3- أنواع الامثال

- المثل الموجز السائر
- أمثال التمثيل القياسية
- 4- أغراض ضرب المثل في الحديث
- 5- دلالة التمثيل النبوي على الحكم الشرعي
- 6- الكتب المؤلفة في أمثال الرسول
- 7- نصوص الأمثال النبوية في صحيح البخاري
 - الأمثال المرسلة في صحيح البخاري
 - الأمثال القياسية في صحيح البخاري

I- مفهوم المثل :

إن الأمثال، هي وعاء حكمة الأمم، وخالصة تجاربها، وأسلوب من أساليب التعبير القادرة على استيعاب مراد المتكلم في إيجاز اللفظ وإصابة للمعنى وحسن في التشبيه، لذلك اعتبرت العرب جزءاً من ديوانها تستنطقها لتستفيد منها تاريخ أحداث، ووقائع سير ومكنون حكم وصميم فوائده.

وقد عني بها جمع غفير من علماء العربية فكتب فيها اللغويون والبلاغيون والمفسرون وغيرهم.

I-1- المثل في كتب اللغة والمعاجم: المثل ما يضرب من الأمثال، وهو من المماثلة والمشابهة، يقال: «مِثْلٌ، مِثْلٌ وَشِبْهٌ وَشِبْهَةٌ»،⁽¹⁾ «وَمِثْلُهُ بِهِ، شِبْهُهُ، وَتَمَثَّلَ بِهِ تَشْبِيْهًا، وَمِثَّلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: سَوَّيَ بِهِ وَقَدَّرَ تَقْدِيرًا... وحذاه على المِثَالِ، وعلى الأَمْثِلَةِ والمِثَلِ، وَمِثَّلَ مِثَالًا، وَتَمَثَّلَهُ: اعْتَمَلَهُ، وَمِثَّلَ التَّمَاثِيلَ: صَوَّرَهَا».⁽²⁾

« وَتَمَثَّلَ بِالشَّيْءِ ضَرِيحًا مِثَالًا، وَالمِثَالُ: المِقْدَارُ والقِصَاصُ، وَصِفَةُ الشَّيْءِ. وَمِثَّلَ لَهُ تَمَثِيلًا: صَوَّرَ لَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ».⁽³⁾

وقولهم: « مِثْلٌ بِهِ إِذَا: نَكَلَ: هُوَ مِنْ هَذَا أَيْضًا لِأَنَّ المَعْنَى فِيهِ أَنَّهُ إِذَا نَكَلَ بِهِ جَعَلَ ذَلِكَ مِثَالًا لِكُلِّ مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ الصَّنِيعَ أَوْ أَرَادَ صَنْعَهُ... وَالمِثَالَاتُ مِنْ هَذَا أَيْضًا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ خَلَقْتُ مِنْ قَبْلِهِمُ المِثَالَاتُ ﴾ [الرعد: 6] أَي العُقُوبَاتِ الَّتِي تَزْجُرُ عَنِ مِثْلِ مَا وَقَعَتْ لِأَجْلِهِ... وَمِثَّلَ الرَّجُلَ قَائِمًا: انْتَصَبَ... وَالمِثَالُ الفِرَاشُ وَالجَمْعُ: مُثَلٌّ: وَهُوَ شَيْءٌ يَمَاتِلُ مَا تَحْتَهُ وَفَوْقَهُ،

1- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ط ، د ت، ج 47، مادة "مثل"، ص 4132.

2- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج 2، تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، ص 193.

3- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005، فصل الميم، ص 105.

وفلان أمثلُ بني فلان: أدناهم للخير، أي أنه مماثل لأهل الصلاح والخير، وهؤلاء أمثالُ القوم أي خيارهم». (1)

« وتمتَّلَ وامتتلَّ إذا أنشد بيتا ثم آخر، والممئلُ والأمثولة: الأنشودة وكل قول يُتمتَّلُ به من الأبيات والحكم ونحوها». (2)

وللمثل معاني أخرى متفاوتة نص عليها اللغويون والمفسرون وعلماء الحديث منها: التشبيه والنظير والحجة والآية والعبرة والعظة والقصة ذات الشأن والصفة الغريبة. يأتي المثل بمعنى الصفة كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ محمد: [15]. وبمعنى العظة والعبرة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الزخرف: [59]. وبمعنى الحال أو القصة أو الشأن كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ النحل: [60]. وقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ البقرة: [17].

وقد عرف المثل بأنه قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه. وقيل « سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثل الذي هو الانتصاب». (3) ومثل بين يديه مثولا أي انتصب قائما وفي الحديث: « من أحب يمثله له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار». (4)

وحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير.

- كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده إلا الأباطيل

I-2-المثل اصطلاحا: إذا أردنا تناول هذا المعنى في الإصطلاح فعلينا أن نعرفه في

اصطلاح الأدباء، وعلماء البلاغة ثم عند المفسرين لنقف على حقيقة معناه في السنة

النبوية الشريفة.

1- أبو الحسن أحمد بي فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ص 296.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة: "مثل"، ص 4133.

3- أبو الفضل أحمد بن محمد السيابوري الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، مكتبة السنة المحمدية، 1955م، ص 07.

4- ابن منظور، المرجع السابق، ص 4135.

I-2-1 الاصطلاح الأدبي للمثل: عرّف التهانوي المثل بقوله: « والمثل في الأصل

بمعنى النظر، ثم نقل منه إلى القول السائر الفاشي الممثل مضربه بمورده»⁽¹⁾ وعرفه المبرد بقوله: « هو قول سائر شبه به حال الثاني بالأول»⁽²⁾ وقال ابن السكيت: « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبّهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره»⁽³⁾.

والمراد بالمضرب: الحالة المشبهة التي أريدت من الكلام.

والمراد بالمورد: الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام.

ويقول الزمخشري: في ذلك: « ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل، ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتيسير، ولا جديرًا بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه»⁽⁴⁾ وعرفه المبرد بقوله "المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فقولهم: مثل بين يديه: إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة، وفلان أمثل من فلان أي أشبه بماله من الفضل، والمثل القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول، فحقيقة المثل، ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول وبهذا يكون المبرد قد ذكر المعنيين معاً، اللغوي والإصطلاحي وبين الارتباط الوثيق بينهما.

أما مفهوم المرزوقي للمثل ففيه الكثير من ملاحظات سابقه « المثل جملة من القول مقتضبه من أصلها أو مرسله بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل عمّا وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، عمّا يوجب

1- التهانوي، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ص 1449.

2- الميداني، مجمع الأمثال، ص 05.

3- الميداني، المرجع نفسه، ص 06.

4- محمد جابر فياض العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل

الجامعية، د. ط، 1981، ص 23.

الظاهر إلى أشباهه المعاني، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها». (1) و خلاصة الأراء السابقة أن المورد والغرابة والتداول هي الركائز الأساسية التي بنى عليها الأدباء معنى المثل الاصطلاحي.

I-2-2 المثل عند البلاغيين: أدخل البلاغيون في الأمثال ما جاء على سبيل الاستعارة، والمجاز ومع ذلك لم يخرجوا به عن المشابهة والمماثلة قال إبراهيم النظم: « يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: « إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة». (2) وقال ابن المقفع: « إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث». (3)

والمثل عندهم (البلاغيين): « المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله وأصله الاستعارة التمثيلية، وأما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيبك به على حد الاستعارة، فمثاله: قولك للرجل يتردد في الشيء بين تركه وفعله: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى». (4)

وقال عبد القاهر الجرجاني: « وكان ما لا يصح أن يسمى تمثيلاً فلفظ المثل لا يستعمل فيه أيضاً». (5) وقال: " وعلى الجملة فينبغي أن تعرف أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً. لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح- ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر». (6)

1- الميداني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف ، ص 05.

2- الميداني، المرجع نفسه ، (المقدمة).

3- الميداني، المرجع نفسه (المقدمة).

4- صابر حسن محمد أبو سليمان، غاية البيان في أمثال القرآن، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع، الرياض، ط1، 2001م، ص 06.

5- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاك، دار المدني، جدة، د. ط، د.ت، ص 92.

6- عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص102.

ويقول الطوسي: « والتشبيه في الأمثال ما لا يحتاج إليه من البيان هو على وجهين أحدهما ما يظهر فيه أداة التشبيه والأخر ما لا يظهر فيه »،⁽¹⁾ وحصر السكاكي « الأمثال فيما شاع فقط على سبيل الاستعارة لا غير يسمى مثلاً ولو ورد المثل على سبيل الاستعارة لا يتغير»،⁽²⁾ وبالرغم من ارتباط المثل بالتشبيه والتمثيل ارتباطاً وثيقاً في إصطلاح البلاغيين، فلا يمكن حصره في الإستعارات التمثيلية فقط فهناك الأمثال الموجزة السائرة إلى جانب الأمثال الحكمية التي لم تقم على التشبيه أصلاً .

I-2-3 المثل عند علماء القرآن والمفسرين:

ذهب محمد بن جرير الطبري إلى أن المثل: الشبه فقال: « المثل "الشبه" يقال "هذا مثلٌ هذا ومثلهُ: كما يقال "شبههُ وشبهُهُ وفسر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ البقرة: [26] بقوله: "إن الله لا يخشى أن يصف شيئاً لما شبه به"، كما فسره في مواضع أخرى: بالعبارة والعظة والآية والحجة وبالصفة وبالصفة ذات الشأن والشيء ذاته». ⁽³⁾

ولم يخرج أبو السعود - عما ذهب إليه الزمخشري فقال « المثل في الأصل بمعنى المثل والنظير يقال "مثل ومثل ومثيل، كشبه وشبه وشبيه، ثم أطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده، وحيث لم يكن ذلك إلا قولاً بديعاً فيه غرابة مسيرته جديراً بالتسيير في البلاد وخليقاً بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير أن يلاحظ بينها وبين شيء آخر شبه، ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ النحل: [60]. أي الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ الرعد [35] محمد : [15]، أي قصتها العجيبة

1- الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد القصير، الطبعة العلمية، النجف الأشرف، ج6، د ط، 1957م، ص 293.

2- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر) ، مفتاح العلوم، المطبعة الادبية ، القاهرة ، ط1 ، د ت ، ص 187.

3- الطبري محمد ابن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ط1، 1994، ج1، ص 147، 149.

الشأن»⁽¹⁾ والمثل بصفة عامة قد حظي في كتب التفسير بمعاني عدة منها ما هو أصلي ومنها ما هو استعاري، ومنها ما هو اصطلاحى، ومنها الآية والحجة والعظة والعبرة.

وإذا نظرنا إلى أمثال القرآن، وما يقال فيها يقال في أمثال الحديث التي يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة أم بطريق التشبيه الصريح، أو الآيات الدالة على معنى رائع بإيجاز أو التي لم يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه: « فإن الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل ، وأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبه والنظير ، ولا يجوز حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا في الأمثال، إذ ليست أمثال القرآن أقوالاً استعملت على وجه تشبه مضربها بموردها ، كما لا يستقيم حملها، على معنى الأمثال عند علماء البيان، فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة ولم يفش استعماله»⁽²⁾

يقول ابن القيم في أمثال القرآن: تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر « ويسوق لنا أمثلة متعددة منها ما هو على طريقة التشبيه الصريح مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ يونس: [24]. وقوله ﷺ: « ومثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»⁽³⁾.

وفي الحديث الشريف : « إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت الكلأ وذلك مثل من فقه في دين الله فنفعه ما بعثني الله من الهدى والعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»⁽⁴⁾.

1- ابو السعود بن محمد العماري الحنفي، تفسير ابن السعود، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة ، د. ط، د ت، ج3، ص 374.

2- صابر حسن محمد أبو سليمان، غايه البيان في أمثال القرآن، ص09.

3- المدونة ، باب فصل ذكر الله، ص1205.

4- المدونة ، كتاب العلم، باب من علم وعلم، ص 28.

ومنها ما جاء على طريق التشبيه الضمني كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات: [12].

ومنها ما لم يشمل على تشبيهه ولا استعارة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ الحج: [73]. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ الحج: [73]. قد سماه الله مثلاً وليست فيه استعارة ولا تشبيه ومعظم الأمثال المرسلة لا تشبيه فيها ولا استعارة مثل قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»⁽¹⁾.

II - ضرب المثل: كثيرا ما يقترن لفظ "الضرب" بلفظ المثل في القرآن الكريم والحديث الشريف، و ذكر لهذا اللفظ في كتب التفسير معان عدة كالتمثيل و التبيين والجعل، والوصف والذكر والوضع والصنع والاعتماد والأفعال والاتخاذ والإيراد.... بعد اتفاقهم على أنه في اللغة "بمعني إيقاع شيء على شيء ويتعدى باليد أو بالعصا « كما أورد صاحب اللسان عدة معان سياقيه لمادة "ضرب" وهي الذكر والتمثيل والوصف والتبيين»⁽²⁾. عقب بها قائلوها على معاني الآيات.

وفي المقام كلمة لابن قيم الجوزية يوضح فيها أكثر الاحتمالات:

ضرب الله سبحانه وتعالى لعبده الأمثال، وضرب الرسول ﷺ لأمة الأمثال وضرب الحكماء والعلماء والمؤدبون الأمثال، فما معنى ضرب المثل؟
يقول ابن القيم: «ضرب المثل مأخوذ إما من:

- 1- ضرب في الأرض بمعنى سار
- 2- ضربه: نصبه للناس وأشهره.
- 3- ضرب: صنع وأنشأ.
- 4- ضرب : إيقاع شيء على مثال شيء»⁽³⁾.

1- المدونة ، كتاب الإيمان، باب،المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ص12.

2- إبن منظور، لسان العرب، مادة: "ضرب" ، ص 2566.

3- ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، تح: سعيد محمد عمر الحطوب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، 1981م، ص

• **ضرب الأمثال بالقرآن:** « جرت عادة أهل الأدب أن يسوقوا الأمثلة في مواطن تشبيه الأحوال التي قيلت الأمثال بالقرآن، ولا يروا أن يتلوا الإنسان آية من آيات الأمثال في كتاب الله عند شي يعرض من أمور الدنيا حفاظا على روعة القرآن، ومكانته في نفوس المؤمنين. قال أبو عبيد: وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهيم بحاجته ، فيأتيه من غير طلب فيقول كالمزح: ﴿ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ طه: [40]. "فهذا من الاستخفاف بالقرآن" ومنه قول ابن شهاب الزهري " لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول ﷺ أي لا تجعل لها نظيرا من القول والفعل». (1)

• **أهمية الأمثال:** لأهمية الأمثال ومكانتها التي لا تتكر ألفت فيها الكثير من المصنفات قديما وحديثا « فلأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المرتل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها لأن المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة، والنفوس بها واقعة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة». (2)

لذلك ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجة على خلقه لأنها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة ولها أربعة شروط: أحدها: صحة التشبيه.

والثاني: ان يكون في العلم بها سابقا والكل عليها موافقا.

والثالث: أن يسرع وصولها للفهم، ويعجل تصورها في الوهم من غير إرتياء في استخراجها ولا كد في استنباطها.

الرابع: أن تناسب حال السامع، لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعا فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة كانت زينة للكلام، وجلاء للمعاني وتدبرا للإفهام». (3)

1- ينظر: مناع القطان، مبحث في علوم القرآن، ص283.

2- صابر حسن محمد أبو سليمان ، غاية البيان في أمثال القرآن ، ص08.

3- صابر حسن محمد أبو سليمان ، المرجع نفسه، ص08.

وقد حازت الأمثال القرآنية وأمثال الرسول ﷺ على اهتمام المفكرين فذكروا حولها أقوالاً تعرب عن أهميتها ومكانتها يقول ابن قيم الجوزية «...ويسمى المثل مثلاً لأنه مائل بخاطر الإنسان، أي شاخص يتأسى به ويتعظ ويخشى ويرجو...»⁽¹⁾.

وقال في موضع آخر « وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثل الذي مثل به فقد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه وتتفر من الغربة والوحدة وعدم النظير... ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجده أحد ولا ينكره وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهور ووضوحاً فالأمثال شواهد المعنى المراد وهي خاصية العقل ولبه وثمرته»⁽²⁾.

والأمثال عند الشافعي، مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المبينة لاجتناب معصيته.

وقال الشيخ عز الدين: « إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب، أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه، فإنه يدل على الأحكام»،⁽³⁾ وقيل « ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أموراً كثيراً، التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبتت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد»⁽⁴⁾.

1- ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، صححه: بدر الدين النساني، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1327هـ، ص 67.

2- ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، ص 22.

3- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008، ص 671.

4- جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه، ص 671.

وقال الزركشي: « وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود مالا يخفى، إذا الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والشاهد بالغائب، فالمرغب في الإيمان مثلا إذا مثل له بالنور تمثل في قلبه المقصود والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تؤكد قبحه في نفسه وفيه أيضا تبكيت الخصم، وقد أكثر الله تعالى في القرآن وفي سائر كتبه من الأمثال ». (1)

III- أنواع الأمثال: إذا لاحظنا التقسيمات المختلفة للأمثال يمكن أن نميز نوعين من الأمثال.

III-1- المثل الموجز السائر: « وهو إما شعبي لا تعمل فيه ولا تكلف ولا تقيد بقواعد النحو، وإما كتابي صادر عن ذوي الثقافة العالية كالشعراء والخطباء»، (2) وهذا النوع تتصرف إليه غالب تعريفات المثل الإصطلاحية ويشمل:

- 1- الأقوال الموجزة السائرة المتصلة بمناسبة من المناسبات: كأن تكون عبارات موجزة قيلت في مناسبة ثم نقلت للتمثل بها في مناسبات مشابه للأولى، وهي تدل معان رائعة في إيجاز إذا نقلت إلى ما يشبهها مثل وافق شن طبقه
- 2- الحكم السائرة القائم صدقها في العقول والقصص ذات المغزى الأخلاقي « وهي حكمة قام صدقها في العقول وتلقاها الناس بالقبول والتداول وليس لها مورد أو عبارة عن جوامع الكلم قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، وهذا النوع لا يصدر إلا عن أصحاب العلم والمعرفة كالأنبياء والعلماء والحكماء». (3) ويرد هذا النوع بكثرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْزُرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ﴾ الزمر: [7]، ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يوسف: [53]، ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ الرحمن: [60]، وفي الحديث النبوي الشريف مثل: « إنما الصبر عند الصدمة

1- الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث، د.ط، 2006، ص 327.

2- ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، ص 19.

3- محمد آدم عثمان حامد، الأمثال النبوية في الصحيحين (دراسة تحليلية للظواهر النحوية والصرفية والدلالية)، رسالة دكتوراه، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، جامعة المدنية العالمية، ماليزيا، سنة 2015م، ص 17.

الأولى». (1)، « واتقوا النار ولو بشق تمرة ». (2).

3- المضاف والمنسوب: وهي أمثال تقوم على إضافة بشيء إلى شيء أو نسبة المثل ب: "مواعيد عرقوب" و"السفينة نوح" و"دعوة المظلوم". (3).

4- تشبيهات بسيطة أفادت المقارنة والمفاضلة "ومثالها قوله ﷺ « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً ». (4).

5_ أمثال المبالغة والتناهي وهي الأمثال على وزن "أفعل" وتكون لمن تجاوز المشهور في صفة ما ومنه قول الرسول ﷺ « إن خياركم أحسنكم عطاء ». (5).

وبصفة خاصة يعرف أهل الاختصاص الأمثال النبوية المرسلة بأنها « الأحاديث التي جرت في ألسن الناس مجرى المثل وهي ما كان من كلامه ﷺ مشاكلا لكلام متقدمي العرب، ووقع مواقع الأفهام باللفظ الموجز المجمل ». (6).

III-2- أمثال التمثيل القياسية: وهي سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب « إنه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر لغرض التأديب والتعذيب أو التوضيح والتصوير « وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير ». (7).

1- المدونة ، كتاب الجنائر، باب زيارة القبور، ص 237.

2- المدونة ، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ص 263.

3- محمد آدم عثمان حامد، الأمثال النبوية في الصحيحين، ص 17.

4- المدونة ، كتاب الصلاة، باب تشبيك الاصابع في المسجد وغيره، ص 102.

5- المدونة ، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون، ص 416.

6- محمد بن عمر بازمول، المطالع والأصول في فهم أحاديث الرسول، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، الصنوبر

البحري، المحمدية، الجزائر، ط1، 2017م، ج2، ص134.

7- ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، ص 20.

وأكثر أمثال القرآن والحديث النبوي الشريف من هذا النوع فمن أمثلة السرد الوصفي في القرآن قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ...﴾ يس: [20].

وفي الأمثال النبوية قوله ﷺ: « مثل القائم على حدود الله والمواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استنقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً». (1)

وأكثر ما يأتي المثل القياسي يكون مقروناً بلفظ مثل: وقد يأتي بأداة من أدوات التشبيه الأخرى دون لفظ مثل مثل قوله ﷺ « إن الإيمان ليزار إلى المدينة كما تزار الحية إلى جحرها». (2)

وقد فرق بعض الباحثين بين "مثل" بفتح الميم ومثل "بكسر الميم" (فمثل) بفتح الميم تأتي في سياق تشبيه طرفاه مركبان (المشبه والمشبه به) أو أحد طرفيه مركب (المشبه به) ولم تأت لتشبيه مفردين قط و"مثل" بكسر الميم تأتي في سياق تشبيه طرفاه لا تركيب في واحد منهما ولا تركيب في وجه الشبه. (3)

ومن الأحاديث التي جاءت فيها كلمة (مثل) بفتح الميم ما جاء عن أبي موسى عن النبي ﷺ: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». (4)

1- المدونة ، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة، ص 453.

2- المدونة ، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يزأر إلى المدينة، ص 341.

3- محمد بن عمر بازمول، المطالع والأصول في فهم أحاديث الرسول، ج2، ص136.

4- المدونة ، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ص28.

ومن الأحاديث التي جاءت فيها (مثل) بكسر الميم ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليها، ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقراطين كل قراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط». (1)

وأشار الرامهرمزي إلى الفرق بين الأمثال المرسلة والقياسية في الحديث الشريف في مقدمة كتابه في "أمثال الحديث" بقوله "هذا ذكر الأمثال المروية عن النبي ﷺ وهي على خلاف ما روبناه من كلامه المشاكل للأمثال المذكورة عن متقدمي العرب، فإن تلك تقع مواقع الإفهام باللفظ الموجز المجمل، وهذه بيان وشرح وتمثيل يوافق أمثال التنزيل التي وعد الله عز وجل بها، و أوعده وأحل وحرم ورجى وخوف، وقرع بها المشركين وجعلها موعظة وتذكيراً، ودل على قدرته مشاهدة وعياناً وعاجلاً وآجلاً والله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم». (2)

IV- أغراض ضرب الأمثال في الحديث: لما كانت الأمثال من الأساليب البيانية غير المباشرة للتعريف بما يراد التعريف به، وكانت من أساليب الكلام البليغ التي يلجأ إليها كبار البلغاء، ولما كانت، تصاريف الرب الحكيم منزهة عن العبث كان اللجوء إلى ضرب الأمثال في القرآن والسنة لا يخلو من غرض يدعو إليه لذلك جاءت الأمثال القرآنية وأمثال الحديث وهي تحمل العديد من الأغراض والقيم البيانية التي تثبت المعاني في النفوس: قال الإمام الترمذي: "واعلم أن ضرب الأمثال لمن عاب عن الأشياء وخفيت عليه، فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء فضرب الله لهم مثلاً من عند أنفسهم لا من عند نفسه ليدركوا ما غاب عنهم، فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً". (3)

1- المدونة ، كتاب الإيمان، باب إتباع الجنائز من الإيمان ، ص19.

2- الرامهرمزي، أمثال الحديث، ص5، 6.

3- الحكيم الترميذي، الأمثال في الكتاب والسنة ، تح محمد علي اليحاوي: دار النهضة للطباعة والنشر القاهرة، د.ط، ص2.

وقال الزركشي: «إن الحكم والأمثال تصور المعاني تصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبتوا في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، بخلاف المعاني المعقولة فإنها مجردة عن الحس ولذلك دقت ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما عند السامع... وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والشاهد بالغائب، فالمرغب بالإيمان مثلا إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه». (1)

ومن هنا تعددت الأمثال في الحديث النبوي الشريف فمنها ما يتعرض للحث على فعل الخيرات واجتناب المنكرات، ومنها ما يصور طبائع الناس واختلاف قلوبهم تبعا لتصرفاتهم.

ومن الأغراض والقيم البيانية الواضحة للأمثال النبوية:

1- إبراز المعقولات في صورة المحسوسات: وذلك بتقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل، مثل قوله ﷺ: « مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما: فأما المنفق فلا ينفق إلا سبقت أو وفرت على جلده حتى تخفي ثيابه وتعفوا أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها، ولا تتسع». (2)

2- الأمثال تبعث في النفس دواعي الخير حين يكون الممثل مما ترغب النفس وتميل إليه أو التنفير عن الشيء حين يكون الممثل بهم مما تنفر منه النفس وتشمئز، قال ﷺ: « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها». (3)

1- الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح أبو الفصل أحمد علي، دار الحديث، د.ط، 2006م، ص 327.

2- المدونة، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل، ص 268.

3- المدونة، كتاب فضائل القرآن على سائر الكلام، باب فضائل القرآن على سائر الكلام، ص 979.

- 3- الأمثال تكشف عن الحقائق وترينا الغائب في صورة الحاضر مثل قوله ﷺ: «... ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياها كما يحات ورق الشجر». (1)
- 4- يضرب المثل لمدح الممثل به كما في قوله ﷺ: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافته الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: "هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإن طينة أو طيبه مسك أذفر شك هدية»». (2)
- 5- يضرب المثل أيضا لذم الممثل به مثل قوله ﷺ: «يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة»». (3)
- 6- الإقناع بفكرة من الأفكار وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة مثل قوله ﷺ: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتفتلت أفتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون، أي فلان ما شأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمرم بالمعروف ولا أتيه، وأنهاكم عن المنكر وأتية»». (4)
- 7 - إثارة محور الطمع أو الرغبة يتجه الإنسان بمحرض ذاتي إلى ما يراد توجيهه له، وفي إثارة محور الخوف والحذر يبتعد الإنسان بمحرض ذاتي عما يراد إبعاده عنه مثل الأول قوله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل»». (5)
- ومثال الثاني قوله ﷺ: «العائد في هبته كالكلب يقيئ ثم يعود في قيئه»». (6)

1- المدونة ، كتاب المرضى والطب ،باب ما جاء ي كفارة المرضى، ، ص 1086.

2- المدونة ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض، ص 1233.

3- المدونة ، كتاب الرقاق ، باب ذهاب الصالحين، ص 1210.

4- المدونة ، كتاب بدأ الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ص604.

5- المدونة ، كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة، ص1140.

6- المدونة ، كتاب الهبة وفضلها، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبة وصدفته، ص476

8- شحذ ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية أو استرضاء ذكائه لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكير: وجميع الأمثال القياسية من هذا القبيل فهي تستدعي إلى التأمل والتفكير.

9- تقديم أفكار غزيرة جدا ودقيقة يحتاج بيانها عن غير طريق المثل كلاما طويلا جدا: وأمثله النوع الثاني المرسله كلها من هذا القبيل.

10- إيثار تغطية العبارة بالمثل تأدبا في اللفظ واستحياءً قال ﷺ : « **الحمو الموت** ». (1)

V- دلالة التمثيل النبوي على الحكم الشرعي: إن تشبيه الرسول ﷺ أمر بأمر لا يخلو مما يلي:

الأول: أن يكون ترغيبا فيه

الثاني: أن يكون ذما فيه، وتنفيرا منه

الثالث: أن يكون للإيضاح والبيان.

والأول إما أن يقترن بما يفيد الإلزام بالفعل أولا، فإن اقترن بما يفيد الإلزام بالفعل، فهذه دلالة التمثيل على الواجب وإن لم يقترن بما يفيد الدلالة على الإلزام بالفعل فهذه دلالة التمثيل على المستحب، فكل تمثيل تضمن مدح فعل أو مدح فاعله لأجله أو وعد عليه بخير عاجل أو آجل فهو مأمور به لكنه متردد بين الوجوب والاستحباب بحسب ما يقترن به. والثاني إما أن يقترن بما يفيد الإلزام بالترك أو لا.

فإن اقترن بما يفيد الإلزام بالترك، فهذه دلالة التمثيل على التحريم وإن لم يقترن بذلك فهذه دلالة التمثيل على الكراهة، فكل تمثيل تضمن ذم فعل، أو ذم فاعله لأجله أو توعده عليه بشر عاجل أو آجل فهو منهي عنه، لكنه مردد بين التحريم والكراهة بحسب القرينة(2).

1- المدونة، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا بمحرم ، ص1016.

2- ينظر، محمد بن عمر بازمول، المطالع والأصول في فهم أحاديث الرسول ج2، ص 137 وما بعدها.

وتشبيه الفعل بمباشرة الأمر المحرم دليل على تحريمه، « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير وذمه». (1)

وتشبيه الفعل بمثل السوء دليل على تحريمه « ليس لنا مثل السوء..... » (2) والتشبيه بالبهايم في الأمور المذمومة في الشرع مذموم منهي عنه

VI- الكتب المؤلفة في أمثال الرسول ﷺ : يمكن أن نميز :

- كتب خاصة بالأمثال عامة و احتوت على النزر القليل من أمثاله ﷺ مثل كتاب الأمثال لابن سلام الجمحي و كتاب الوسط في الأمثال للواحدي و مجمع الأمثال للميداني.

- كتب الحديث: و هي كتب جمعت فيها أحاديثه ﷺ و أفردت فيها أبواب للمثل النبوي مثل سنن الترمذي و جامع السيوطي...

- كتب مؤلفة خصيصا لأمثال الرسول ﷺ ، و يعتبر كتاب أمثال الحديث للرامهرمزي رائدا في هذا الباب و كتاب " أمثال الحديث" للعسكري و هو كتاب مفقود غير أننا نعثر على بعض النماذج و الأمثلة منه في بعض النقول و بعض كتب الحديث.

_ كتب البيان : مثل كتاب المجازات النبوية للرضي الذي خاض في البيان النبوي، و جاءت الأمثال مختلطة مع الأحاديث المجازية و الاستعارية الأخرى لأن ما يميز الأمثال هو البلاغة، و كتاب البيان و التبيين للجاحظ الذي ذكر عددا منها مما صار مثلا سائرا، و سنأتي إلى تفصيلها و إعطاء نماذج عنها.

1- كتاب الوسيط في الأمثال: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت468). (3)

كتاب الوسيط في الأمثال يشبه المعاجم في ترتيبه و تبويبه، فهو مرتب ألف بائيا بدءا بالهمزة حتى الياء، حيث بدأ بالأمثال التي تبتدئ بالألف ثم الباء ... و هكذا يقول في مقدمة

1- أخرجه مسلم، في كتاب الشعر، باب تحريم العب بالنردشير (من رقم 2260).

2- المدونة ، كتاب الهيئة وفضلها ، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته، ص476.

3- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، الوسيط في الأمثال، تحقيق: عفيف محمد بن عبد الرحمن، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، 1975م.

الكتاب: «فألفت هذا الكتاب و جعلته تسعة و عشرين بابا على حروف المعجم و سميته الوسيط في الأمثال إذ كنت قد صنفتها فيها البسيط و الوجيز». (1)

وقد ضمن الكتاب بعض أمثال الرسول ﷺ ، و هي إذا ما قورنت بالأمثال الواردة فيه قليلة جدا، ووردت هذه الأمثال في أبوابها حسب ترتيب الكتاب، و هي خمسة أمثال، كما أورد خمسة أخرى شرح بها بعض الأمثال الواردة فيه، ووردت هذه الأمثال في الأبواب التالية :

- كتاب الوسيط في الأمثال مما أوله حرف اللام: و من ذلك قولهم: « لن يهلك امرؤ عرف قدر نفسه» و قال أول من قاله أكرم بن صيفي و قيل رسول الله ﷺ. (2)

- من كتاب الوسيط في الأمثال، مما أوله حرف الميم: و من ذلك قولهم: « من حُقِرَ حُرِمَ» و شرح الحديث بحديث آخر «اتقوا النار و لو بشق تمر» (3)

- من كتاب الوسيط مما أوله حرف الهاء: من ذلك قولهم: «هدنة على دخن و جماعة على أذناء» وأول من قال ذلك رسول الله ﷺ (4)

- و من ذلك قولهم: «هما كفرسي رهان» و المثل من كلام علي و قيل أخذه عن رسول الله ﷺ: « كنت و أبو بكر كفرسي رهان ». (5)

- و من ذلك قولهم مما أوله لام و ألف: « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» أول من قال ذلك رسول الله ﷺ.

2- كتاب الأمثال لابن سلام الجمحي:

بوب ابن سلام الجمحي كتابه إلى أبواب حسب المعاني و الموضوعات، و جمع في كل باب أمثاله و عرف كتابه بدقة التبويب و « كتاب رائد فريد في بابه ذائع الصيت نابه الذكر، سبق بعده كتب في الأمثال، و لكنه فاقها جميعا، بل فاق ما جاء بعده من كتب، و

1- الواحدي، الوسيط في الأمثال، المقدمة.

2- الواحدي، المرجع نفسه ، ص150.

3- الواحدي، المرجع نفسه ، ص165.

4- الواحدي ، المرجع نفسه ، ص181.

5- الواحدي ، المرجع نفسه ، ص181.

يمكن إرجاع ذلك إلى عدة أسباب، منها ذلك التبويب الذي قام على أساس الموضوعات و المعاني الإنسانية و هو أمر ثري أن أبا عبيد لم يسبق إليه»
يقول فيه القفطي: « فرأيت من الإتقان و التحقيق ما لا شاهدته لغيره ». (1)
قال المحقق: « وفي الحق أنك تدهش حين تطالع الكتاب من تقسيمه و تبويبه و دقة إحصائه، و تعجب كيف استطاع أبو عبيد أن يحصر ما حصر من المعاني و الموضوعات و أن يبوب الكتاب عليها و أن يجمع في كل باب أمثاله ». (2)
و قد قسم الكتاب إلى حوالي عشرين بابا بدأها بمقدمة ذكر فيها سبعة عشر مثالا من أمثال الرسول ﷺ ثم بدأ يضع الأمثال تحت كل باب حتى أتمه، ومنها: جماع الأمثال في معاني المنطق و مساوئه، جماع الأمثال في مكارم الأخلاق.. جماع الأمثال في العلم و المعرفة... إلخ و ما يلاحظ على تلك الأمثال أنه جاء بها مهملة، و لم يذكر كثيرا من أخبارها، كما أورد الكثير من ألفاظ الغريب بدون تفسير.

يقول عنه البكري (ت487) في مقدمة كتابه " فصل المقال في شرح كتاب الأمثال":
«أما بعد فإنني تصفحت كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، فرأيت أنه قد أغفل تفسير كثير من تلك الأمثال، فجاء بها مهملة، و أعرض عن ذكر كثير من أخبارها، فأوردتها مرسلة، فذكرت من تلك المعاني ما أشكل، ووصلت تلك الأمثال بأخبارها ما فصل، و بينت ما أهمل، و نبهت على ما ربما أجمل، إلى أبيات كثيرة غير منسوبة نسبتها، و أمثال جملة غير مذكورة ذكرتها، و ألفاظ عدة من الغريب فسرتها» (3)

و ربما لم يعمد الجمحي إلى تفسير هذه الأمثال لأنه سبق و أن كتب في الغريب، و ليكون كتابا جامعاً مانعاً.

1- الامام الحافظ ابي عبيد القاسم بن سلام ، كتاب لأمثال ، تح: د عبد المجيد قطامش، دار المامون للتراث، دمشق، ط1، 1980، ص17.

2- ابن سلام ، كتاب الأمثال ، ص17.

3- ابن سلام، المرجع نفسه ، ص20.

لم يفرد أبو عبيد في كتابه الأمثال باباً للأمثال النبوية، غير أنه أورد ثلاثين مثلاً من الأمثال النبوية، و أدرجها مع الأمثال الأخرى، لكنه كان يشير عند كل مثال أنه حديث مرفوع إلى الرسول ﷺ، و يمكن أن نلاحظ على الكتاب مايلي:

- الكتاب ضم الكثير من الأمثال بأنواعها (أمثال العرب، و أمثال الحديث).

لم يذكر ابن سلام أمثال الرسول ﷺ في باب منفردة.

- أورد أمثال الرسول ﷺ القياسية: «مثل ... ومثل» و المرسلة مثل: «اعقلها و توكل»⁽¹⁾،

«أقبلوا ذوي الهنات عثراتهم»⁽²⁾، «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»⁽³⁾،

«لا تراءى ناراهما»⁽⁴⁾، «... زر غبا تزدد حبا»⁽⁵⁾... إلخ.

- و كان في بعض الأحيان يذكر المثل من أقوال العرب و يعقب عليه بما شابهه من أمثال

الرسول ﷺ مثل: قوله: «حذو القذة بالقذة» مأخوذ من قوله ﷺ: «هذه الأمة أشبه الأمم ببني

إسرائيل تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة»⁽⁶⁾.

- كما كان يذكر المثل و المثليين و حتى الثلاث و ما يشابهه من الشعر: مثل: قوله: «

اصطناع المعروف يقي مصارع السوء» و في حديث آخر: «أهل المعروف في الدنيا هم

أهل المعروف في الآخرة» و في حديث ثالث «السخي قريب من الله قريب من الناس،

قريب من الجنة بعيد عن النار»

و قال زهير بن أبي سلمى:

هو الجواد الذي يعطيك نائله** عفوا و يظلم أحيانا فتظلم.⁽⁷⁾

1- ابن سلام، كتاب الأمثال، ص214.

2- ابن سلام، المرجع نفسه، ص42.

3- ابن سلام، المرجع نفسه، ص222.

4- ابن سلام، المرجع نفسه، ص279.

5- ابن سلام، المرجع نفسه، ص379.

6- ابن سلام، المرجع نفسه، ص149.

7- ابن سلام، المرجع نفسه، ص165.

- كما كان يشرح بعض ما أشكل شرحا موجزا مثل: «لا تراءى نارهما أهل الشرك و أهل الإسلام». (1)

واللافت للنظر أن ابن سلام أورد سبعة عشر حديثا من الأحاديث القياسية و المرسلة في بداية الكتاب متتابعة، و ثلاثة عشر حديثا آخر في أبواب متفرقة من الكتاب، كما كان يذكر المثل من كلام العرب و يعقب عليه بما يشبهه من أمثال الرسول ﷺ ، لذلك يمكن القول أن ابن سلام ذكر في كتابه هذا من الأمثال النبوية ما يفوق الأربعين مثلا، و ليس ثلاثين فقط كما ذهب إليه بعض الباحثين.

3- **مجمع الأمثال للميداني:** جاء كتاب الميداني في ثلاثين بابا، و هو مرتب ألف بآيا بدءا بالهمزة حتى الياء، و جعل الباب التاسع و العشرين في أسماء أيام العرب دون الوقائع و الثلاثين في الأمثال النبوية حيث أفرد لها بابا بعنوان "نبذ من كلام النبي ﷺ و خلفائه الراشدين و السلف الصالحين" حيث ذكر فيه أحاديث شريفة و أقوالا للخلفاء الراشدين الأربعة، و أخرى لابن عباس و أبي الدرداء، و عمر بن عبد العزيز و الحسن البصري، و ما يلاحظ على الكتاب أنه كتاب شامل لذلك قال عنه مؤلفه: «... مشتمل على غنها و سمينها - يعني الأمثال-، محتو على جاهليها و إسلاميها» و عن منهجه يقول: «و جعلت الكتاب على نظام المعجم في أوائلها ليسهل طريق الطلب على تناولها، و ذكرت في كل مثل من اللغة و الإعراب ما يفتح الغلق، و من القصص و الأسباب ما يوضح الغرض» ... و جعلت الباب التاسع و العشرين في أسماء أيام العرب دون الوقائع، ... و جعلت الباب الثلاثين في نبذ من كلام الرسول ﷺ و كلام خلفائه الراشدين - رضي الله تعالى عنهم أجمعين- مما ينخرط في سلك المواعظ و الحكم و الآداب». (2)

و إن كان الميداني قد عمد إلى الأمثال العامة التي أوردها في كتابه يشرحها و يوضحها و يذكر مضربها، و يذكر ما جاء منها على صيغة "أفعل" في كل باب، فإنه لما

1- ابن سلام، كتاب الأمثال ، ص42.

2- أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني(ت518) ، مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع و النشر، الأسيطانة ، د.ط ، د.ت، ص 08 .

وصل إلى أمثال الرسول ﷺ في الباب الأخير، ذكر منها ثمان و خمسين مثلا مرصوفة
رصفا دون شرح أو سند أو مضرب، و من أمثلتها:

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده»⁽¹⁾

«الشؤم في المرأة و الفرس و الدار»⁽²⁾

«رأس الحكمة مخافة الله»⁽³⁾

«رب مبلغ أوعى من سامع»⁽⁴⁾

«العالم و المتعلم شريكان في الخير»⁽⁵⁾

كما افتتح كتابه بثلاثة أمثال من أمثاله ﷺ في باب الهمزة، و تحدث عن السياق الذي
قيلت فيه أول مرة و شرحها شرحا وافيا و ذكر لمن تضرب، و هي « إن من البيان
لسحرا»⁽⁶⁾ و قال عنه أنه يضرب في استحسان المنطق و إبداء الحجة البالغة.

«إن المنبت لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقى»⁽⁷⁾، يقال لمن يببالغ في طلب الشيء و يفرط
حتى ربما يفوته على نفسه.

«إن مما ينبت الربيع ما يقتل خبطا أو يلم»⁽⁸⁾ يضرب في النهي عن الإفراط.

و هكذا يصبح مجموع ما أورد الميداني في كتابه من أمثال الرسول ﷺ يفوق الستين مثلا كلها
من جوامع الكلم الدالة على حكمته البالغة ﷺ.

1- الميداني، مجمع الأمثال، ص 417 .

2- الميداني، المرجع نفسه ، ص 417 .

3- الميداني، المرجع نفسه ، ص 417 .

4- الميداني، المرجع نفسه ، ص 418 .

5- الميداني، المرجع نفسه ، ص 418 .

6- الميداني، المرجع نفسه ، ص 10 .

7- الميداني، المرجع نفسه ، ص 10 .

8- الميداني، المرجع نفسه ، ص 10 .

4- كتاب الأمثال من الكتاب و السنة للحكيم الترمذي (ت 255هـ و قيل بعدها):

جاء الكتاب في ثلاثة أقسام: الأول لأمثال القرآن، و الثاني لأمثال الحديث و الخبر، و الثالث لأمثال الحكماء، و في كتابه هذا جمع الحكيم الترمذي سبعة و عشرين مثلاً نبويًا، لكن هذا عدد بسيط مقارنة بما أورده مما أسماه " أمثال الحكماء " حيث قال محقق الكتاب: « و مما تجدر الإشارة إليه هنا أن المؤلف لم يقصد الاستقصاء في واحد من هذه الأقسام، بدليل أنه ترك كثيرا من أمثال القرآن الكريم، و أمثال الأخبار»⁽¹⁾، ثم رجح أنه «قصد إلى نماذج من هذه الأمثال فيها عظة و عبرة، و تعليم و فقه و حكمة و دين، و حاول دائما أن يكون أثره عظيما، و عظاته أشمل»⁽²⁾

و جاءت الأحاديث و الأخبار موقوفة على بعض الصحابة و التابعين، و قد حذف المؤلف الأسانيد، و يغفل أحيانا ذكر الصحابي راوي الحديث، كما لم يعن ببيان درجة الحديث: «على أنه في كل ما جاء به كان يدور في محيط القرآن الكريم و السنة المحمدية، حتى تلك الأمثال التي رواها عن الحكماء و العلماء، و التي ساقها من عنده أيدها بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية»⁽³⁾

5- سنن الترمذي: للإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت 275هـ) :

اختلفت طرائق جُماع الحديث في ترتيب أحاديث الرسول ﷺ و تبويبها فقد لجأ البخاري و مسلم إلى ترتيب الأحاديث حسب الأبواب الفقهية، و اقتصر أصحاب السنن كالترمذي و أبو داوود و النسائي و ابن ماجه على أحاديث الأحكام التي رتبوها حسب مواضيعها، بينما رتب آخرون الأحاديث حسب راويها من الصحابة، كما قام به أصحاب المسانيد كأحمد في مسنده، غير أنه لا أحد أفرد بابا للأمثال غير محمد الترمذي في سننه.

1- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب و السنة، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، الفجالة، القاهرة، دط، دت، ص 4 .

2- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، المرجع نفسه، ص 4 .

3- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، المرجع نفسه، ص 4 .

خصص الترميذي كتاباً للأمثال في جامعه تحت عنوان: " أبواب الأمثال عن الرسول ﷺ" وهي سبعة أبواب على أربعة عشر حديثاً، وقال عنه ابن العربي « ولم أرى أحداً من أهل الحديث صنفاً فأفرد لها باباً غير - أبي عيسى - والله دره، لقد فتح باباً، فما بنى قصرًا أو داراً، ولكن اختطَّ خطأً صغيراً، فنحن نقنع به ونشكره عليه». (1)

6- جامع السيوطي: حاول السيوطي جمع الحديث النبوي الشريف وسمى كتابه بالجامع و قد رتبته على حسب حروف الهجاء في الحرف الأول و ما بعده... لذا جاءت الأحاديث متسلسلة. و نعثر على الأمثال النبوية في حرف الميم لأنها تبدأ بكلمة "مثل" و كان عدد ما أورده اثنين و أربعين مثلاً. (2)

7- كتاب الأمثال في الحديث للرامهرمزي: يعد كتاب الأمثال النبوية للرامهرمزي من الكتب المهمة فقد جمع فيه أكثر أمثال الرسول ﷺ، و يعتبر كتاباً رائداً في بابها هذا و قد ذكر الإمام الرامهرمزي أن أمثال النبي ﷺ موافقة في مقاصدها و غاياتها أمثال التنزيل الكريم يقول في ذلك: « و هي على خلاف ما رويناها من كلامه المشاكلة و المشابهة للأمثال المذكورة عن متقدمي العرب، فإن تلك تقع مواقع الإفهام الموجز المجمل و هذا بيان و شرح و تمثيل يوافق أمثال التنزيل»، (3) يقصد القرآن.

أما منهجه في الكتاب، فقد اتبع الرامهرمزي في عرض الأمثال و تفسيرها مايلي:
- شرح غريبها من خلال توضيحها بأقوال المشاهير من علماء اللغة تارة مثل قوله ﷺ: «إن هذا القرآن مأدبة الله»، (4) ويروى مأدبة الله بفتح الدال، قال لي أبو موسى الحامض: من روى هذا بضم الدال فإنما أراد الوليمة، و من رواها بفتح الدال أراد أدب الله تعالى الذي أدب به عباده. و الاستشهاد لمعانيها بآيات من القرآن الكريم حيناً مثل قوله ﷺ: « أيها الناس

1- الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله (المعروف بابن العربي، عارضة الاحوذى بشرح صحيح البخاري، ج10، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1997م، ص222.

2- ينظر: عبد الهادي عبد المهدي، طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ، دار الاعتصام، د.ط، 1978م، ص31.

3- القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الرامهرمزي، كتاب الأمثال في الحديث، تحقيق: عبد العلي بن عبد الحميد الأعظمي، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط1، 1983م، المقدمة ص5 .

4- القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الرامهرمزي، كتاب الأمثال في الحديث، ص20 .

إنما أنا رحمة مهداة» استدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الزخرف: (1). [52].

- الاستشهاد بالشعر تارة، و بأقوال العرب و أمثالهم تارة أخرى من أجل بيان غايات و مقاصد الحديث مثل قوله ﷺ: «الحلال بين والحرام بين، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك». (2)
- و أنشدني محمد بن عطية السامي عن الزيادي:
يا قوم مالي و أبا ذؤيب *** كنت إذا أتيته من نغيب
يشم عطفي و يبز ثوبي *** كأنما أريته بريب
- و لقد قسم كتابه إلى سبعة أبواب و لم يسم الأجزاء الستة، و قسم الجزء السابع إلى مجموعات كل مجموعة من الأحاديث تحت اسم معين.
- نعت الجنة، نعت النار، نعت النساء، نعت القبائل، نعت الخيل، نعت السحاب
- و كان يروي سند الحديث كاملا
- و ضمن كتابه هذا الأحاديث السماعية و الأحاديث القياسية.

8- كتاب الأمثال في الحديث للأصفهاني: « و هذا الكتاب يشمل معظمه على الأمثال التي أسندت عن النبي ﷺ، و ألحق المؤلف في آخره أمثالا لبعض الحكماء، و بخاصة الأمثال المنسوبة إلى أكرم بن صفي الحكيم و الأمثال النبوية تنقسم إلى قسمين:

- الأول ما هو مثل بالمعنى المعروف أي القول السائر المشتهر على الألسنة ، و بدأ المؤلف كتابه به، و ذكر حوالي مئة وثلاث وعشرين مثلاً، ثم تناه بالقسم الثاني الذي من نوع التمثيل، و كان هدف المؤلف جمع هذه الحكم والأمثال النبوية فقط و لم يتعرض لها بالشرح و التأويل، بخلاف الرامهرمزي الذي يتكلم بإسهاب عن كل حديث فيه تمثيل». (3)

- و كان يذكر المثل بالأسانيد

- و يذكر له مختلف الروايات: مثل قوله ﷺ: «الحرب خدعة».

1- الرامهرمزي، كتاب الأمثال في الحديث، ص 16، 17.

2- الرامهرمزي، المرجع نفسه، ص 45 .

3- الأصفهاني ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، كتاب الأمثال في الحديث النبوي، تح عبد العلي عبد المحيد، دار السلفية، بومباي، الهند، ط1، م1982م، ص 14 .

- أخبرنا أبو خليفة ثنا ابن كثير ثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن سعيد بن ذي حمدان عن علي قال: سمى رسول الله ﷺ: «الحرب خدعة».

- أخبرنا ابن أبي سويد الزارع ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الحرب خدعة».(1)

و من الأمثال القياسية قوله ﷺ: حدثنا محمد بن العياش بن أيوب ثنا أحمد بن سنان ثنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن خالد بن الحارث عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: «مثل الآيات مثل غرزات منظومات في سلك انقطع السلك تتبع بعضها بعضا».(2)

و مجموع ما ذكر حوالي ثلاث مئة وستون مثلاً.

9- المجازات النبوية للشريف الرضي: الكتاب يدور بصفة عامة حول بلاغة الحديث النبوي و احتوى على عدد لا بأس به من الأمثال السائرة الموجزة من مثل: « هذا جبل يحبنا و نحبه»، (3) «هذه مكة رمتكم بأفلاذ أكبادها»، (4) «الآن حمى الوطيس»، (5) « الخيل معقود بنواصيها الخير»، (6) « إياكم و خضراء الدمن»، (7) « المؤمن مرآة أخيه»، (8) و كان كان شيء من بلاغة الحديث يأتي متفرقا أثناء شرحه أو التعليل عليه، أو كان الحديث يذكر مثلاً أو شاهداً لضرب بديعي لدى رجال البلاغة، كما كان يمثل على الحديث بأشعار العرب أحياناً.

1- الأصفهاني ، كتاب الأمثال في الحديث النبوي، ص 24 .

2- الأصفهاني ، المرجع نفسه، ص 193 .

3- الشريف الرضي (أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد الواسطي)، المجازات النبوية، تح: مروان العطية ومحمد

رضوان الداية، مؤسسة فؤاد للتجليد، بيروت، د.ط ، 1987م، ص 10 .

4- الشريف الرضي ، المرجع نفسه، ص 08 .

5- الشريف الرضي ، المرجع نفسه، ص 39 .

6- الشريف الرضي ، المرجع نفسه ، ص 46 .

7- الشريف الرضي ، المرجع نفسه، ص 62 .

8- الشريف الرضي ، المرجع نفسه، ص 71 .

و كان الرضي قد ألف التفسير الكبير " حقائق التنزيل و دقائق التأويل " ثم كتابه " تلخيص البيان " حيث عمد إلى كتاب الله يستخرج ما فيه من مجازات فطالبوه بدراسة الحديث الشريف على نفس الشاكلة، فجمع ثلاثمائة و ستين حديثا حلى محاسنها، و بين مبلغ البلاغة فيها، و أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه " المجازات " حيث قال: « ... فإني عرفت ما شافهتني به من استحسانك الخبيئة التي أطلعتها، و الدفينة التي أثمرتها من كتابي الموسوم بـ " تلخيص البيان عن مجازات القرآن " إني سلكت من ذلك محجة لم تسلك، و طرقت بابا لم يطرق، و ما رغبت إلي فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب يشمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ، إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعية و لمع البيان الغريبة و أسرار اللغة اللطيفة... فيكون هذان الكتابان لمعتان يستضاء بهما ». (1)

- لم يذكر أنه سلك في الكتاب طريق الاختصار و الإماءات الوجيزة الخفيفة و الإشارة حتى لا يشق و يجفو على القارئ.

- ثم يذكر أنه إذا ذكر في موضع ما فيه مجاز قد تقدم الكلام على نظير له، اقتصر على القول الأول طلبا للاقتصاد.

_ و ذكر أنه اعتمد على كتب الغريب، و أخبار المغازي، و مسانيد المحدثين الصحيحة بالإضافة إلى الموجز من كلامه الذي لم يسبق إلى لفظه.

منهجه في الكتاب: لم يرتب الرضي كتابه على أبجدية خاصة أو منهجية معينة حيث أورد أحاديثا و أجزاء منها بحسب اطلاعه، و كان يورد النص، و يعقبه بالإشارة إلى اللون البياني و يذكر ما يستدعي الذكر من المناسبة التي ورد فيها، شارحا إياها في إيجاز مبينا الوجه الذي يخرج إليه المعنى، و كثيرا ما يشير إلى القيمة الجمالية التي تلمزه.

مثال من كتاب المجازات:

يقول في الحديث الثامن في الترتيب: و من ذلك قوله ﷺ : « في الجنين غرة عبد أو أمة » و في هذا الكلام مجاز، لأنه عليه الصلاة و السلام إنما جعل العبد أو الأمة غرة

1- الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، مقدمة الكتاب.

لأنهما أفضل ما يملكه المالك، و أفخره و أظهره و أشهره و لذلك سمي أيضا في لسانهم
الفرس غرة، لأنه من أنفس ما يملك و لمثل هذا المعنى أيضا ما سمو الخيل جبهة.⁽¹⁾
و في الحديث المشهور: « ليس في الجبهة و لا في النخة، و لا في الكسعة صدقة » و
النخة: الرقيق، و من قال النخة بالضم قال: هي البقر العوامل، و الكسعة: الحمير. و هذا
أشهر الأقوال في هذا الحديث
قال ابن أحرر:

إن نحن إلا أناس أهل سائمة

و مالهم دونها حرث و لا غرر

أي ليس لهم زرع يعتمد، و لا خيل تقتعد

و قال آخر:

كل قتيل في كليب غرة

حتى ينال القتل آل مرة

يقول: كل قتيل نقتله بكليب من غير آل مرة عبد لا نقتله بواء و لا نرضى به كفاء ثم
يستنتج في الأخير خلاصة و فحوى الكلام بعد الاستدلال عليه من الحديث نفسه ومن
أشعار العرب يقول: « و كان فحوى الكلام أن العبد و الأمة و الفرس من أظهر الأسماء
المملوكة و أدلها على وفارة الثروة، و فخامة النعمة، لأن غيرها من الأعراض في الأكثر
لا يشتهر اشتهارها، و لا ينتشر انتشارها». ⁽²⁾

كما كان يشير إلى الحديث الاستعاري و يشرح الاستعارة الواردة فيه، أما إذا كان يجوز فيه
الوجهان فيقول: « في الكلام مجاز و استعارة»، و يشرح القول على الوجهين مثل قوله ﷺ:
« ويل لأقماع القول ويل للمصرين ». ⁽³⁾

1- الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص 14.

2- ينظر، الشريف الرضي، المرجع نفسه، ص 16.

3- الشريف الرضي، المرجع نفسه، ص 17.

و كان يشير إلى ما يثير فيه العجب من بعض الوجوه البلاغية و مثاله قوله ﷺ لحادي عطية: « يا أنجشة رفاً بالقوارير » قال: " و هذه استعارة عجيبة" ثم بين السبب بقوله: «لأنه عليه السلام شبه النساء في ضعف النحائز ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف و يصدعها اللطيف».(1)

فنهى عن أن يسمعن الحادي ما يحرك مواضع الصبوة و ينقض معاهد العفة. و هكذا سار على هذا المنوال إلى آخر الكتاب.

10- أمثال الحديث في البيان والتبيين: يبدو أن العسكري وغيره، ممن ضمنوا كتبهم أمثال الرسول ﷺ السائرة، كانوا قد تأثروا بالجاحظ (ت255هـ). فقد جاء في كتابه (البيان والتبيين) قوله: « وسنذكر من كلام لرسول الله ﷺ ، ما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه أعجمي، ولم يدع لأحد، ولا ادعاه أحد مما صار مستعملاً ، ومثلاً سائراً».(2)

وبرهن على سيرورتها أمثالا ، فقال: فمن ذلك قوله: " يا خيل الله اركبي" وقوله: " مات حتف أنفه"، وقوله: " لا تنتطح فيه عنزان"، وقوله: " الآن حمي الوطيس"، ولما قال عدي بن حاتم في قتل عثمان رضي الله عنه: " لا تحبب فيه عناق"، قال له معاوية بن ابي سفيان بعد أن فقئت عينه وقتل ابنه: يا ابا طريف، هل حبقت في قتل عثمان عناق؟ قال: أي والله، والتيس الأكبر. فلم يصر كلامه مثلاً. وصار كلام الرسول ﷺ مثلاً ، ومن ذلك قوله لأبي سفيان بن حرب : " كل الصيد في جوف الفرا"، ومن ذلك قوله : " هدنة على دخن وجماعة على أقداء" ومن ذلك قوله : « لا يلسع المؤمن من جحر مرتين».(3)

11- أمثال الحديث مع تقدمه في علوم الحديث: للدكتور عبد المجيد محمود والكتاب على قسمين : الأول في التقدمة في علوم الحديث، والثاني في الأمثال النبوية، وقد مهد له بالحديث عن معنى المثل وأنواعه وضرره وأهميته في الكلام وما إلى ذلك، ثم أورد أمثال التمثيل مقسمة حسب موضوعاته إلى خمسة أبواب، وعلق على كل مثل بشيء من الشرح

1- الشريف الرضي، المجازات النبوية ، ص 24 .

2- الجاحظ (ابي عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين ج2، دار الفكر للجميع، بيروت لبنان، د.ط، 1968م، ص43.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص43.

ثم أورد نماذج للمثل الموجز السائر، ثم خرّج الأحاديث التي سردها الميداني في آخر كتاب (مجمع الأمثال).

وللدكتور محمد جابر العلواني عدة ملاحظات على هذا الكتاب منها: « قلة ما تضمنه من الأمثال بالنسبة لما يتوقعه قارئ مقدمة الكتاب».(1)

12- الأمثال في الحديث النبوي الشريف: للدكتور محمد جابر فياض العلواني :

« وقد قسم الدكتور كتابه إلى قسمين : أحدهما للدراسة: فدرس فيه ما يتصل بالمثل من معناه اللغوي والاصطلاحي، وأنواع الأمثال، والمؤلفات في الأمثال النبوية، ومقارنة الأمثال النبوية والقرآنية بأمثال العهد القديم والجديد من الكتاب المقدس، وبأمثال العصر الجاهلي، وغير ذلك مما يتعلق بالمثل فجاءت دراسة معمقة، وجاء القسم الثاني بعنوان: أمثال الحديث المجموعة المخرّجة سرد فيه أحاديث الأمثال سردا مع تخريجها، مرتبة على الحروف الهجائية، وقد توسع الدكتور كثيرا في مفهوم المثل، وطبق ذلك المفهوم في اختياره للأمثال النبوية فبلغ عدد أحاديث الأمثال عنده (1386) مثلا منها (432) في الصحيحين أو أحدهما، وبلغ عدد الأحاديث المكررة (149) حديثا».(2)

13- الأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ مالك: إعداد عبد الله محمد المحمدي رسالة

ماجستير في جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين.

14- الأمثال النبوية في الصحيحين: (دراسة تحليلية للظواهر الصرفية والنحوية والدلالية)،

إعداد: محمد آدم عثمان حامد، رسالة دكتوراه في جامعة المدينة العالمية، كلية اللغات قسم اللغة العربية لدولة "ماليزيا" 2015م. والبحث في ثلاثة فصول وفصل تمهيدي تناول فيه مفهوم المثل وأهميته والتأليف في الأمثال ونصوص الأمثال في الصحيحين، والفصل الأول: الأمثال المتعلقة بالمستوى الصرفي والفصل الثاني : الأمثال المتعلقة بالمستوى التركيبي النحوي، والفصل الثالث: الأمثال المتعلقة بالمستوى الدلالي.

1- ينظر جابر العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، ص 49.

2- ينظر جابر العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، ص 9 و 543.

VII- نصوص الأمثال النبوية في صحيح البخاري:

VII-1- نصوص الأمثال المرسلة في صحيح البخاري:

✓ كتاب الإيمان:

- « بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً». (1)
- « الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان». (2)
- « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». (3)
- « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (4)
- « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار». (5)
- « آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار». (6)
- « إنك امرؤ فيك جاهلية». (7)
- « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان». (8)
- « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة». (9)

-
- 1- المدونة، كتاب الإيمان، باب: دعائكم إيمانكم، ص11.
 - 2- المدونة، كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان، ص12.
 - 3- المدونة، كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ص12.
 - 4- المدونة، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص12.
 - 5- المدونة، كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، ص13.
 - 6- المدونة، كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار، ص13.
 - 7- المدونة، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ص16.
 - 8- المدونة، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، ص16.
 - 9- المدونة، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، ص17.

- « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». (1)
- « سباب السلم فسوق وقتاله كفر». (2)

✓ كتاب العلم :

- « ويل للأعقاب من النار». (3)
- « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». (4)
- « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا». (5)
- « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». (6)
- « ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا». (7)
- « فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة». (8)
- « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض». (9)
- « لا حسد لا في إثنين: رجل أتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها». (10)
- « كيف وقد قيل؟». (11)
- « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل». (12)

-
- 1- المدونة، كتاب الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان، ص17.
 - 2- المدونة، كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ص19.
 - 3- المدونة، كتاب العلم، باب: من رفع صوته بالعلم، ص23.
 - 4- المدونة، كتاب العلم، باب: من سئل علما، ص23.
 - 5- المدونة، كتاب العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ص26.
 - 6- المدونة، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ص26.
 - 7- المدونة، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، ص32.
 - 8- المدونة، كتاب العلم، باب: العلم والعظة بالليل، ص35.
 - 9- المدونة، كتاب العلم، باب: الإنصات للعلماء، ص36.
 - 10- المدونة، كتاب العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، ص28.
 - 11- المدونة، كتاب العلم، باب: الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، ص30.
 - 12- المدونة، كتاب العلم، باب: من سأل فهو قائم عالما جالسا، ص37.

✓ كتاب الصلاة:

- « أن الولاء لمن أعتق ». (1)

✓ كتاب مواقيت الصلاة:

- « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله ». (2)

- « من ترك صلاة العصر فقط حبط عمله ». (3)

✓ كتاب الآذان:

- « ولو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا ». (4)

- « والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء ». (5)

✓ كتاب الحيض:

- « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحدان ». (6)

✓ كتاب الجنائز:

- « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ». (7)

- « الصبر عند الصدمة الأولى ». (8)

1- المدونة، كتاب الصلاة، باب: ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، ص98.

2- المدونة، كتاب مواقيت الصلاة، باب، إثم من فاتته العصر، ص113.

3- المدونة، كتاب مواقيت الصلاة، باب: من ترك العصر، ص113.

4- المدونة، كتاب الآذان، باب: الاستهام في الآذان، ص123.

5- المدونة، كتاب الآذان، باب: وجوب صلاة الجماعة، ص128.

6- المدونة، كتاب الحيض، باب: ترك الحائض للصوم، ص69.

7- المدونة، كتاب الجنائز، باب: ليس منا من شق الجيوب، ص239.

8- المدونة، كتاب الجنائز، باب: الصبر عند الصدمة الأولى، ص241.

- « إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا». (1)

✓ كتاب الزكاة:

- « اتقوا النار ولو بشق تمرّة». (2)

- « سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه». (3)

- « اليد العليا خير من اليد السفلى». (4)

- « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول». (5)

- « اشفَعوا تَوْجَرُوا». (6)

- « لا توكي فيوكي عليك». (7)

- « على كل مسلم صدقة». (8)

- « فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرّة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة». (9)

- « ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر». (10)

1- المدونة، كتاب الجنائز، باب: إنا بك لمحزونون، ص241.

2- المدونة، كتاب الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرّة، والقليل من الصدقة، ص263.

3- المدونة، كتاب الزكاة، باب: الصدقة باليمين، ص264.

4- المدونة، كتاب الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ص266.

5- المدونة، كتاب الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ص265.

6- المدونة، كتاب الزكاة باب: التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ص266.

7- المدونة، كتاب الزكاة باب: التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ص266.

8- المدونة، كتاب الزكاة، باب: على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، ص268.

9- المدونة، كتاب الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، ص263.

10- المدونة، كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، ص274.

- « إن هذا المال خضرة حلوة». (1)
- « ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحي، أو لا يسأل الناس إحافا». (2)
- « إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال». (3)

✓ كتاب الصوم:

- « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». (4)
- « لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك». (5)
- « إن في السحور بركة». (6)
- « ليس من البر الصوم في السفر». (7)
- « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب». (8)

✓ كتاب البيوع:

- « الحلال بين والحرام بين». (9)
- « من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه». (10)
- « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى». (11)

-
- 1- المدونة، كتاب الزكاة، باب: الاستغفار عن المسألة، ص274.
 - 2- المدونة، كتاب الزكاة، باب: قوله تعالى " لا يسألون الناس إحافا"، ص275.
 - 3- المدونة، كتاب الزكاة، باب: قوله تعالى " لا يسألون الناس إحافا"، ص275.
 - 4- المدونة، كتاب الصوم، باب: من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية، ص345.
 - 5- المدونة، كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إن شتم، ص346.
 - 6- المدونة، كتاب الصوم، باب: بركة السحور من غير إيجاب، ص348.
 - 7- المدونة، كتاب الصوم، باب: قول ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر " ليس من البر الصوم في السفر"، ص353.
 - 8- المدونة، كتاب الصوم، باب: سواك الرطب واليابس للصائم، ص351.
 - 9- المدونة كتاب البيوع، باب: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، ص371.
 - 10- المدونة، كتاب البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، ص374.
 - 11- المدونة، كتاب البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ص375.

- « لا صاعين يصاع، ولا درهمين بدرهم». (1)
- « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا». (2)
- « إذا بعث فكل، وإذا ابتعت فاكتل». (3)
- « إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له». (4)
- « لا تلقوا الركبان، ولا يبيع حاضر لباد». (5)
- « البر بالبر ربا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء». (6)
- « بيع المسلم من المسلم لا داء ولا خبثة ولا غائلة». (7)
- « الحلفُ منفقة للسلعة ممحقة للبركة». (8)

✓ كتاب الوكالة:

- « إن خياركم أحسنكم عطاء». (9)
- « دعوه فإن لصاحب الحق مقالا». (10)

✓ كتاب الاستقراض:

- « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله». (11)

-
- 1- المدونة، كتاب البيوع، باب: بيع الخلط من التمر، ص76.
 - 2- المدونة، كتاب البيوع، باب: ما يحق الكذب والكتمان في البيع، ص376.
 - 3- المدونة، كتاب البيوع، باب: الكيل على البائع والمعطي، ص384.
 - 4- المدونة، كتاب البيوع، باب: هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه، ص388.
 - 5- المدونة، كتاب البيوع، باب: هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه، ص388.
 - 6- المدونة، كتاب البيوع، باب: بيع التمر بالتمر، ص390.
 - 7- المدونة، كتاب البيوع، باب: إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، ص375.
 - 8- المدونة، كتاب البيوع، باب: قوله تعالى: "يحق الله الربا ويربي الصدقات..."، ص377.
 - 9- المدونة، كتاب الوكالة، باب: الوكالة في قضاء الديون، ص416.
 - 10- المدونة، كتاب الوكالة، باب: الوكالة في قضاء الديون، ص416.
 - 11- كتاب الاستقراض، باب: من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، ص432.

- « مظل الغني ظلم ». (1)
- « لي الواجد يحل عقوبته وعرضه ». (2)
- « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات ». (3)
- « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ». (4)

✓ كتاب المظالم:

- « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة ». (5)
- « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ». (6)
- « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - وشبك أصابعه ». (7)
- « الظلم ظلمات يوم القيامة ». (8)
- « اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ». (9)
- « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين ». (10)
- « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ». (11)
- « في كل ذات كبد رطبة أجر ». (12)

-
- 1- المدونة، كتاب الاستقراض، باب: مظل الغني ظلم، ص434.
 - 2- المدونة، كتاب الاستقراض، باب: لصاحب الحق مقال، ص434.
 - 3- المدونة، كتاب الاستقراض، باب: ما ينهى عن إضاعة المال، ص436.
 - 4- المدونة، كتاب الاستقراض، باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إذا بإذنه، ص436.
 - 5- المدونة، كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ص444.
 - 6- المدونة، كتاب المظالم، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ص444.
 - 7- المدونة، كتاب المظالم، باب: نصر المظلوم، ص444.
 - 8- المدونة، كتاب المظالم، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، ص444.
 - 9- المدونة، كتاب المظالم، باب: الاتقاء والحذر من ودعوة المظلوم، ص445.
 - 10- المدونة، كتاب المظالم، باب: اثم من ظلم شيئاً من الأرض، ص445.
 - 11- المدونة، كتاب المظالم، باب: قوله تعالى: " وهو ألد الخصام".
 - 12- المدونة، كتاب المظالم، باب: الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها، ص447.

- « أربع من كن فيه كان منافقا، أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخل، وإذا عاهد غد، وإذا خاصم فجر»⁽¹⁾

✓ كتاب الشهادات:

- قال: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ -ثلاثا- قالوا: " بلا يا رسول الله، قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا وقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»⁽²⁾.

✓ كتاب الصلح:

- « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا»⁽³⁾.
- « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»⁽⁴⁾.
- « الخالة بمنزلة الأم"، "وقال لعلي: أنت مني وأنا منك" وقال لجعفر: " اشبهت خلقي وخلقلي" وقال لزيد: " أنت أخونا ومولانا»⁽⁵⁾.
- « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»⁽⁶⁾.
- « كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع الشمس يعدل بين الناس صدقة»⁽⁷⁾.
- « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»⁽⁸⁾.
- « من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا»⁽⁹⁾.
- « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"، " البركة في نواصي الخيل»⁽¹⁰⁾.

1- المدونة، كتاب المظالم، باب: إذا خاصم فجر، ص446.
 2- المدونة، كتاب الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، ص472.
 3- المدونة، كتاب الصلح، باب: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ص493.
 4- المدونة، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود.
 5- المدونة، كتاب الصلح، باب: كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان، ص493.
 6- المدونة، كتاب الصلح، باب: الصلح في الدية، ص494.
 7- المدونة، كتاب الصلح، باب: فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، ص495.
 8- المدونة، كتاب الجهاد واليسر، باب: الجنة تحت بارقة السيوف، ص523.
 9- المدونة: كتاب الجهاد واليسر، باب: فضل الصوم في سبيل الله، ص527.
 10- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ص528.

- « إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والمرأة والدار». (1)
- « الخيل لثلاثة: لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر». (2)
- « تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض». (3)
- « هذا جبل يحبنا ونحبه». (4)
- « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها». (5)
- « السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل إلى أهله». (6)
- « ففيهما فجاهد». (7)
- « لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم». (8)
- « الحرب خدعة». (9)
- « فكوا العاني - يعني الأسير - واطعموا الجائع وعودوا المريض». (10)
- « لا هجرة (بعد الفتح) ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا». (11)

-
- 1- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يذكر في شؤم الفرس، ص530.
 - 2- المدونة، كتب الجهاد والسير، باب: الخيل لثلاثة، ص530
 - 3- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، ص534.
 - 4- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الخدمة في الغزو، ص535.
 - 5- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله، ص535.
 - 6- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: السرعة في السير، ص545.
 - 7- المدونة، كتاب الجهاد و السير، باب: الجهاد بإذن الأبوين، ص545.
 - 8- المدونة، كتاب الجهاد و السير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل، ص546.
 - 9- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: الحرب خدعة، ص559.
 - 10- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير، ص563.
 - 11- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: لا هجرة بعد الفتح، ص568.

- « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا». (1)
- « الشهداء خمسة: المطعون، و المبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله». (2)
- « الطاعون شهادة لكل مسلم». (3)

✓ كتاب الجزية والموادعة:

- « أقركم على ما أقركم الله عليه». (4)
- « لكل غادر لواء ينصب بغدرته يوم القيامة». (5)

✓ كتاب بدء الخلق:

- « إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموها فصلوا». (6)
- « ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه». (7)
- « إن الفتنة هاهنا إن الفتنة هاهنا (يشير إلى المشرق) من حيث يطلع قرن الشيطان». (8)
- « التثاؤب من الشيطان فإذا تتأهب أحدكم فليرده ما استطاع». (9)
- « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم». (10)

-
- 1- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير، ص528.
 - 2- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: الشهداء سبع سوى القتل، ص525.
 - 3- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: الشهداء سبع سوى القتل، ص525.
 - 4- المدونة، كتاب الجزية والموادعة، باب: الموادعة من غير وقت، ص591.
 - 5- المدونة، كتاب الجزية والموادعة، باب: إثم الغادر للبر والفاجر، ص591.
 - 6- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر، ص594.
 - 7- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ص606.
 - 8- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ص607.
 - 9- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ص608.
 - 10- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ص607.

- « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن». (1)

✓ كتاب أحاديث الأنبياء:

- « الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تتاكر منها اختلف». (2)
- « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام -إذا فقهوا». (3)
- « إنكن صواحب يوسف». (4)
- « مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح». (5)
- « وهل من نبي إلا وقد رعاها؟ - (الغنم)». (6)
- « نساء قريش خير نساء ركبن الإبل أحناه على طفل وأرعاه على زوج في ذات يده». (7)
- « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه». (8)
- « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». (9)
- « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها فباعوها». (10)
- « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». (11)

-
- 1- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع شعف الجبال، ص 610.
- 2- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: الأرواح جنوده مجنّدة، ص 616.
- 3- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: " لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين"، ص 628.
- 4- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: " لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين"، ص 627.
- 5- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: " هل أتاك حديث موسى"، ص 631.
- 6- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: يعكفون على أصنام لهم، ص 635.
- 7- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: " إذ قالت الملائكة يا مريم....."، الآية، ص 642.
- 8- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ص 645.
- 9- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ص 646.
- 10- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ص 646.
- 11- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ص 650.

- « إذا لم تستح فافعل ما شئت ». (1)

✓ كتاب المناقب:

- « ابن أخت القوم منهم ». (2)

✓ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ:

- « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته ». (3)

✓ كتاب مناقب الأنصار:

- « ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله ». (4)

✓ كتاب المغازي:

- « أهجهم أو هاجهم وجبريل معك ». (5)

- « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان والحكمة يمانية والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم ». (6)

- « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ». (7)

- « اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب ». (8)

- « إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ». (9)

- « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ». (10)

-
- 1- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني اسرائيل، ص 651.
 - 2- المدونة، كتاب المناقب، باب: ابن أخت القوم ومولى القوم منهم، ص 656.
 - 3- المدونة، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ص 676.
 - 4- المدونة، كتاب مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهلية، ص 708.
 - 5- المدونة، كتاب المغازي، باب: غزوة الأحزاب، ص 764.
 - 6- المدونة، كتاب المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ص 810.
 - 7- المدونة، كتاب المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ص 801.
 - 8- المدونة، كتاب المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ص 802.
 - 9- المدونة، كتاب المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ص 803.
 - 10- المدونة، كتاب المغازي، باب: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصل، ص 819.

- لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين». (1)
- « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». (2)
- « ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، "ألا هل بلغت؟، قالوا نعم، قال: اللهم اشهد- ثلاثا». (3)
- « يرحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر». (4)

✓ كتاب تفسير القرآن:

- « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين». (5)
- « لولا حدثان قومك بالكفر؟ ». (6)
- « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار». (7)
- « من حلف بيمين صبر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان». (8)
- « غضبان». (8)
- « بينتك أو يمينه ». (9)
- « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانا». (10)
- « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». (11)

-
- 1- المدونة، كتاب المغازي، باب: نزول النبي ﷺ الحجر، ص818.
 - 2- المدونة، كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ص821.
 - 3- المدونة، كتاب المغازي، باب: حجة الوداع، ص813.
 - 4- المدونة، كتاب المغازي، باب غزاة الطائف، ص800.
 - 5- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " عليكم الغمام"، ص828.
 - 6- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل..."، ص829.
 - 7- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " من الناس من يتخذ من دون الله أندادا..."، ص832.
 - 8- المدونة، كتاب تفسير القرآن إن الذين يشتركون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا..."، ص824.
 - 9- المدونة، كتاب تفسير القرآن إن الذين يشتركون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا..."، ص824.
 - 10- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: لا ينفع نفسا إيمانها" ص86.3.
 - 11- المدونة، كتاب تفسير القرآن باب: " وكذلك أحد ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة.."، ص878.

- « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم». (1)
- « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله». (2)
- « البينة وإلا حد في ظهرك». (3)
- « ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه». (4)
- « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف». (5)
- « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار». (6)
- « أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا؟». (7)
- « ألا أخبركم بأهل الجنة؟: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار؟: كل عتل جواظ مستكبر». (8)
- « اعملوا فكل ميسر لما خلق له». (9)

✓ كتاب فضائل القرآن:

- « خيركم من تعلم القرآن وعلمه». (10)
- « أعطها ولو خاتما من حديد». (11)

✓ كتاب النكاح:

-
- 1- المدونة، كتاب تفسير القرآن باب: " أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم"، ص884.
 - 2- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام، ص882.
 - 3- المدونة، كتاب تفسير القرآن باب: " ويدراً عنها العذاب أن تشهر أربع شهادات بالله إنه على الكاذبين"، ص901.
 - 4- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " لا تبديل لخلق الله"، ص912.
 - 5- المدونة، كتاب تفسير القرآن باب: " ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون"، ص927.
 - 6- المدونة، كتاب تفسير القرآن باب: " وما يهلكنا إلا الدهر"، ص928.
 - 7- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " ليغفر ل كاهلا ما تقدم من ذنبك وما تأخر..."، ص930.
 - 8- المدونة، كتاب تفسير القرآن باب: " عتل بعد ذلك زنيم"، ص951.
 - 9- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " فسنيصره للعسرى"، ص962.
 - 10- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، ص980.
 - 11- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، ص980.

- « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ». (1)
- « أما والله إنني لأخشاكم لله، واتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ». (2)
- « تتكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فإظفر بذات الدين تربت يداك ». (3)
- « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك ». (4)
- « إن من البيان لسحرا ». (5)
- « أولم ولو بشاة ». (6)
- « إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها ». (7)
- « أجيئوا هذه الدعوة إذا دعيتهم لها ». (8)
- « المرأة كالضلع إن أقمتهما كسرتها، وإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج ». (9)
- « الحمو الموت ». (10)
- « فلا تفعل: صم وافطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا ». (11)

-
- 1- المدونة، كتاب النكاح، باب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ص986.
 - 2- المدونة، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ص986.
 - 3- المدونة، كتاب النكاح، باب: الأكفاء في الدين، ص990.
 - 4- المدونة، كتاب النكاح، باب: لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، ص1000.
 - 5- المدونة، كتاب النكاح، باب: الخطبة، ص1001.
 - 6- المدونة، كتاب النكاح، باب: الوليمة ولو بشاه، ص1004.
 - 7- المدونة، كتاب النكاح، باب: حق إجابة الوليمة والدعوة، ص1005.
 - 8- المدونة، كتاب النكاح، باب: إجابة الداعي في العرس وغيره، ص1006.
 - 9- المدونة، كتاب النكاح، باب: المداراة مع المساء وقول النبي ﷺ " إنما المرأة كالضلع"، ص1006.
 - 10- المدونة، كتاب النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، ص1016.
 - 11- المدونة، كتاب النكاح، باب: لزوجك عليك حق، ص1010.

✓ كتاب الطلاق:

- « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين » - وقرن بين السبابة والوسطى». (1)

✓ كتاب النفقات:

- « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار». (2)

✓ كتاب الأطعمة:

- « يا غلام: سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك». (3)
- « يأكل المسلم في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء». (4)

✓ كتاب الأشربة:

- « كل شراب أسكر فهو حرام». (5)

✓ كتاب المرضى والطب:

- « لا يرحم الله من عباده إلا الرحماء». (6)

✓ كتاب الطب:

- « وما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء». (7)
- « الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية نار، و أنهى أمتي عن الكي». (8)

1- المدونة، كتاب الطلاق، باب: اللعان، ص1029.

2- المدونة، كتاب النفقات، باب: فصل النفقة على الأهل، ص 1038.

3- المدونة، كتاب الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين، ص1049.

4- المدونة، كتاب الأطعمة، باب: المؤمن يأكل في معي واحد، ص1046.

5- المدونة، كتاب الأشربة، باب: الخمر من العسل وهو البتع، ص1078.

6- المدونة، كتاب المرضى والطب، باب: عيادة الصبيان، ص1088.

7- المدونة، كتاب الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ص1093.

8- المدونة، كتاب الطب، باب: الشفاء في ثلاثة، ص1093.

- « إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام». (1)
- « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجنوم كما تفر من الأسد». (2)
- « صدق الله وكذب بطن أخيك». (3)
- « الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء». (4)
- « العين حق». (5)
- « لا طيرة وخيرها الفأل». (6)
- « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة». (7)

✓ كتاب الأدب:

- « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعا وهات ووأد البنات وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». (8)
- « لا يدخل الجنة قاطع». (9)
- « ولكن لهم رحم أبلاها ببلالها ». (10) - يعني أصلها بصلتها.
- « ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها». (11)
- « من لا يرحم لا يُرحم». (12)

-
- 1- المدونة كتاب الطب، باب: الحبة السوداء، ص1094.
 - 2- المدونة، كتاب الطب، باب: الجذام، ص1096.
 - 3- المدونة، كتاب الطب، باب: دواء المبطون، ص1098.
 - 4- المدونة، كتاب الطب، باب: الحمى من فيح جهنم، ص1099.
 - 5- المدونة، كتاب الطب، باب: العين حق، ص1101.
 - 6- المدونة، كتاب الطب، باب: الطيرة، ص1103.
 - 7- المدونة، كتاب الطب: باب: الفأل، ص1104.
 - 8- المدونة، كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبار، ص1136.
 - 9- المدونة: كتاب الأدب، إثم القاطع، ص1137.
 - 10- المدونة، كتاب الأدب، باب: تبل الرحم ببلالها، ص1138.
 - 11- المدونة، كتاب الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ، ص1138.
 - 12- المدونة، كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص1139.

- « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - وقال بأصبعه السبابة والوسطى». (1)
- « ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». (2)
- « والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن؟ قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه». (3)
- « يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة». (4)
- « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». (5)
- « كل معروف صدقة». (6)
- « الكلمة الطيبة صدقة». (7)
- « إن الله يحب الرفق في الأمر كله». (8)
- « إن خياركم أحاسنكم أخلاقا». (9)
- « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». (10)
- « لا يدخل الجنة قتات». (11)
- « تجد من شرّ الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه». (12)

-
- 1- المدونة، كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيما، ص1140.
 - 2- المدونة، كتاب الأدب، باب: الوصاة بالجار، ص1141.
 - 3- المدونة، كتاب الأدب، باب: إثم من لا يؤمن جاره بوائقه، ص1142.
 - 4- المدونة، كتاب الأدب، باب: لا تحقرن جارة لجارتها، ص1142.
 - 5- المدونة، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ص1142.
 - 6- المدونة، كتاب الأدب، باب: كل معروف صدقة، ص1142.
 - 7- المدونة، كتاب الأدب، باب: طيب الكلام، ص1142.
 - 8- المدونة، كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، ص1143.
 - 9- المدونة، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، ص1144.
 - 10- المدونة، كتاب الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن، ص1145.
 - 11- المدونة، كتاب الأدب، باب: ما يكره من النميمة، ص1148.
 - 12- المدونة، كتاب الأدب، باب: ما قيل في ذي الوجهين، ص1148.

- « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام». (1)
- « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا». (2)
- « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال». (3)
- « إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا». (4)
- « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». (5)
- « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين». (6)
- « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». (7)
- « إن من الشعر حكمة». (8)
- « لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقت نفسي». (9)
- « إنما الكرم قلب المؤمن». (10)
- « يا أنجش رويدك سوقك بالقوارير». (11)

-
- 1- المدونة، كتاب الأدب، باب: ما ينهي في التحاسد والتدابير، ص1149.
 - 2- المدونة، كتاب الأدب، باب: " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن"، ص1149.
 - 3- المدونة، كتاب الأدب، باب: الهجرة، ص1150.
 - 4- المدونة، كتاب الأدب، باب: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"، ص1145.
 - 5- المدونة، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، ص1146..
 - 6- المدونة، كتاب الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ص1159.
 - 7- المدونة، كتاب الأدب، باب: إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ص1160.
 - 8- المدونة، كتاب الأدب، باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحذاء وما يكره منه، ص1162.
 - 9- المدونة، كتاب الأدب، باب: لا يقول خبثت نفسي، ص1167.
 - 10- المدونة، كتاب الأدب، باب: " إنما الكرم قلب المؤمن، ص1167.
 - 11- المدونة، كتاب الأدب، باب: من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفا، ص1170.

✓ كتاب الرقاق:

- « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». (1)
- « لو كان لابن آدم وديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب». (2)
- « حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره». (3)
- « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك». (4)
- « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». (5)
- « من سمع سمع الله به ومن يرائي يُرائي الله به». (6)
- « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». (7)
- « إنما الأعمال بخواتيمها». (8)
- « أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة». (9)
- « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل». (10)

✓ كتاب القدر:

- « جفَّ القلم بما أنت لاق». (11)
- « كل يعمل لما خلق أو لما يسر له». (12)

-
- 1- المدونة، كتاب الرقاق، باب: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ص1207.
 - 2- المدونة، كتاب الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال، ص1210.
 - 3- المدونة، كتاب الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات، ص1218.
 - 4- المدونة، كتاب الرقاق، باب: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك، ص1218.
 - 5- المدونة، كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة، ص1220.
 - 6- المدونة، كتاب الرقاق، باب: الرياء والسمعة، ص1220.
 - 7- المدونة، كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ص1222.
 - 8- المدونة، كتاب الرقاق، باب: الأعمال بالخواتم، ص1219.
 - 9- المدونة، كتاب الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، ص1208.
 - 10- المدونة، كتاب الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، ص1208.
 - 11- المدونة: كتاب القدر، باب: حف القلم على علم الله، ص1235.
 - 12- المدونة: كتاب القدر، باب: حف القلم على علم الله، ص1235.

- « ما استخلف خليفة إلا له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله». (1)

✓ كتاب الديات:

- « لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما». (2)

VII-2- نصوص الأمثال القياسية في صحيح البخاري:

✓ كتاب بدء الوحي:

- مثل بدء الوحي: عن أبي هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: « يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول». (3)

- و عن عائشة أم المؤمنين قالت: « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح». (4)

✓ كتاب الإيمان:

- مثل حلاوة الإيمان: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممن سواه، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار». (5)

- مثل أجر اتباع الجنائز: « من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها، ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقراطين كل قراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط ». (6)

1- المدونة، كتاب القدر، باب: المعصوم من عصم الله/ص1237.

2- المدونة، كتاب الديات، باب: قوله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم/ص1280.

3- المدونة، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي، ص7.

4- المدونة، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي، ص7.

5- المدونة، كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، ص13.

6- المدونة، كتاب الإيمان، باب: اتباع الجنائز من الإيمان، ص19.

✓ كتاب العلم:

- **مثل هدي الرسول ﷺ وعلمه:** قال ﷺ: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». (1)

- **مثل المسلم كمثل النخلة:** عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا يا رسول الله أخبرنا بها، فقال رسول الله ﷺ هي النخلة، قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا». (2)

✓ كتاب مواقيت الصلاة:

- **مثل الصلوات الخمس:** « رأيتم لو: أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: " لا يبقى من درنه شيئا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا». (3)

- **مثل عدم اعتدال المصلي في سجوده:** « اعتدلوا في السجود ولا يبسط ذراعيه كالكلب، وإذا بزق فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه فإنه يناجي ربه». (4)

✓ كتاب الجمعة:

- **مثل التبكير إلى صلاة الجمعة:** قال ﷺ: « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة

1- المدونة، كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلم، ص28.

2- المدونة، كتاب العلم، باب: الحياء من العلم، ص38.

3- المدونة، كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة، ص110.

4- المدونة، كتاب مواقيت الصلاة، باب: المصلي يناجي ربه عز وجل، ص111

الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضر الملائكة يستمعون الذكر». (1)

✓ كتاب الزكاة:

- مثل مال الذي لا ينفق: قال ﷺ: « من أتاه الله مالا لم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك». (2)

- مثل إنفاق مثل أحد ذهباً: قال ﷺ: « ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير، وإن هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون الدنيا لا والله لا أسألهم دنيا ولا استفتيهم عن دين حتى ألقى الله». (3)

- مثل الصدقة من كسب طيب: قال ﷺ: « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يرببها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوة حتى تكون مثل الجبل». (4)

مثل المتصدق والبخيل: قال ﷺ: « مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع». (5)

✓ كتاب الحج:

- مثل مفارق الرسول ﷺ: « عن عائشة قالت: "كأنني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم". (6)

1- المدونة: كتاب الجمعة، باب: فضل الجمعة، ص166.

2- المدونة، كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، ص260.

3- المدونة، كتاب الزكاة، باب: من أدى زكاته فليس بكنز، ص261.

4- المدونة، كتاب الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب، ص262.

5- المدونة، كتاب الزكاة، باب: مثل المتصدق والبخيل، ص268.

6- المدونة، كتاب الحج، باب: الطيب عند الإحرام، ص285.

✓ كتاب الشركه:

- مثل القائم على حدود الله والواقع فيها: قال ﷺ: « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب أسفلهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً». (1)

✓ كتاب فضائل المدينة:

- مثل المدينة المنورة: قال ﷺ: « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد». (2)

- مثل الإيمان في المدينة: قال ﷺ: « إن الإيمان ليزار إلى المدينة كما تزأر الحية إلى جحرها». (3)

- مثل كائد أهل المدينة: قال ﷺ: « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء». (4)

- مثل المدينة: قال ﷺ: « المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها». (5)

✓ كتاب الهبة وفضلها:

- مثل العائد في هبته: قال ﷺ: « ليس لنا مثل السوء، الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قبئه». (6)

1- المدونة، كتاب الزكاة، باب: هل يقرع في القسمة والاستفهام فيه، ص453
2- المدونة، كتاب فضائل المدينة، باب: فضائل المدينة، ص340.
3- المدونة، كتاب فضائل المدينة، باب: الإيمان يزأر إلى المدينة، ص341.
4- المدونة، كتاب فضائل المدينة، باب: إثم من كاد أهل المدينة، ص341.
5- المدونة، كتاب فضائل المدينة، باب: المدينة تنفي الخبث، ص342.
6- المدونة، كتاب الهبة وفضلها، باب: لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته، ص476.

✓ كتاب الجهاد والسير:

- **مثل المجاهد في سبيل الله:** قال ﷺ: « مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة». (1)
- **مثل درجات المجاهد في الجنة:** قال ﷺ: « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما ما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة». (2)
- **مثل الإمام يقاتل من ورائه:** قال ﷺ: « من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه». (3)

✓ كتاب بدء الخلق:

- **مثل الأمر بالمعروف ولا يأتيه:** قال ﷺ: « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتتذلق أفتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأناكم عن المنكر وآتية». (4)
- **مثل النائم ليله حتى يصبح:** ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح فقال: « ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه - أو قال - في أذنه». (5)

1- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ص518.

2- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: درجات المجاهد في سبيل الله، ص518.

3- المدونة: كتاب الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى منه، ص547.

4- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، ص605.

5- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ص606.

- مثل القائل لا إله إلا الله وحده لا شريك له: قال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك». (1)

✓ كتاب أحاديث الأنبياء:

- مثل علم الله مقارنة بعلم من علم العباد: قال ﷺ: « ... فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر». (2)

- فضل عائشة على النساء: قال ﷺ: « كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». (3)

- مثل الرسول ﷺ مقارنة ببقية الأنبياء عليهم السلام: قال ﷺ: « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فقال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». (4)

- مثل الترك: قال ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة». (5)
- «ولياتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله» (6)

1- المدونة، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ص 607.

2- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى، ص 632.

3- المدونة: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: " ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون، ص 636.

4- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خاتم النبيين، ص 658.

5- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: علامات النبوة في الإسلام، ص 666.

6- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: علامات النبوة في الإسلام، ص 666.

- **مثل خاتم النبوة:** قال السائب بن يزيد: « ذهب بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم بين كتفيه، قال إني عبد الله: " الحجلة من حجل الفرس الذي بين عينيه، قال إبراهيم في حمزة: " مثل زر الحجلة». (1)

✓ كتاب فضائل القرآن:

- **مثل قارئ القرآن:** قال ﷺ: « مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ریح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثّل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثّل الحنظلة طعمها مر ولا ریح لها». (2)

- **مثل الأمة الإسلامية:** قال ﷺ: « إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثّل اليهود والنصارى كمثّل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط، فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط، فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين قالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم في حقكم؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلي أوتيه من شئت». (3)

- **مثل تفصي القرآن:** قال ﷺ: « إنما مثل صاحب القرآن كمثّل الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت». (4)

قال ﷺ: « تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها». (5)

1- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خاتم النبوة، ص 659.

2- المدونة، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام، ص 979.

3- المدونة، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام، ص 979.

4- المدونة: كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، ص 981.

5- المدونة: كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، ص 981.

- مثل المارقين من الإسلام آخر الزمان: قال ﷺ: " يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة». (1)

✓ كتاب المرضى والطب:

- مثل المؤمن يصيبه البلاء: قال ﷺ: « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أنتها الريح كفأتها فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إن شاء». (2)

- مثل المؤمن يصيبه أذى: قال ﷺ: « ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياهم كما تحات ورق الشجر». (3)

- مثل الفرار من الجذام: قال ﷺ: « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد». (4)

✓ كتاب الأدب:

- مثل الساعي على الأرملة والمسكين: قال ﷺ: « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل». (5)

- مثل المؤمنين في ترحمهم: قال ﷺ: « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى». (6)

✓ كتاب الدعوات:

1- المدونة، كتاب فضائل القرآن، باب: إثم من رأى بقراءة القرآن، ص 985.

2- المدونة، كتاب المرضى والطب، باب، ما جاء في كفارة المرض، ص 1076.

3- المدونة، كتاب المرضى والطب، باب، ما جاء في كفارة المرض، ص 1076.

4- المدونة: كتاب المرضى والطب، باب: الجذام، ص 1096.

5- المدونة، كتاب الأدب، باب: الساعي على الأرملة، ص 1140.

6- المدونة، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ص 1141.

- **مثل ذنوب المؤمن:** قال ﷺ: « إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفيه فقال به هكذا - قال أبو شهاب: " بيده فوق انفه.... » (1).
- **مثل المهلّين:** قال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذاك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه» (2).
- **مثل الخطايا:** قال ﷺ: « من قال: سبحان الله ويحمده في يوم مائة مرة حطت خطايا، وإن كانت مثل زبد البحر» (3).
- **مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله:** قال ﷺ: « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» (4).

✓ كتاب الرقاق:

- **مثل في الأمل وطوله:** عن عبد الله رضي الله عنه قال: « خط النبي ﷺ خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خطا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: " هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به، وهذا خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطاه هذا نهشه هذا، وإن أخطاه هذا نهشه هذا» . **وعن أنس قال:** " خط النبي ﷺ خطوطا فقال: " هذا الأمل وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب» (5).
- **مثل الدنيا في الآخرة:** قال ﷺ: « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها» (6).

1- المدونة، كتاب الدعوات، باب: التوبة، ص1189.
 2- المدونة، كتاب الدعوات، باب: فضل التهليل، ص1205.
 3- المدونة، كتاب الدعوات، باب: فضل التسبيح، ص1205.
 4- المدونة، كتاب الدعوات، باب: فضل ذكر الله، ص1205.
 5- المدونة، كتاب الرقاق، باب: في الأمل وطوله، ص1208.
 6- المدونة، كتاب الرقاق، باب: مثل الدنيا في الآخرة، ص1207.

- **مثل زهاب الصالحين:** قال ﷺ: « يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفاله كحفالة الشعير والتمر لا يبلمهم الله به». (1)
- **مثل المال في الدنيا:** عن حكيم بن حزام قال: « سألت النبي ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال لي: يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع». (2)
- **مثل (المال) الذهب:** قال ﷺ: « لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر علي ثلاث ليال، وعندني منه شيء، إلا شيئاً أرصده لدين». (3)
- **مثل الفقير:** عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: « مر رجل على رسول الله ﷺ ، فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشرف الناس هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع، قال فسكت رسول الله ﷺ ، ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ : ما رأيك في هذا ؟ فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا ينكح إن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من ملء الأرض مثل هذا». (4)
- **مثل الرسول ﷺ ومثل ما بعثه الله به:** قال ﷺ: « مثلي ومثل ما بعثني الله كمثلي رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعيني وإني أن النذير العريان فالنجاه النجاه، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلم فنجوا، وكذبت طائفة فصبَّحهم الجيش فاجتاحهم». (5)

1- المدونة، كتاب الرقاق، باب: زهاب الصالحين، ص1210.

2- المدونة، كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: هذا المال خضرة حلوة، ص1211.

3- المدونة، كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً، ص1212.

4- المدونة، كتاب الرقاق، باب: فضل الفقر، ص1213.

5- المدونة، كتاب الرقاق، باب: باب الانتهاء من المعاصي، ص1217.

- **مثل الرسول ﷺ ومثل الناس:** قال ﷺ: « إن مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزهم عن النار، وهم يقتحمون فيها». (1)
- **مثل الأمانة:** قال ﷺ: « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيلقى أثرها مثل المرجل كجمر دحرجته على رجلك فنفظ فتراه منتبراً وليس فيه شيء، فيصبح فيه الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجده وما في قلبه مثقال حبة من إيمان». (2)
- **مثل بعث الرسول والساعة:** قال ﷺ: « بعثت أنا والساعة هكذا ويشير بإصبعيه فيمد بهما"، وقال: "بعثت أنا والساعة كهاتين - يعني أصبعين - ». (3)
- **مثل الأرض يوم القيامة:** قال ﷺ: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة...». (4)
- وقال ﷺ « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي - قال سهل وغيره - ليس فيها معلم لأحد». (5)
- **مثل أمة محمد ﷺ:** قال ﷺ: « إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود». (6)
- **مثل أهل الجنة:** قال ﷺ: « إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكواكب في السماء». (7)

1- المدونة، كتاب الرقاق، باب: باب الانتهاء من المعاصي، ص1217.

2- المدونة، كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة، ص1220.

3- المدونة، كتاب الرقاق، باب قول ﷺ ، بعثت أنا والساعة كهاتين، ص1221.

4- المدونة، كتاب الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، ص1224.

5- المدونة، كتاب الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، ص1224.

6- المدونة، كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر، ص1125.

7- المدونة، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ص1229.

- مثل أنبات المسلمين يوم القيامة: قال ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، أو قال حمية السيل، ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية». (1)
- مثل أهوال أهون النار عذابا: قال ﷺ : « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل والقمقم». (2)
- مثل الكوثر: قال ﷺ : « بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل، قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر شك هدبة». (3)

✓ كتاب الأحكام:

- مثل الحاكم: قال ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة». (4)

✓ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة:

- مثل الرسول ﷺ : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا فيها مأدبة ودعا داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل في المأدبة، فقالوا: أولوها له بفقهاها، فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة،

1- المدونة، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ص1229.

2- المدونة، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ص1229.

3- المدونة، كتاب الرقاق، باب: في الحوض، ص1233.

4- المدونة، كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة، للإمام، ص1330.

والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا فقد عصى الله...» (1).

✓ كتاب التوحيد:

- مثل من أوتي القرآن: قال ﷺ: « لا تحاسد إلا في اثنين: رجل أتاه الله القرآن فهو يربته آناء الليل وأطراف النهار فهو يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل أتاه الله مالا فهو ينفقه في حقه، فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي عملت فيه مثلما يعمل...» (2).

1- المدونة، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الإقتداء بسنن الرسول ﷺ، ص 1355.

2- المدونة، كتاب التوحيد، باب: رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ص 1402.

الفصل الثاني: السياق و الإشارات في المثل النبوي

1- الإشارات : المصطلح والمفهوم.

- تعريف الإشارات
- تعريف الإحالة
- علاقة الإشارات بالإحالة
- أنواع الإشارات

2- السياق في المثل النبوي.

- المرسل
- الرسالة
- المرسل إليه

3- الإشارات في المثل النبوي.

- الإشارات الشخصية
- الإشارات المكانية
- الإشارات الزمانية

I- الإشارات: المصطلح والمفهوم

توطئة: تندرج الإشارات "les diéctiques" ضمن العقل التداولي، وهي عبارة عن روابط إحالية لا تتحدد مراجعها إلا بوجود طرفي الخطاب (مُرسل، مستقيل) ضمن سياق كلامي معيّن، فالسياق له دور بارز في فهم هذه العناصر الإشارية وتأويلها تأويلاً مناسباً للتعرف على مقاصد المتكلم باعتبار أن القصدية "Intentionnaitite" تُعدّ مقوماً من مقومات النصّية "Textualite"، ويذهب الدارسون إلى أن الإشارات لا يكاد يستغني عنها تقريباً أي ملفوظ.⁽¹⁾

وهذا ما يؤكده "بارهيليل" "Bar-hillel" بقوله: «إن أكثر من تسعين بالمائة من التلَفُظَات التي ننطق بها في سياق حياتنا اليومية هي تَلَفُظَات إشارية يحددها السياق التلَفُظي الذي وردت فيه».⁽²⁾

ويبدو أن هذه التقنية في التحليل قد برزت على خارطة البحث التداولي في وقت متأخر نسبياً حيث أسهمت في بلورتها، الفلسفة المعاصرة للغة.⁽³⁾

I-1 تعريف الإشارات: الإشارات أو المشيرات الإحالية لدى "هانسون" "Hansson" المقصود بها هي «تلك الإحالات على مرجع، التي يريد المتكلم تبليغها إلى المخاطب بقريئة أحوال التخاطب المقامية والسياقية، والمقصود بالسياق في هذه الدرجة الموجودات، أو محدّدات الموجودات، ومن ثم فالسياق الوجودي الإحالي هو المخاطبون ومحدّدات الفضاء والزمن».⁽⁴⁾ فهي «علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي وردت فيه، لأنها خالية من معنى في ذاتها ورغم أن كل الكلمات في اللغة تحيل على مدلول معين. إلا أن الإشارات تتواجد في المعجم الذهني للمتكلمين باللغة دون ارتباطها بمدلول معين»⁽⁵⁾

1- أنظر: لنده قياس، تداولية الإشارات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي، مجلة أبوليوس، المجلد 5، العدد 09، جوان، 2018م، ص 47.

2- حافظ اسماعيلي العلوي، التداوليات، علم استعمال اللغة، منشورات عالم الكتب الحديثة، اريد، الأردن، ط1، 2011م، ص 441.

3- حافظ اسماعيلي العلوي، المرجع نفسه، ص 441.

4- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 38.

5- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 97.

فهي عناصر لغوية يقتضي الإلمامُ بمعناها معرفةً العناصر السياقية المحيطة بعملية التلطف لأنها لا ترتبط بمفهوم ثابت، ولذلك سميت بالمبهمات، « ويمكن إبهامها في كونها لا تدل على غائب عن الذاكرة أو عن النظر الحسي، فالتلطف بها يجب أن يكون في سياق يحضر فيه أطراف الخطاب، حضوراً عينياً أو حضوراً ذهنياً من أجل إدراك مرجعها». (1)

ويعرف "جورج يول" "J.yule" الإشارات بقوله: « تسمى التعبيرات الإشارية أيضاً "Indexicals" وهي أول الصيغ التي ينطق بها الأطفال الصغار، وتستعمل للإشارة إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي "Person diexis" (أنا، أنت) أو إلى المكان من خلال التأشير المكاني "Spatial diexis" (هنا، هناك) وإلى الزمان من خلال التأشير الزمني "Temporal diexis" وتعتمد جميع هذه التعبيرات في تفسيرها على متكلم ومستمع يشتركان في السياق ذاته» (2)

فتفسيرها يعتمد اعتماداً كلياً على السياق الذي قيلت فيه ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه. (3)

وتمكن أهميتها في أنها تدرس كيفية استعمال الإحالة "Reference"

I-2- تعريف الإحالة: Reference

يعد مصطلح الإحالة ضارياً في القدم، سبق وأن تناولته الدراسات العربية القديمة غير أن مفهومه يختلف بعض الشيء عن تلك الدراسات، خاصة من خلال تناوله في الدراسات النصية واللغوية الحديثة ولهذا السبب لا نعثر على تعريف موحد ومتفق عليه، بل نجد بعض الدراسات تتجاوز تعريفه وتدلُّ مباشرةً إلى أدوات الإحالة وأنواعها ودورها وما يتعلق بها، ونظراً لعلاقته بموضوع دراستنا سنقف على بعض تعريفاته الاصطلاحية.

يشير "دي بوجراند" في تعريفه للإحالة بقوله: « يتم تعريف الإحالة عادة بأنها العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تحيل إليه العبارات

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 80.

2- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتاي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م، ص 27.

3- ينظر، محمد أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط،

2002م، ص 16.

(...) ذات الطابع البدائي في نص ما إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص (...).
هذه العبارات ذات إحالة مشتركة». (1)

في حين احتفظ "جون لاينز" بالمفهوم التقليدي الدلالي للإحالة بأنها تلك «العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات». (2)

وتبنت الدراسات هذا المفهوم معتمدة على وصف العلاقة بين لغة ما والكون مُغفلة مستعمل اللغة، لكن "لاينز" عدل عن هذه النظره لاحقا واعتبر أن المتكلم هو الذي يحيل - بإستعماله لتعبير مناسب- أي أنه يُحمّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة، وهذا المفهوم هو الذي اعتمد في تحليل الخطاب إذ ينظر للإحالة على كونها عملا يقوم به المتكلم. (3)

ويدعمه المفهوم الذي يقدمه "ستراوسن" Strawson "بأن الإحالة « ليست شيئا يقوم به تعبير ما ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرًا معينًا». (4)

واستعمل كل من "هاليداي" و رقيّة حسن مصطلح الإحالة استعمالا خاصا في مؤلفها "الإتساق في اللغة الإنجليزية" وهو أن «العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها علمًا بأن كل لغة طبيعية تتوفر على عناصر تملك خاصية الإحالة». (5)

ونحاول فيمايلي "الاقتراب من معنى الإحالة أكثر فنقول «الإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في

1- روبرير دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص320.

2- أحمد عيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ط، د.ت، ص12.

3- ينظر: جليان براون، وجورج يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، د.ط، 1997م، ص36.

4- ينظر: جليان براون، وجورج يول، المرجع نفسه، ص36.

5- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991م، ص(16-17).

السياق أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم مثل الضمير واسم الإشارة واسم الموصول... إلخ. حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، فُصِدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية»⁽¹⁾.

فالمتكلم أو الكاتب هو الذي يُحمّل التعبير دلالة تكشف عن وظيفة إحالية ولهذا يشير "سيرل" إلى أننا إذا كنا نعني أن المتكلمين يحيلون، فإن التعبيرات لا تحيل أكثر من أن هؤلاء المتكلمين يصدرن وعودًا أو أوامر، ومن هنا خرج "براون و يول" بنتيجة مؤداها أنه في تحليل الخطاب ينظر للإحالة على أنه عمل يقوم به المتكلم/الكاتب، ولكن دون إغفال دور اللفظ الذي يحمل المعنى، فاللفظ هو الذي يحيل في نهاية الأمر بقصد المتكلم أو الكاتب.⁽²⁾

فالإحالة تجمع عناصر التخاطب إذ أنها علاقة بين عنصرين لغويين أو أحدهما لغوي والأخر خارجي، وتتم بقصد المتكلم/الكاتب ينتقل من خلالها لفك شفرات النص، ومن جهة أخرى ثاني الإحالة عن طريق ألفاظ واجبة الصدق « فإذا جاءت الإحالة إلى شيء مفرد فإنه يشار إليه بلفظ كمي وجودي "Existential quantifier" (...) بوصفه شيئًا موجودًا في عالم الحقيقة (...)، وإذا أشير إلى مجموعة كاملة من الأشياء أشير إليها بلفظ كمي كلي "Universal quantifier" (...) حتى تكون كل عبارة واجبة الصدق بالنسبة لكل فرد من الأفراد»⁽³⁾.*

1- ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص(12-13).

2- ينظر: أحمد عفيفي، المرجع نفسه، ص13.

3- روبر دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص172.

*- أشارت بعض البحوث إلى ضرورة أن تكون الإحالة صادقة أو صحيحة فأصحاب علم الدلالة الشكلاني يركزون على أهمية أن تكون العبارة المستعملة للإحالة على شيء صادقة/ صحيحة في وصفها لذلك الشيء، وعمومًا فمحلل الخطاب لا يهتم صحة الإحالة إنما تهتم قصد المتكلم الكاتب، وينصب اهتمام محلل الخطاب على نجاح الإحالة-أي كل ما يحتاجه هو أن يعتقد أنه باستعماله لهذه العبارة سيمكن للمستمع أن يتعرف على المسمى المقصود، لهذا فإن المفهوم الذي يهتم محلل الخطاب ليس صحة الإحالة بل الإحالة الناجحة، ويعتمد نجاح الإحالة على قدرة المستمع على التعرف على المسمى الذي قصده المتكلم باستعماله العبارة المحيلة وذلك لفهم الرسالة اللغوية الموجهة إليه. ينظر: دي بوجراند النص والخطاب والإجراء، ص(245-246).

ولم تحظ الإحالة بأهمية تذكر في الدرس اللساني كونها تعنى بخارج اللغة فهي «الوظيفة اللغوية التي يتمكن من خلالها الدليل اللغوي من الرجوع إلى موضوع ما في عالم غير لغوي واقع كان أم خيالاً»⁽¹⁾.

ولم تهتم لسانيات "دوسوسور" بالوظيفة المرجعية لأنها لا توجد في اللغة، بل تتموقع خارجها اللغوي، فكل دليل لغوي يؤمن الربط بين التصور والصورة السمعية، وهو في ذات الوقت يعود على الواقع غير اللغوي، ويصنفها رومان جاكوسين ضمن وظائف التواصل اللغوية الستة، ويرى أنها أساس كل تواصل، كونها تحدد العلاقات بين المرسل والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه.

أما اللسانيات التداولية فقد أولت الأهمية البالغة للوظيفة المرجعية لأنها تربط بين السياق اللغوي وسياق الموقف، الذي قيلت فيه العبارة ضمن الإستراتيجية التضامنية» واستعمال هذه الإستراتيجية يتجلى في الكيفية التي تستعمل فيها الضمائر بالنظر إلى توزيعها وتوزيعها ومرجعيتها وهي الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه، ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة الفروق بينهما، إجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه»⁽²⁾.

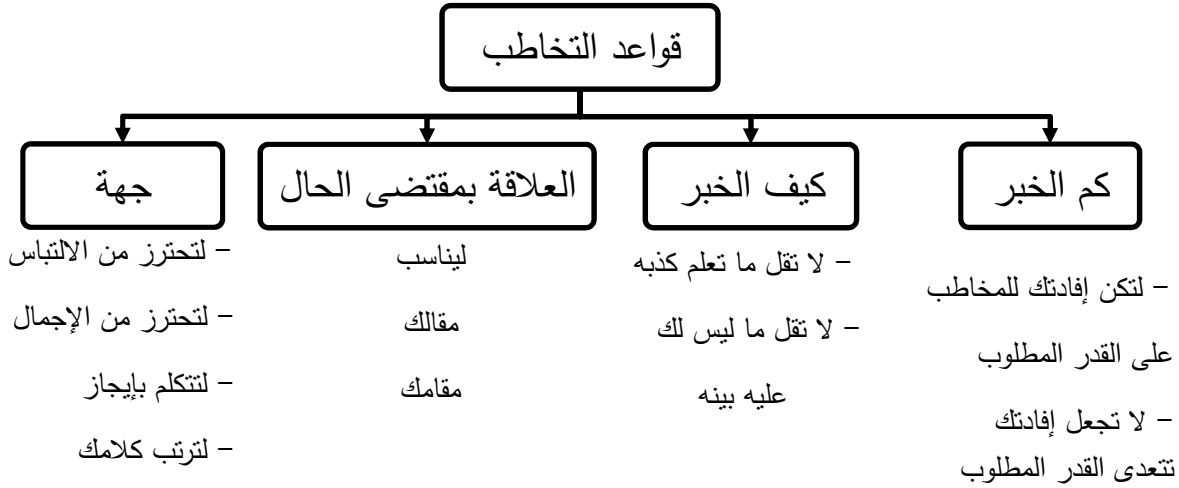
ومن شأن الخطاب بهذه الإستراتيجية أن يساوي بين درجات أطرافه وأن يقلص المسافات ويقلل الدرجات حتى تصبح العلاقة في نهاية الخطاب أفضل من بدايته، ويحدث التأثير، وتتحقق للتضامن سمته الغالية في اشتراك الجماعات في اهتمامها وسلوكها وتمثيل ذاتها، وتوجب هذه الإستراتيجية أن «يتعاون المتكلم و المخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محدد قبل دخولهما في الكلام أو يحدث تحديده أثناء هذا الكلام»⁽³⁾ ويبقى استعمال هذه الإستراتيجية مرهون بقصد المتكلم والهدف الذي يقتضيه منه الخطاب.

1 - J.Dubois, dictionnaire de linguistique, Larousse, 2002, p404.

2- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص257.

3- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص238.

وقد فرع "غرايس" عن هذه الإستراتيجية قواعد تخاطبية مختلفة قسمها أربعة أقسام، كل قسم منها تحت قاعدة مخصصة وهي: الكم والكيف والعلاقة والإضافة (العلاقة) والجهة.



ولقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معان صريحة، وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد، ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فنتقل الإفادة من ظاهرها الصريح إلى معان ضمنية ومجازية.⁽¹⁾

وإذا كانت العلاقة بسيطة بين طرفي الخطاب ضمن هذه الاستراتيجية فإن المرسل يسعى إلى تأسيسها بالتلفظ بالخطاب، ويساعده في ذلك قوانين الخطاب مثل: مبدأ التأدب لـ"روبين لاكوف" Robin Lakoff" ويقضي هذا المبدأ « أن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ»،⁽²⁾ وصاغت منه "لاكوف" القواعد التهذيبية الثلاثة:

1- قاعدة التعفُّف: لا تفرض نفسك على المخاطب.

2- قاعدة التشكُّك: لتجعل المخاطب يختار بنفسه.

3- قاعدة التودُّد: لتظهر الودَّ للمخاطب.

1- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 138 وما بعدها.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 258.

ومبدأ التأدب في الخطاب مقتضاه المساعدة على حفظ عُرى التواصل، بين طرفي العملية التخاطبية، فلا يخفى أن هذا الضرب من التهذيب يولي الأهمية البالغة في المتخاطب لعملية التبادل، وكل تبادل يهدف-لا شك- إلى تحقيق أغراض مشتركة أو متساوية، لذلك نجد « المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصاً على أن يحفظ عرى التواصل، حتى يجلب أقصى ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسه ولمخاطبه، فيجتهد في التوسل، بما يجب إقبال المخاطب على سماعه وفهم مراده وتلقيه له بالقبول طمعاً في أن يبادل نفسه الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة».⁽¹⁾

على أنه من الممكن أن يضمن المتكلم خطابه نفوراً من المرسل إليه وعدم رغبة في التواصل معه، وذلك يظهر من خلال الإخلال بقوانين الخطاب، فتفتشل عملية الإحالة ويخرج المعنى عن حقيقته إلى أغراض أخرى.

والملاحظ مما سبق أن هناك تداخل كبير بين الإشارات والإحالة ويمكن إبراز هذا التداخل فيما سيأتي.

I-3 علاقة الإشارات بالإحالة:

الإشارات مفهوم يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان حيث يُنجزُ الملفوظ، وينحصر دور هذه العناصر في تعيين المرجع الذي يشير إليه، وهي بذلك تضبط المقام الإشاري، وتتعلق دلالتها بهذا المقام لأنها غير ذات معنى ما لم يتعين ما تشير إليه فهي أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر، وهي تقوم بوظيفة تعويض الأسماء، وتتخذ محتوى مما تشير إليه.⁽²⁾

والإحالة فعل تداولي مرتبطة بموقف تواصل، مرتبطة بمخزون مشترك بين أطراف التخاطب، وذلك بتقدير الإمكانيات المتوفرة لدى المتلقي للتعرف على الذات المعنية بالإحالة، غير أن « ظاهرة الإحالة أدخل في التداول، منها في الدلالة، إذ أنها ترتبط بالمقام وتحديداً بالمعلومات التي يفترض المتكلم وجودها لدى المخاطب المحال عليه حين عملية التواصل»⁽³⁾، فهي تتداخل مع العناصر الإشارية وتتلاقى معها في كونها تحيل على مراجع

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 258.

2- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص (116-117).

3- ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم

ناشرون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2010م، ص 74.

غير ثابتة ولا محددة، وتبانين معها في كون الإحالة ترجع إلى السياق اللغوي، بينما يرجع العنصر اللغوي إلى السياق المقامي، وهي بهذا تتطابق مع الإحالة المقامية، وتعرف الإحالة المقامية على أنها «إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم (حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم) ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله أو مجملاً، إذ يمثل كائناً أو مرجعاً موجوداً مستقلاً بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم.

ومهما تعددت أنواع الإحالة فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع»،⁽¹⁾ فالإشارات تقابل «العناصر الإحالية التي ترتبط بالسياق وما يتعلق به من ملابسات».⁽²⁾

ويعود الفضل إلى اللساني الفرنسي "جان كلود ميلنر" "Jean claude milnor" في اقتراح نظرية لسانية في الإحالة الإشارية، والتي حاول من خلالها تعيين حدود التحليل اللساني في إسناد المراجع وتفسير ما تشكوه من نقص التعابير الإحالية، ويميز بين «إحالة حاصلة لتعيين مرجع العبارة، وإحالة محتملة لتعيين دلالاته المعجمية، وإذا كانت تعبير إحالي إحالة محتملة بمعزل عن استعمالها، فإنه لا يتسنى مقابل ذلك أن تكون له إحالة حاصلة إلا عند استعماله، فلا يمكن أن نسند مرجعاً - أي إحالة حقيقية - إلى تعبير إحالي إلا متى ما ظهر هذا التعبير في قول أنتجه المتكلم».⁽³⁾

ويتضح كلام "ميلنر" أكثر من خلال حديثه عن العنصر الإشاري والعائد أو ما يسميه "الإحالة الإشارية و الإحالة العائدية"، حيث يقول: «نلجأ في الإحالة العائدية إلى الجوار اللغوي في البحث عن تنمة للمعلومات التي تتخذ شكل المفسر، أي شكل تعبير مستقل إحاليًا مرتبط بالعنصر الإحالي بعلاقة مزدوجة (علاقة تقارن إحالي وعودة الذكر) ويُقرض هذا التعبير إحالته المحتملة إلى العنصر العائدي ممكناً إياه في الآن نفسه من

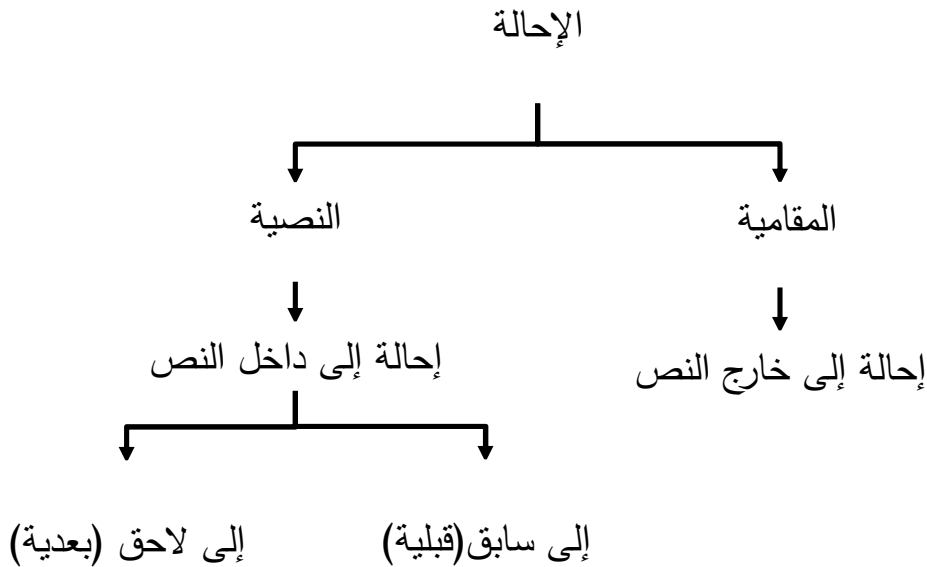
1- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص119.

2- بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصاً، المرجع نفسه، ص116.

3- جاك موشر، آن ربول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجذوب، منشورات دار بسياترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، ط2، ص374.

فرصة اكتساب إحالة حاصلة. أما في الإحالة الإشارية فإننا نتجه مباشرة إلى المحيط المادي للبحث عن المرجع سواء حددناه بجارحة من الجوارح فيسمى إشارة أو حددناه جزئياً بتعليمات متصلة لغوياً بالتعبير الإشاري»⁽¹⁾ ويتضح من خلال كلامه هذا أن الإحالة العائدية لغوية مبدئياً أما الإحالة الإشارية فهي بالمقابل تخلق المظاهر اللغوية بالمظاهر غير اللغوية. وعلى هذا يمكن أن نستخلص: أن الإشارات هي عناصر لغوية تحيل على مراجع خارجية غير محددة، أما الإحالة فتتقسم إلى قسمين:

- 1- إحالة نصية: تعود على مراجع مذكورة في النص: وهي إما إحالة قبلية إلى سابق أو إحالة بعدية إلى لاحق، وتقوم بدور فعال في اتساق النص وترابطه.
 - 2- إحالة مقامية: تتطابق مع الإشارات، وتساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم باتساقه بشكل مباشر.⁽²⁾
- وقد حددت أنواع الإحالة في المخطط التالي:



1- جاك موشر، أن ريول، المرجع السابق، (ص 375-376).

2- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 17.

I-4 أنواع الإشارات:

إن التلفظ يحدث من ذات بسمات معينة، وفي مكان وزمن معينين، هما مكان التلفظ ولحظته، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشارات، (الأنا- هنا- الآن). وعليه فإن أغلب الباحثين في مجال التداوليات على أن الإشارات ثلاثة أنواع: الإشارات الشخصية والزمانية والمكانية، وهناك من أضاف إليها الإشارات الخطابية فصارت بذلك أربعة، وأجملها آخرون في خمسة أنواع بإضافة الإشارات الاجتماعية.⁽¹⁾ وسنركز على الأنواع الثلاثة الأولى، لأن النوعين الباقيين يمكن الإشارة إليهما أثناء الحديث عن العلاقة التخاطبية بين المتكلم والمتلقي.

I-4-1 الإشارات الشخصية: تقوم هذه العناصر على مفهوم دور الشخص المشاركة في عملية التلفظ، وهي بشكل عام إشارات تدل على المتكلم أو المخاطب أو الغائب، وقد وضع النحاة الإغريق واللاتينيون تسمية الضمائر من خلال إجراء الاسم الذي يطلق على "الشخصية المسرحية" أو "الدور المسرحي" إجراء مجازيا وهذا الإجراء نفسه ذو صلة بتصورهم لوظيفة اللغة التي تمثل عندهم في مسرحية "يؤدي فيها المتكلم الدور الرئيسي، ويؤدي السامع دوراً آخر يرتبط بذلك الدور الأول، ثم جرت ترجمة هذا المصطلح إلى اللاتينية بإستعمال "Persona" ويعني القناع، وغير بعيد عن هذا إجراء لفظ "الضمير" عند النحاة العرب وما يتعلق بمفهوم الخفاء والدقة.⁽²⁾

وقد قسّموه من حيث الوضع إلى قسمين: بارز ومستتر.

فالبارز: هو الذي له صورة في اللفظ، ويكون منفصلاً ومتصلاً.

فالمنفصل: ما كان ظاهر الاستقلال في النطق، ك"أنا" و"نحن" وعلامته: صحة الابتداء به، ووقوعه بعد "إلا".

والم متصل: ما لا يبدأ به ك"الكاف" من أكرمك، ولا يقع بعد "إلا" فلا يقال: ما أكرمت إلاك.

1- ينظر: - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص82.

- محمد أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث، اللغوي المعاصر، ص17

- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م، ص27.

2- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص17.

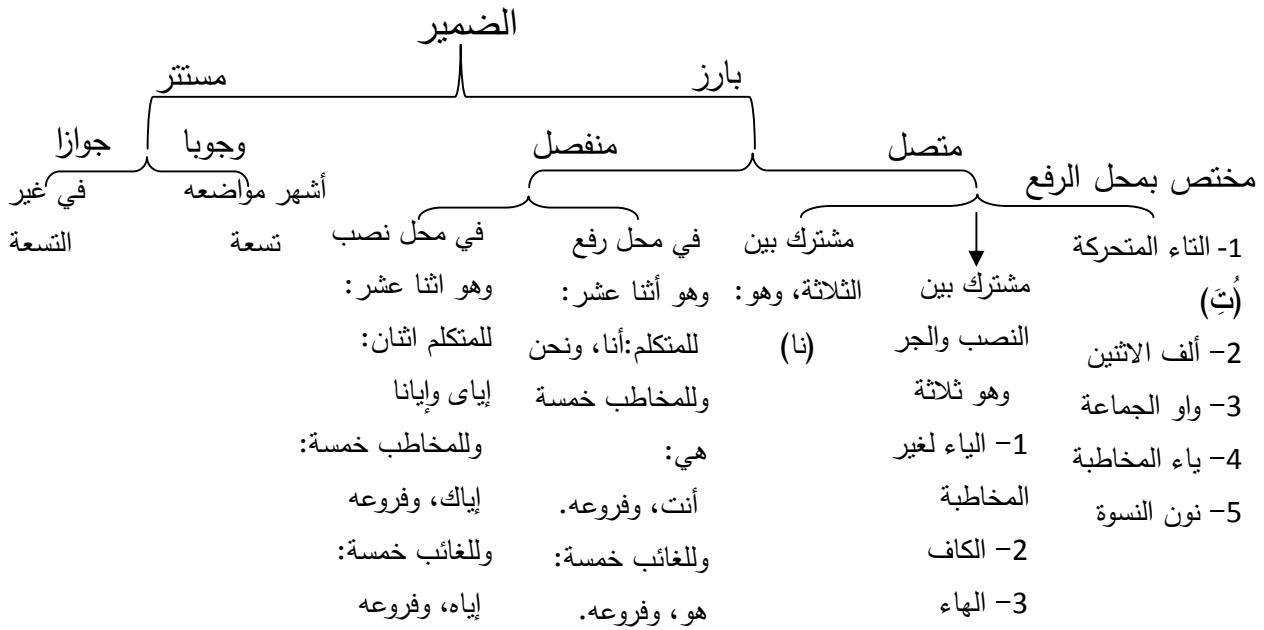
وأما **الضمير المستتر**: فهو ما ليست له صورة في اللفظ كالضمير الملحوظ في "فهم" ومنه المستتر وجوباً والمستتر جوازاً.

فالأول: لا يصح أن يحل محله الظاهر.

والثاني: يصح أن يحل محله الاسم الظاهر.⁽¹⁾

«والضمائر المستترة في النحو العربي ضرب من الإشارات التي تدرك الإحالة عليها من السياق، فلا يتلفظ بها المرسل، لدلالة الحال، عليها، ويتطلب البعض منها حضور أطراف الخطاب حضوراً عينياً في الأمر والنهي مثلاً: ففعل الأمر ينطوي على "أنت" الذي يوجه إليه الخطاب، وبالتالي تنوعت الضمائر بين المستتر وجوباً والمستتر جوازاً».⁽²⁾

ويتضمن الرسم الآتي كل ما سبق:



1- ينظر: محمد علي السراج، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، مراجعة وتنسيق: خير الدين شميمسي باشا، دار الفكر، د.ط، د.ت، ص(72-73).

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص83.

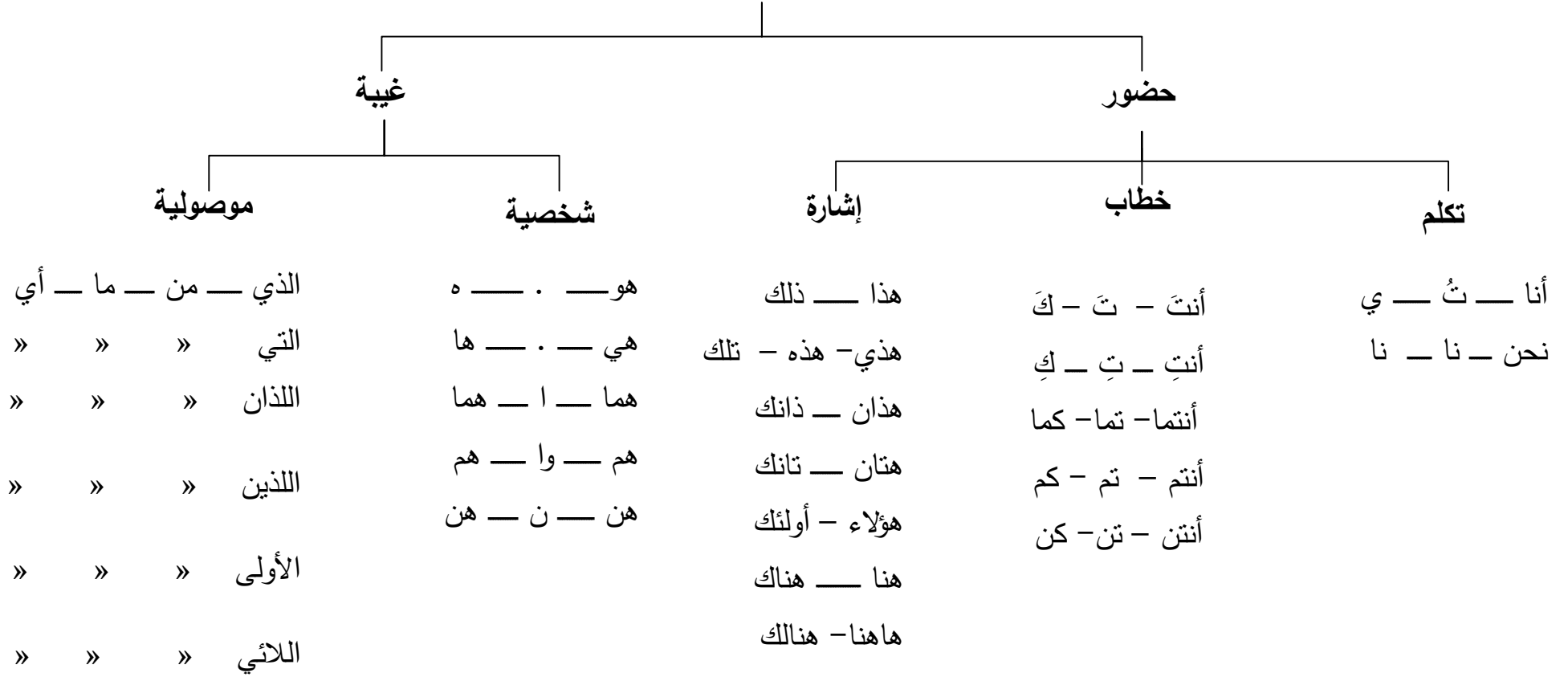
وتتفرع الضمائر حسب الحضور في المقام أو الغياب في العربية إلى: ضمائر الحضور وضمائر الغيبة، ولكل منها فروع، وضمائر الحضور هي أنواع ثلاثة: المتكلم والمخاطب والإشارة. أما ضمائر الغيبة: فقد تكون ضمائر شخصية وقد تكون موصولة*.

والحضور: قد يكون حضور تكلم ك"أنا" و"نحن"، وقد يكون حضور خطاب ك"أنت" وفروعها، أو حضور إشارة ك"هذا" وفروعها، والغيبة قد تكون شخصية كما في "هو" وفروعها، وقد تكون موصولة كما في "الذي" وفروعها،⁽¹⁾ وقد بين "تمام حسان" العلاقة بينها في الشكل التالي:

1- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م، ص(108-109).

* تجدر الإشارة في هذا المقام إلى اعتبار الموصول نوعاً من أنواع الضمير الذي يعني كل ما دل على حضور أو غيبة.

الضمير



نستخلص من ذلك أن الضمائر في اللغة العربية أقسام ثلاثة : ضمائر الشخوص - ضمائر الإشارة- ضمائر الموصول، « وجميعها مفتقرة إلى القرائن باعتبارها شرطا أساسيا، لدلالاتها على معيّن، فضمائر المتكلم والمخاطب والإشارة قرينتها الحضور، وأما ضمير الغائب فقرينته "المرجع المتقدم"، إما لفظاً أو رتبةً أو هُما معاً، فهذا المرجع هو القرينة التي تدل على المقصود بضمير الغائب، وأما الموصول فقرينته جملة الصلة التي تشرح المقصود منه، وترتبط به بواسطة ضمير فيها يعود عليه». (1)

والمعاني التي تحملها ضمائر الشخوص لا تخرج بأن تدل على:

1- النوع: التذكير والتأنيث.

2- العدد: الإفراد والتثنية والجمع.

3- الوضع: المتكلم، الخطاب، والغيبة.

وفي هذا يقول "سيبويه": « اعلم أن المضمّر المرفوع إذا حدّث عن نفسه فإن علامته "أنا"، وإذا حدّث عن نفسه وعن آخر قال: "نحن"، وإن حدّث عن نفسه وعن آخرين قال: "نحن"، وأما المضمّر المخاطب فعلامته إن كان واحداً: "أنت"، وإن خاطبت اثنين فعلامتهما: "أنتما"، وإن خاطبت جمعاً فعلامته "أنتم"، (...) ف"أنا" و"أنت" و"نحن" و"أنتم" لا يقع شيء منها في موضع من العلامات مما ذكرنا ولا في موضع المضمّر الذي لا علامة له لأنهم استغنوا بهذا، فأسقطوا ذلك». (2)

وما يمكن أن تجدر الإشارة إليه أن هذه الأصول غير ثابتة دائماً خاصة من خلال الممارسة التداولية، وذلك باستعمال اللغة حسب قصد المتكلم ومراعاتها للمقام، كاستحضار الغائب ومخاطبته بضمير المخاطب، ومخاطبة المفرد بضمير الجمع، "أنتم" مراعاة للفروق الاجتماعية، أو التحدث بـ"نحن" للمتكلم المفرد في مقام الافتخار، فالضمائر لا تدل بنفسها، ومعناها وظيفي يتعلق بالسياق الذي ترد فيه، وعلى المتلقي أن يكشف المرجع الذي تحيل عليه الضمائر في الخطاب.

1- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص111.

2- ينظر: سيبويه، الكتاب، تح: محمد عبد السلام هارون وآخرون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ج3، ص

أ- **ضمائر الحضور:** وتتمثل في ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب وأسماء الإشارة وسميت كذلك لوجود صاحبها أثناء الكلام، « فهو حاضر يتكلم بنفسه، أو حاضر يُكلمه غيره». (1)

وهذا الحضور يمكن أن يكون فعلياً ويمكن أن يكون ذهنياً بحيث يستحضر المخاطب المخاطب ويكلمه كأنه مائل أمامه.

وينوّه ابن يعيش بملايسات المقام وأحواله ضمن تراتبية تداولية- إن صح التعبير- بقوله: « فأعرّف المضمّرات المتكلم لأنه لا يوهمك غيره ثم المخاطب، والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة، وأعرفها تعريفاً كناية الغائب لأنه يكون كناية عن معرفة ونكرة، حتى قال بعض النحويين كناية النكرة نكرة». (2) وقد عبّر عن العالم الخارجي بلفظتي "الحضور والمشاهدة" جاعلاً أولوية الترتيب للمتكلم ثم المخاطب ثم الغائب.

ولا يتلفظ المرسل، بضمير المتكلم ابتداءً في خطابه خصوصاً عند اجتماعه بالمرسل إليه، « لأن ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة»، (3) ولا يلتقط به إلاّ عند افتراضه أي اعتراض مسبق أو تساؤل، أو عند حاجته لتوسيع فعله اللغوي في الخطابات المبدوءة بـ "نحن" مثلاً، إذ يشير الضمير إلى بعد ثقافي بإحالته لغوياً على جمع، رغم أن المرسل مفرد، وهذا التفاوت بين المرجعين الحقيقي والثقافي هو ما لا تختزنه كفاءة المرسل إليه للربط بين الضمير "نحن" ومرجعه المفرد.

أنا: إن هذه لا يسعها إلا الإشارة أو الإحالة على الفرد الذي قال "أنا" بهدف الحديث عن نفسه.

نحن: "قسّمت" "لاكوف" دلالة "نحن" إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- نحن الشاملة.

ب- نحن القاصرة أو الحاصرة.

ويدخل المرسل إليه في الصنف الأول، ويخرج من الصنف الثاني ويدل على قسم على التضامن رغم التفاوت الظاهر بينهما، فالأول يتضمن قوة عاطفية لأنه يجمع بين المرسل

1- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص111.

2- ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، تح: أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوقيفية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص21.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص83.

والمرسل إليه، وكأنهما مرسل واحد، فهما يشتركان في القضية نفسها، في حين يبدو المرسل في القسم الثاني، وكأنه يمارس نوعاً من السلطة والصلاحيّة.⁽¹⁾

أنت: لا يقف استعماله في السياق عند الإحالة على المرجع فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح دليلاً على غرض تداولي وهو المشاركة بين الأطراف في الخطاب من خلال كون المخاطب مفترضاً أو الكتابة لمخاطب حتى وإن كان مفترضاً وهذا ما يوصف بـ "أنت التعاونية"، وعليه فإنه: «يتوفر للمرسل عند التفاعل ثلاثة نماذج من الاستعمال: "أنت التعاونية" أو المتبادلة، "أنتم التعاونية" أو المتبادلة أو الاستعمال المختلف، فيشير استعمال "أنت" إلى أن المشاركين في الخطاب يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمة من الناحية الاجتماعية، و يمكن تعريف العلاقة الحميمة بأنها التعبيرات عن القيم المشتركة والقربانة، والجنس والجنسية والموقع الوظيفي وتكرار التواصل».⁽²⁾

- أسماء الإشارة: «الأصل في أسماء الإشارة أن يشار بها إلى الأشياء المشاهدة المحسوسة نحو: هذا الفتى أكبر من هذا، واستعمالها في غير المشاهد، وفي غير ما يدركه الحس مجاز لتنزله منزلة المحسوس المشاهد نحو "أعجبنى هذا الرأي" فالرأي غير محسوس ولا مشاهد».⁽³⁾

ونجد ابن يعيش يستحضر المشار إليه إلى طرفي الخطاب في شرحه لأسماء الإشارة فيقول: «ويقال لهذه الأسماء مبهمات لأنك تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلبس على المخاطب فلم يدر إلى أيها تشير فكانت مبهمة، ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس، ومعنى الإشارة الإيماء إلى الحاضر بجارحة، أو ما يقوم مقام الجارحة فيتعرف بذلك».⁽⁴⁾

ولا يقف ابن يعيش في تعريفه لأسماء الإشارة بالقرنية الحالية "الإيماء بجارحة" بل يمضي بعيداً في بيان الفعل التواصلي بالإشارة بين المتكلم المشير والمخاطب، وفي بيان مدى حاجة الإحالة الإشارية، وافتقارها إلى مرجع خارجي حتى تترسخ دلالاته الحاصلة في

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص(292-293).

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص288.

3- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج1، دار السلاطين، الأردن، عمان، ط1، 2010م، ص82.

4- ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، ص(82-83).

نفس المتلقي وعقله فيقول: « فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصاً يعرفه بحاسة البصر وسائر المعارف هو أن تختص شخصاً يعرفه المخاطب بقلبه، فذلك قال النحويون: إن أسماء الإشارة تتعرف بشيئين: بالعين والقلب.»⁽¹⁾، ونلمس في هذا التعريف تمييز بين أسماء الإشارة وسائر المعارف تمييزاً استعمالياً بأجراً تداولية تقوم على الآلة المحددة للمرجع في العالم الخارجي، أما أسماء الإشارة فآلتها البصر لكشف هوية المخاطب، وأما سائر المعارف فآلتها القلب.

كما أشار ابن يعيش إلى الإشعار بالمعنى البعدي لأسماء الإشارة* في قوله: «لأن حقيقة الإشارة للإيماء إلى حاضر فإذا أرادوا الإشارة إلى متنج متباعد زادوا كاف الخطاب، وجعلوه علامة لتباعد المشار إليه فقالوا: ذاك، فإن زاد بعد المشار إليه أتو باللام مع الكاف فقالوا: ذلك: واستنفيد باجتماعهما زيادة في التباعد لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى.»⁽²⁾ كما أشار علماء البلاغة إلى أغراض أخرى لأسماء الإشارة في سياقات الاستعمال المختلفة، كالتعظيم، والتحقير والتعريض وارتفاع المنزلة أو انحطاطها وغيرها وذلك لمقاصد تخاطبية.

ب- ضمائر الغياب: «أما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف لأنه غير حاضر ولا مشاهد، فلا بد لهذا الضمير من شيء يفسره، ويوضح المراد منه، والأصل فيه أن يكون " في غير ضمير الشأن" متقدماً على الضمير مذكوراً قبله، ليبين معناه، ويكشف المقصود منه، فيجئ الضمير مطابقاً له، وهذا الشيء المفسر يسمى مرجع الضمير.»⁽³⁾

1- ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، ص 83.

2- ابن يعيش، المرجع نفسه، ج3، ص95.

3- عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص(230-232).

*- ويمكن لأسماء الإشارة أن تتساوى مع ضمائر الغياب، إذ عادة تحيل، إلى ما هو داخل النص وتقوم بالربط النصي عندما تستخدم في الإحالات القبلية والبعدية ومن هنا فإنها تساعد على إيجاد ترابط نصي، ويلاحظ أن المفرد يتميز بما يسميه "هاليداي و رقية حسن" الإحالة الموسعة " وهي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل ذلك كما لو تابعنا نشرة الأخبار يقرأ فيها المذيع خبراً عن حادث ما بتفاصيله ثم يقول في نهاية الأمر: هذا وستصدر رئاسة الجمهورية بياناً عن الموضوع في وقت لاحق.

ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، (ص24-25).

ويمكن أن تحيل أسماء الإشارة مثلها مثل الضمائر إلى ما هو خارج النص مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا لَئِذَا فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ الأنبياء: [63] التي يعود فيها اسم الإشارة إلى كبير الأصنام وهو خارج النص.

وقد كان لهذه الفكرة أي إشارة القدامى لدور ضمير الغياب في الربط وحاجته الماسة أكثر من غيره إلى مرجع، حضور قوى في الأبحاث اللسانية واللغوية المعاصرة التي اعتبرت كل من ضمير المتكلم والمخاطب آليتان في تخلق النص، ويقل دورهما في تحقق تماسكه واتساقه، بينما النوع الثالث (ضمير الغياب) هو من له قوة الدور في هذه العملية « وإن كان مرجعاً واحداً واقتضى المقام على واحد، تعين أن يكون المرجع الواحد هو القرب في الكلام إلا الضمير، (...) وإذا كان للضمير مرجعان أو أكثر مع التفاوت في القوة، وجب أن يعود على الأقوى، وإذا كان من غير تفاوت فالأحسن عود الضمير على الجميع لا الأقرب ولا الأقوى نحو: جاء الأقارب و الأصدقاء فأكرمتمهم». (1)

ويدعم هذا الكلام ما ذهب إليه "هاليداي ورقية حسن" « اعلم في الختام أن من خصائص صيغ الغيبة أنها يمكن أن تأتي بعد تراكم كبير من الإحالات على الكلام السابق... إن هذه الظاهرة تسهم بشكل كبير في الترابط الداخلي للنص بما أنها تخلق نوعاً من الشبكة من خطوط الإحالة بحيث يرتبط كل استعمال بكل الاستعمالات السابقة التي تصل إلى الإحالة الأولى الأصلية». (2)

وإحالة الضمائر تحقق في كل الحالات ثلاث وظائف «الأولى: الإشارة إلى ما سبق أو إلى ما سيلحق من ناحية، و الثانية: التعويض عنه بالضمير أو ما يدل عنه من ناحية أخرى، وأخيراً: الإسهام في تحقيق الاتساق النصي» (3)

ب-1: الاسم الموصول: وأما الاسم الموصول فهو في الأصل، اسم مفعول من وصل الشيء بغيره إذ جعله من تمامه، وسميت الأسماء الموصولة بذلك لأنها توصل بكلام بعدها هو من تمام معناها. (4)

يقول عباس حسن: « فالذي والتي وأشباههما تسمى "اسم موصول" وهو اسم غامض مبهم يحتاج دائماً إلى تعيين مدلوله وإيضاح المراد منه إلى أحد شيئين بعده: إما جملة وإما شبهها وكلاهما يسمى "صلة الموصول" ». (5)

1- ينظر: حسين رفعت حسان، الموقعية في النحو العربي، دراسة سياقية، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2005م، ص267.

2- جليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، ص239.

3- ينظر: تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م، ص89.

4- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ص110.

5- عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص340.

ويفسر لنا عبد القاهر الجرجاني ذلك في كتابه دلائل الإعجاز بقوله: «فإنك لا تصل "الذي" إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرفه له، نحو أن ترى عنه رجلا ينشده شعراً، فنقول له من غد: "ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر" هذا حكم الجملة بعد "الذي" إذا أنت وصفت بها شيئاً، وقد يؤتى بعد الذي بالجملة غير المعلومة للسامع كقولك: "هذا الذي كان عندك بالأمس" فأنت في هذا وغيره تعلم المخاطب أمراً لم يسبق له به علم" وتفيده في المشار إليه شيئاً لم يكن عنده. وهو لم يكن كذلك لم يكن "الذي" خبراً إذا كان لا يكون الشيء خبراً حتى يفاد به.»⁽¹⁾

كما تنبه عبد القاهر الجرجاني للقواعد الدلالية والبلاغية من استعمال الاسم الموصول في الشعر يقول: «وليس شيء أغلب على هذا الضرب الموهوم من الذي فإنه يجيء كثيراً على أنك تقدر شيئاً في وهمك ثم تعبر عنه بالذي مثال ذلك قول الشاعر:

أخوك الذي إن تدعه لملمة *** يجيك وإن تغضب إلى السيف يغضب

وقول الآخر:

أخوك الذي إن ربه قال إنما *** أريت وإن عاتبته لان جانبه

فأنت قدّرت إنساناً هذه صفته وهذا شأنه وأحلت السامع على من يعني في الوهم دون أن يكون عرف رجلاً بهذه الصفة فأعلمته أن المستحق لهذه الصفة هو ذلك الذي عرفه»⁽²⁾

وتتوسع أغراض اسم الموصول في الخطاب بحسب المقام الذي ترد فيه والمخاطب الذي يخاطب به، أو يتكلم عنه به كالتحقير والتعظيم والاختصار، أو استهجان التصريح باسمه، أو إرادة العموم... إلخ.

ب-2 ضمير الشأن: وأما ضمير الشأن: فمن عادة العرب أنهم قد يقدمون ضميراً تفسر الجملة بعده ويسمى "ضمير الشأن والقصة" ويسميه الكوفيون، "ضمير المجهول"، وذلك في مواضع التفضيم والتعظيم يقولون: "هو زيد منطلق" ومعنى "هو": "زيد منطلق" أي معنى الضمير

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط5، 2004م، ص(200-201).

2- ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص175.

هو معنى الجملة فيكون المعنى هكذا: الشأن زيد منطلق، أو الأمر زيد منطلق، ويعني بالأمر ما بعده. (1)

ويجيء هذا الضمير مع العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر نحو إن وأخواتها، وظن وأخواتها، وكان وأخواتها وتعمل فيه هذه العوامل، تقول: إنه زيد ذاهب، فالهاء ضمير الأمر "وزيد ذاهب" في مواضع خبر الأمر، وشروطه خمسة:

أحدها: عوده على ما بعده لزوماً، إذ لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم عليه ولا شيء منها.

والثاني: أن مفسره لا يكون إلا جملة.

والثالث: أنه لا يتبع بتابع، فلا يؤكد، ولا يعطف عليه ولا يبدل.

والرابع: أنه لا يعمل فيه إلا الابتداء أو الناسخ.

الخامس: أنه ملازم للإفراد.

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: [01]، وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأنبياء: [97]، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ الحج: [46].

وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بأن يذكر أولاً مبهم ثم يفسر. (2)

وتقدم الضمير في هذه المواضع ليس إلا تمهيدا لهذه الجملة الهامة لأنه يتضمن

معناها تماما، ومدلوله هو مدلولها، فهو بمثابة رمز لها، ولمحه وإشارة توجهه إليها. (3)

والجملة المفسرة له والتي هي "المبتدأ في المعنى" هي "العائد" أو المشار إليه، ويعدها

النحاة: المرجع، ويعدون ضمير الشأن العائد باعتبار أن ما يعود هو العائد، وما يعود إليه

هو المرجع. (4)

والإحالة النصية بالضمير المصرح به تتخذ أبعادها في النحو تعريفاً وشروطاً فيما

يسمى: "بضمير الفصل" باعتباره: «ضمير رفع منفصل يطابق المبتدأ أو المنسوخ الذي أصله

مبتدأ في الإفراد والتنثنية والجمع والتذكير، والتأنيث والتكلم والخطاب والغيبة، ويتوسط بينه

1- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج1، ص53.

2- ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1275.

3- عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص256.

4- حسين رفعت حسان، الموقعية في النحو العربي، ص240.

وبين الخبر، فاصلا بين كون ما بعده لي تابعا، واشترط الجمهور أن يكون الأول معرفة أما الثاني فمعرفة أو كالمعرفة في أنه لا يقبل "أل" نحو "زيد هو المنطلق" وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾. المزمّل: [20] (1)

ولا محل لضمير الفصل من الإعراب وله ثلاث فوائد:

« الإعلام أن ما بعده خبر لا تابع، والتأكيد: ولهذا سماه الكوفيون دعامة لأنه يدعم به الكلام أي : يُفَوِّي وَيُؤَكِّد، وبنى عليه بعضهم أنه لا يجمع بينه وبينه فلا يقال: "زيد نفسه هو الفاضل" والاختصاص». (2)

ب-3- الإحالة المطلقة: تطرقت "مريم فرنسيس" في كتابها "محاوير الإحالة الكلامية" إلى هذا النوع من الإحالة وهي ترى أن « الإحالة المطلقة هي إحالة متعالية على الإشارة، وهي تتجسد بنص أو بوحدات نصية مبنية بالدرجة الأولى على الوصف، بحيث لا يحد الموصوف بزمن معين.

وكانه مرتبط بحقيقة ثابتة أو بحال دائمة ... والصيغة الفعلية المستعملة في الجمل المستقلة هي صيغة المضارع التي لا تشير والحال هذه إلى حاضر المتكلم، بل تشمل ما كان ويكون وسيكون، كما أن استعمال صيغة الغائب هي القاعدة العامة في مثل هذه النصوص، وقد تستعمل صيغ المتكلم للجمع والمخاطب للمفرد أو للجمع ولكنها لا ترتبط حصراً بمتكلم أو بمخاطب محدد، بل تمثل الجنس الذي ينتمون إليه». (3)

وفي الأخير ننوه إلى أنه بالرغم من وجود مراجع خارجية للضمائر إلا أنها غير ثابتة لذلك يعتمد على السياق في تحديدها خاصة ضمائر المتكلم والمخاطب، لأن هناك مجموعة من المعايير التي تتحكم في استعمال الضمائر كمعيار السن أو البيئة ونظرة المرسل للمرسل إليه وغيرها لذلك « فإن غرض الإسناد إلى هذه الأدوات قد يتجاوز معيار الوظيفة النحوية البحتة إلى المعيار التداولي، وهذا ما يبين في بعض المواضع التي يعتمد فيها المتكلم

1- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج1، ص43.

2- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1274.

3- ينظر: مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالاته "محاوير الإحالة الكلامية"، طبعة وزارة الثقافة، دمشق، 1998م،

استعمال ضمير الجمع أو العكس، كما يمكن أن يكون الإسناد إلى "أنا" أو "أنت" أو "نحن" أو "هم" في كثير من الخطابات للتدليل على الإستراتيجية التضامنية»⁽¹⁾.
وقد توصلت "أن روبول" إلى نتائج متعلقة بالضمائر لخصتها في:
1- يمكن تعيين ضميري المتكلم والمخاطب مباشرة من خلال دورهما في التواصل، بينما لا يمكن تعيين ضمير الغائب فهو يمثل عدد لا متناهيا من الأفراد.
2- قد يحل ضمير المتكلم محل ضمير المخاطب أثناء التخاطب والعكس صحيح.
3- يعتبر ضمير الغائب الضمير الوحيد الذي يمكن أن يستعمل في الدلالة على الجوامد⁽²⁾
كما أدخل بعض الباحثين في الإشارة إلى الشخص "Person diexis" "النداء"
Vocative" وهو « ضميمة إسمية تشير إلى مخاطب لتبنيها أو توجيهه أو استدعائه، وهي ليست مدمجة فيما يتلوها من كلام، بل تتفصل عنه بتتغيم يميزها، والظاهر أن النداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه»⁽³⁾.

I- 2-4- الإشارات المكانية:

وهي عناصر إشارية تدل على أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم ووقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، يكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريباً أو بعداً أو وجهة.
ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل: "هذا" و"ذاك" و"هنا" و"هناك" ونحوها إلا إذا وقفوا على ما نشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه⁽⁴⁾.
وأكثر الإشارات المكانية وضوحاً هي كلمات الإشارة نحو "هذا" و"ذاك" للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك "هنا" و"هناك" وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم، وسائر ظروف المكان مثل

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص(287-288).

2- ينظر: آن روبول و جاك موشلر، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 359.

3- محمد أحمد نخله، آفاق جديدة في الحث اللغوي المعاصر، ص19.

4- محمد أحمد نخله، المرجع نفسه، ص21.

"فوق"، و"تحت" و"أمام" و"خلف"... إلخ كلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه. (1)

ولا ينفك المرسل عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشارات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب، فنجد أنها تختص « بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقاً من الحقيقة القائلة أن هناك طريقان رئيسيان للإشارة إلى الأشياء هما إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى». (2)

ويلفت بعض الباحثين إلى أن عناصر الإشارة إلى المكان قد تنتقل للإشارة إلى ما يسمونه "المسافة العاطفية" وتسمى عندئذ "الإشارة الوجدانية" "Empachic deusic" وهو قريب مما أسماه علماء المعاني عندنا "التحقير بالبعد" مثل: ﴿أَهْدَا الَّذِي يَذْكُرُ أَهْلَكُمْ﴾ الأنبياء: [36] والتعظيم بالبعد ﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ البقرة: [1-2]. (3)

« ويرى بعض الباحثين أنّ "أل" التي للتعريف تدخل في العناصر الإشارية لأنها تقوم بالوظيفة التي يقوم بها إسم الإشارة والفارق بينهما أن اسم الإشارة يزيد عليها بالدلالة على القرب أو البعد (فهو موسوم بالقرب أو البعد وهي غير موسومة بقرب ولا بعد)، ويرى هؤلاء أن التعريف في أساسه مفهوم إشاري». (4)

I-3-4 الإشارات الزمانية:

الإشارات الزمانية هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فلحظة التكلم هي المرجع ولهذا « يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطاً قوياً في مرحلة أولى، ونربط كذلك بين الزمن والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية». (5)

1- محمد أحمد نخلة، آفاق جديدة في الحث اللغوي المعاصر، ص 22.

2- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 84.

3- ينظر: محمد أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 23.

4- محمد أحمد نخلة، المرجع نفسه، ص 23.

5- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 83.

فإذ لم يعرف زمن التكلم أو مركز الإشارة الزمانية إلتبس الأمر على السامع أو القارئ، على أن الإحالة إلى الزمان لها علاقة وطيدة بالسياق الذي ترد فيه في حالة اتساع دلالة بعض العناصر الإشارية في التعبير عن الزمان، فقولنا مثلاً: "بعد أسبوع" يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو بعد شهر أو بعد سنة، كما يتجاوز مدلول كلمة "اليوم" في عبارة "بنات اليوم" دلالة هذا العنصر الإشاري إلى الزمن الكوني الذي يتحدد بأربع وعشرين ساعة إلى أن يشمل العصر الذي نعيش فيه، فهذه الدلالة الإضافية موكولة إلى السياق الذي ترد فيه هذه العناصر الإشارية.⁽¹⁾

ومما ينبغي اللفت إليه أن العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمان الكوني الذي يفترض سلفاً تقسيمه إلى فصول وسنوات وأشهر و أيام و ساعات...إلخ وقد تكون دالة على الزمن النحوي، وقد يتطابقان في سياق الكلام، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمن الكوني، فتستخدم صيغة الحال للدلالة على الماضي، وصيغته الماضي للدلالة على الاستقبال، فينشأ بينهما صراع لا يحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة، فالزمن النحوي لا يطابق الزمن الكوني في كثير من أنواع الاستعمال.⁽²⁾

«ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعاً يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناءً على معرفتها».⁽³⁾

وهناك من أضاف إلى الأنواع الثلاثة السابقة الذكر "الإشارات الاجتماعية" و "إشارات الخطاب"، وتعرف الأولى بأنها ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية "Formal" أو علاقة ألفة ومودة "Intimacy" والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل، في مخاطبة من هم أكبر سناً أو مقاماً من المتكلم، أما الاستعمال غير الرسمي فهو منفك عن هذه القيود جميعاً.

أما إشارات الخطاب فيرى الدارسون أنها تلتبس بمفهوم الإحالة الشخصية لذا أخرجها البعض منهم من دائرة الدراسة غير أن هناك من وضع حدوداً فارقة بينهما.

1- ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص(19-20).

2- محمود أحمد نخلة، المرجع نفسه، ص21.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص83.

غير أن هناك إشارات خطابية تعد من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم.⁽¹⁾

وتحليل الإشارات في هذه المدونة يقتضي منا الإجابة على التساؤلات الآتية:
كيف يمكننا استثمار الإشارات باعتبارها آلية من آليات التحليل التداولي وتأويلها تأويلاً مناسباً ضمن مقام التلطف، من أجل فهم مقاصد المتكلم، وإلى أي مدى أسهمت هذه الروابط الإحالية في تحقيق انسجام هذه الخطابات وترابطها؟

II- السياق في الأمثال النبوية :

يهدف التحليل التداولي لخطاب الأمثال، على التركيز عليها من حيث أنها فعالية خطابية تعيد تنظيم الخطاب النبوي على ضوء مادة خام تستقبل آليات المناهج المعاصرة، ويؤكد على فكرة أن الحديث النبوي خطاب تداولي صالح لكل زمان ومكان، ويتعدى النظرة القاصرة التي عدت الخطاب الإسلامي (قرآن، حديث) يصف حالة أو يثبت واقعة، وهو في الحالتين يفيد فائدة خبرية، أو ينسج أحكاماً مما يفترض فرضها على العقول، ونفي التعارض.

فالتداول، هو في الحقيقة التواصل الفعال الذي يعبر عن الغرض، ويبلغ المقصود بسهولة ويسر.

وهذا لا ينفى أن ننوه بأن الخطاب الديني الإسلامي بما فيه الخطاب النبوي يتميز عن غيره من الخطابات بمجموعة من الخصائص يمكن إجمالها فيما يأتي:

- أنه خطاب عالمي: جاء يخاطب البشرية جمعاء قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ سبأ: [28].

- أنه خطاب شمولي: شامل لجميع مناحي الحياة المتصلة في تنظيم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وبغيره.

- أنه خطاب نهضوي: جاء لينهض بالإنسان النهضة الصحيحة ويميزه عن غيره من المخلوقات، فالإسلام أعطى التصورات الصحيحة عن لغز الوجود.

1- ينظر: محمد أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص (24-25-26).

- أنه خطاب مؤثر: لأنه يخاطب عقل الإنسان وفطرته السليمة، ويحرك مشاعره وعواطفه في نفس اللحظة التي يستثير فيها عقله.

- أنه خطاب ثابت: لا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، فأحكامه الشرعية غير قابلة للتغيير والتحويل.

- أنه خطاب وحدوي: يقوم على صهر الناس ليكونوا أمة واحدة، تربطهم عقيدة الإسلام القائمة على التوحيد الهادفة لتحقيق الطمأنينة والأمن، وهي رابطة لا تنقطع باختلاف النسب.⁽¹⁾

في ظل هذه الخصائص نقف على أطراف العملية التخاطبية (سياق التخاطب)

1-II المرسل: هو الرسول الكريم ﷺ، وهو الذات المحورية التي أنتجت خطاب الأمثال، لأنه هو الذي تلفظ بها من أجل التعبير عن مقاصده، وقد بين قدرة لغوية فائقة في مختلف المواضيع التي احتواها هذا الخطاب، والتي تصب في مصلحة الفرد والمجتمع.

وفي اجتماعها تحقيق للمنفعة وإنجاز للحضارة والرفي بالذات الإنسانية نحو الجمال والحق. «تنطلق هذه الأهداف من ذات متكلمة حكيمة، مؤدية من العليم الحكيم، بما أنزل عليه من آيات الكتاب المبين، فكان تكوينه خير تكوين، وتثقيفه أول تثقيف، يعرف متى يتكلم، ومتى ينتقي الكلام، ومتى ينصح، ومتى يحذر، متى يضرب الأمثال والحكم، ومتى يستعمل أسلوب الإشارة، غير اللغوية لإصابة المعنى من أقرب مرمى، فصدرت منه آيات بينات وحكم خالدة، وعبارات في الأدب كان لها شأن بعيد وأثر حميد، في تربية النفوس وإصلاحها، وتقويم الأخلاق وتهذيبها»⁽²⁾

وتعبر أحاديث الأمثال عن فكر النبي ﷺ وعن سمو نفسه فهو كما قال الجاحظ: «لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبّة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة

1- ينظر: جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني - ضرورة ملحة - "مداخلة قدمها في المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (ص5-6).

2- ينظر: محمد عبد العزيز الخولي، الأدب النبوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، (المقدمة).

والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ثم لم يسمع الناس أعم نفعاً ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلامه ﷺ». (1)

كما أن أهلية المرسل هي المحك الحقيقي لإنجاز بعض الأفعال التوجيهية فالرسول ﷺ يمتلك السلطة الدينية إذ تعد السنة الشريفة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم.

II-2 الرسالة (لغة الحديث النبوي الشريف-الخطاب-): يعد الحديث النبوي الشريف (في خطاب الأمثال) خطابا دينيا مقدسا بالنسبة للمسلمين، فهو ركيزة أساسية من ركائز التشريع الإسلامي، وتهتم لغة الحديث النبوي بتحقيق التواصل اللغوي بين المتكلم والمخاطب والسياق الذي يكتنف الموقف الكلامي، وتحتوي على مادة لغوية قابلة للمعالجة، فهذه اللغة هدف تواصل يعبّر عن معان، ويهدف إلى تحقيق مقاصد نفعية تصب في الصالح العام.

وعليه فإن الرسالة في الحديث النبوي الشريف كانت موجهة من المرسل وهو الرسول ﷺ إلى المتلقي، وهو عامة البشر، معبأة بأحكام وتشريعات ربانية، تعالج تفاصيل حياتهم اليومية واحتياجاتهم الدينية والدنيوية بأسلوب واضح وبسيط يعتمد الإيجاز وبيتعد عن الإطناب، وهو في ذلك لا يبتعد كلية عن التعبير الفني إذ قد تكون هذه التعابير الفنية سبيلا للكشف عن بلاغيته ﷺ، فنحن حين نرصد الملامح الفنية في الحديث النبوي لنستظهر الأسرار التعبيرية واللوحات التصويرية... ندرك أن المصطفى (أوتي جوامع الكلم)، وأنه لا ينطق عن الهوى وأنه ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ النجم: [05]. فالملامح الفنية في الحديث النبوي ليست صيغة لفظية، وليست خيالا تصويريا يمثله الشعور ويشكله الإحساس الفردي، فالمعنى والمبنى يمتزجان في الحديث الشريف، والفكر والأسلوب يتعانقان فيه، ليقدم للبشرية المنهج الإسلامي، من هدي القرآن، فالحديث النبوي يعد في القمة من البلاغة العربية، وهو نموذج فريد للبيان العربي الدال على المفيد... (2) « وهو كلام كلما زدته فكرا زادك معنى... وتفسير قريب كالروح في جسمها البشري، ولكنه بعيد كالروح في سيرها الإلهي،... فهو لسان

1- الجاحظ، البيان و التبيين، ج2، ص44.

2- ينظر: صابر عبد الدايم، من أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد1، العدد3، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، 1994م، ص 22.

وراءه قلب، وراءه نور، وراءه الله جل جلاله،...فكلامه ﷺ يجري مجرى علمه، كله دين وتقوى وتعليم، وكله روحانية وقوة وحياة»⁽¹⁾

ولأجل ذلك بُنيت البلاغة النبوية على أصول ودعائم*، لأن مهمتها تبليغية بالدرجة الأولى، حيث أمره الله بذلك في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ المائدة: [67]، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ الشورى: [48]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ الأحزاب: [45-46]، لذلك يرى العقاد أن السمة الغالبة على أسلوبه ﷺ هي سمة الإبلاغ، «ولصدق هذه الدلالة ترى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الإبلاغ، قبل كل سمة أخرى... بل هي السمة الجامعة لما تفرق من سمات أخرى هي منها بمثابة الفروع»⁽²⁾

فالرسالة في الحديث الشريف هدفها إبلاغي قبل كل شيء، وقد استعان النبي ﷺ في قيامه بمهمة التبليغ التي كلفه بها ربه بشتى أساليب الإيضاح والتعليم، وفي الذروة من تلك الأساليب يأتي أسلوب ضرب الأمثال، وضرب الأمثال في البيان النبوي لم يأت لغاية فنية كغاية الأدباء في تزيين الكلام وتحسينه، وإنما جاء لهدف أسمى وهو إبراز المعاني في صورة مجسمة لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، كما أن ضرب الأمثال أسلوب من أساليب التربية يحث النفوس على فعل الخير، ويحضها على البر ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن المعصية والإثم، وهو في نفس الوقت يربي العقل على التفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم لأجل ذلك ضرب النبي ﷺ طائفة من الأمثال في موضوعات متعددة ولأغراض شتى من أمور العقيدة والعبادة والأخلاق، والزهد والعلم والدعوة وفضائل الأعمال والترغيب والترهيب.

1 - ينظر: الرفاعي، وحي العلم، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، د.ط، ج 3، ص (6-9).

2- ينظر: عباس محمود العقاد، عبقرية محمد ﷺ، دار الكتاب العربي، ط1، 1971 م، ص 83.

II-3 المرسل إليه: هم المسلمون خاصة، وأغلب المضامين في الأحاديث المنتقاة تدل على ذلك، لأنها ترسم حياة الإنسان المسلم الدنيوية والدينية من خلال مجموعة من الأوامر والنواهي والأحكام والتشريعات التي يجب أن يتداولها المسلمون ويعملوا بها في حياتهم اليومية.

ولكي يكون نص الحديث مفهوما ومؤديا للغرض، وقصد المرسل واضحا يجب أن يكون هناك تواضع بين المرسل، والمرسل إليه، والذي يجب أن يتوفر فيه شرطا الثقة والإيمان، مما يؤدي إلى تحقيق هدف المرسل من الخطاب، وذلك بالتأثير فيه، مما يدل على أن المرسل إليه حاضر في زمن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورا عينيا أو استحضارا ذهنيا، وهذا الشخوص والاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التشريعية، ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجيات خطابه.⁽¹⁾

ومما يجب التنويه إليه أن الحديث الشريف خطاب له خصوصيته السياقية و المقامية، والعناصر المقامية و السياقية تتوزع بين نوعين من المتلقين: المتلقي الشاهد الذي توجه إليه هذا الخطاب مباشرة، وشهد تكوّن النص، وتلقاه شفاهة، والمتلقي غير الشاهد الذي تلقى النص كتابة أو رواية في العصور اللاحقة. أما بالنسبة للمتلقي الشاهد، فمن المعروف أن رسول الله ﷺ كان ينتقي الملابس الملائمة للنصيحة التي يتوجه بها إلى المتلقي المباشر فقد روى البخاري أن ابن مسعود قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا»⁽²⁾. أما المتلقي غير الشاهد فلم يبق أمامه سوى السياق اللغوي مصدرا للخطاب ومن ثم لزم أن يحتوي السياق اللغوي على مؤثراته ومثيراته الخاصة التي تحقق له التواصل مع المتلقي غير الشاهد.

وعلى الرغم من وجود الملابس السياقية التي تحكم بعد التواصل بين المسلم وخطاب النبي ﷺ، فإنه يبقى على النص اللغوي نفسه عاملا كبيرا في البيان، فإذا غابت ملابس

1- بن ظافر طاهر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 48.

2- المدونة، كتاب العلم، باب: ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ص 26.

المشاهدة، فإن ملابسات سياقية أخرى ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار لفعالية هذه الملابسات في التلقي وخصوصيتها التي تتطوي على عدة عناصر منها: (1)

- فمنها أن أقوال المخاطب وأفعاله تأتي للمخاطب الذي يؤمن به رسولا مصدرا تشريعا، فالمخاطبون هم: المسلمون، المؤمنون برسالة محمد ﷺ المصدقون له في خبره عن الله عز وجل.

- ومنها أن هؤلاء المخاطبين يؤمنون بالقرآن الكريم كتابا منزلا من عند الله ويتحرون العمل بما جاء به من تكاليف وقد أمر القرآن بإتباع المخاطب، والعمل بأقواله وأفعاله، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر: [07]، ومن ثم يأتي كل ما قاله محمد ﷺ المصدر الثاني للتشريع.

- و منها أن كل ما قاله صدق، ومن ثم تتوفر للقول دواعي الإذعان، ولذلك لا تتصرف همة المتلقي للتصديق، أو البحث في دواعي الصدق في القول بل تتصرف إلى البحث عن حقيقة المراد من القول، فإن أقواله ليست مجرد نصائح اختيارية القبول أو الرفض، بل هي تعاليم واجبة القبول.

- ومنها هذا التأكيد الدائم على حب المخاطب للمخاطبين، وهذا الحب ينطوي على خصوصية تتعلق بأقواله، فهو لن يأمرهم إلا بما ينفعهم، ولن ينهاهم إلا عما يضرهم، ومن ثم يمثل هذا الجانب العقائدي استجابة عند المتلقي.

III - الإشارات في المثل النبوي:

III-1 - الإشارات الشخصية في أحاديث الأمثال النبوية:

الإشارات الشخصية مؤشرات لسانية تبرز على مستوى البنية السطحية والعميقة للخطاب، وتشمل جميع أنواع الضمائر، ضمائر الحضور والغياب المنفصلة والمتصلة والمستترة جوازا ووجوبا وأسماء الإشارة و الإسم الموصول، كما تدخل في الإشارة إلى

1- ينظر: عيد بلبع، نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، كلية الآداب، جامعة المنوفية، كلية التربية للبنات، جامعة طيبة المدينة المنورة، 2008م، ص 205-208.

الشخص Person diexis "النداء Vocative". وهي عاجزة بمفردها عن تحديد إحالتها الحاصلة عند الإستعمال لذلك عدها "ميلنر" « فاقدة للإستقلالية الإحالية».(1)

وإذا عدنا إلى المدونة -موضوع الدراسة- (صحيح البخاري) وجدنا أنها تحتوي على جميع هذه الأنواع ، وساعد السياق في الكشف عن مرجعية هذه الضمائر .

أ- **ضمائر الحضور**: تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المستقبل، وكل مجموعة بدورها تنقسم حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة.(2) وينقسم الضمير حسب موقعه في الكلام إلى بارز ومستتر. وضمائر المتكلم والمخاطب يمكن تعيينها مباشرة فهي تؤدي دور التواصل، بينما ضمائر المخاطب فيتعذر تعيينها كونها تمثل عددا لا متناهيا من الأفراد.

أ-1- **ضمائر المتكلم**: وردت ضمائر المتكلم في خطاب الأمثال النبوية في - صحيح البخاري- منفصلة و متصلة ومستترة، كما جاءت للمفرد والجمع. وهي تحيل دائما إلى صاحب القول ومرسل الخطاب، الرسول الكريم ﷺ، إلا فيما يرويه عن ربه عز وجل، وهو قليل و نادر.

وسنقتصر في بيان ذلك على بعض النماذج للتمثيل على ضمائر الحضور.

أ-1-1- ضمير المتكلم المفرد:

ومن النماذج المحتوية على ضمائر المتكلم المفرد بكثرة قوله ﷺ : «أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم لله، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».(3)

تنوعت الضمائر في هذا الحديث بين المستترة والمتصلة، ولكن يظل المرجع الذي تشير إليه واحد وهو ذات المتكلم، الرسول ﷺ، ويمكن تصنيفها وفق الجدول التالي:

1 - أن ريبول و جاك موشلر، القاموس الموسوعي للتداولية، ص374.

2 - الأزهر الزناد، نسيج النص، ص117.

3- المدونة، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ص986.

نوع الإحالة	المرجع	العناصر المحيطة	عددتها	صفة الضمائر
داخلية قبلية	الرسول ﷺ	أصوم-أفطر- أصلي- أرقد-أتزوج.	5	مستترة
داخلية قبلية	الرسول ﷺ	إني- لكني-سنتي- مني.	4	متصلة

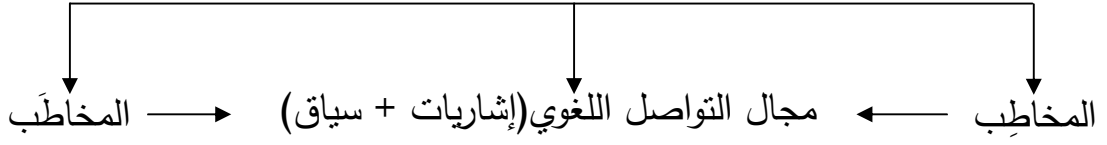
أكسبت الضمائر المحيطة إلى ذات المتكلم النص اتساقه وترابطه، وهذا النوع من الإحالة يطلق عليه الدارسون مصطلح "إحالة داخلية قبلية"، فذات المتكلم تعد مرجعا غير لغوي، وهو غير مصرح به في عالم الخطاب، لأن « ممارسة التلفظ هي التي تدل على المرسل في بنية الخطاب العميقة مما يجعل حضور الأنا يرد في كل خطاب، ولهذا فالمرسل لا يضمنها خطابه شكلا في كل لحظة، لأنه يعول على وجودها بالقوة في كفاءة المرسل إليه وهذا ما يساعد على استحضارها لتأويل الخطاب تأويلا مناسباً»⁽¹⁾، فتأويل الضمير "أنا" في هذا المقام يشير إلى المتكلم بوصفه "فاعلا منطقيا"

وترتبط الشحنة الدلالية لهذه الضمائر بمقاصد المتكلم إذ يمنح للمتكلم فضاء أرحب للتعبير عن معتقداته، فالمتكلم (الرسول ﷺ) يبدأ كلامه بإسناد الأقوال إلى نفسه فتحمل معنى التكلم «إني لأخشاكم لله»، ثم يحمل وظيفة الفاعلية حين يتكلم عن صومه وإفطاره (أصوم- أفطر) وصلاته ونومه (أصلي وأنام) و(أتزوج) النساء، ويؤكد في الأخير على نتيجة مفادها: أن من لم يعجبه ما أنا عليه فهو ليس مني أي على طريقي وليس المقصود منها الملة والدين.

- ويمكن توضيح هذه المقاصد أكثر بالرجوع إلى السياق المقامي وتفصيل عملية التواصل بين المتخاطبين، ولا ننسى أن ضمائر الحضور تنفرع إلى « متكلم هو مركز المقام الإشاري، وهو الباتّ، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه وهو المتقبل»⁽²⁾ وفق الخطاطة التالية:

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 82.

2- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 17.



- الرسول ﷺ
- الموضوع المتحدث عنه:
- عدم التشدد في الدين والافتداء
بالرسول ﷺ وأخذ طريقته لأنها
الأيسر
- الحقيقي: الموجود لحظة التلفظ:
ثلاثة من الرهط (الرجال
المتشددين في السنة)
- المفترض: المتلقي في كل زمان
ومكان.

يظهر من سياق الحديث اللغوي أن المتكلم يحدث مخاطبه (الحقيقي) وجها لوجه وهذا ما أكده سياق المقام، فيما يرويّه أنس بن مالك أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادته ﷺ فلما أخبروا اثاقلوها، وقالوا أين نحن منه فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فذكر أحدهم أنه يصوم فلا يفطر، وقال آخر: أنه يصلي الليل أبدا، وقال ثالث: أنه يعتزل النساء فلا يتزوج أبدا، فلما بلغه ذلك جاء إليهم فقال: أنتم الذين قلمت كذا وكذا؟⁽¹⁾ والله إني لأتقاكم...» الحديث. وفي رواية «فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال أقوام قالوا كذا؟⁽²⁾ «والله إني لأتقاكم الله...».

والظاهر أن الرسول وجه حديثه أولا إلى نفر الثلاث بمعزل عن الناس فقال لهم "أنتم الذين قلمت" ثم تحدث في المأ بصيغة أخرى مجهولة وهي "ما بال أقوام؟" وفي هذا الكلام مراعاة لقواعد التخاطب ولعلاقة المرسل ﷺ بالمرسل إليه (النفر الثلاث).

ومن الظواهر التي تجسد تلك العلاقة ما يسمى بظاهرة التأدب في الخطاب فالمرسل (الرسول ﷺ) رغم امتلاكه السلطة بالخطاب إلا أنه تغاضى عن الاستراتيجية التوجيهية، «ولا ينحصر فعل الفاعل في استعمال استراتيجية واحدة ثابتة دوما كما قد لا يحبز أن يحقق

1- ينظر: فتح الباري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج 11، ص 265.

2- فتح الباري، المرجع نفسه، ص 266.

الهدف بالاستراتيجية المألوفة والمباشرة»⁽¹⁾، وهنا تظهر كفاءة المرسل الذي قد يلجأ إلى الكناية والتورية والتلميح عن الشيء دون الإفصاح لما في التصريح من هتك للستر، وقد أخذ الرسول الكريم ﷺ بأسباب التبليغ كما أخذ بأسباب التهذيب وهذا ما يسمى بـ"مبدأ التصديق"* ويصوغه طه عبد الرحمن كما يلي: « لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه ففعلك»⁽²⁾.

وهذا فعلاً ما طبقه الرسول ﷺ في هذا المثال، فهو لم يرد أن يجرح هؤلاء النفر ويخبرهم بأن ما يقومون به خاطئ وتشديد وغلو في الدين، بل أخبرهم -وهو يعلم أنه قدوة للمسلمين- بأنه يفعل ما يتنافى مع فعلهم تماماً فهو "يصلي وينام، ويصوم ويفطر... ويتزوج النساء وهذه هي سنته وطريقته".

كما بين لهم بأن فعلهم ليس نابعا من التقوى لو كان كذلك لكان أسبقهم إليه لأنه أتقاهم وأخشاهم لله سبحانه.

كما استعمل الرسول ﷺ عبارة "ما بال أقوام" في خطابه حيث استعمل لفظ النكرة ليدل بها على من ارتكب مخالفة شرعية، لأنه لم يرد التشهير بهم بل اتخذ من فعلهم مثالا لوعظ المسلمين دون فضح من ارتكب المخالفة منهم، وفي هذا مراعاة لأحوال الناس من بعده في خطاباتهم فدرجت عليه العادة باستعمال تلك الخصيصة اللغوية علامة على استراتيجية الخطاب، ومراعاة للعلاقة التخاطبية بين المرسل والمرسل إليه.

ومن النماذج التي يحضر فيها ضمير المتكلم أيضا قوله ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»⁽³⁾.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 53.

2- ينظر:- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص(94-95).

*- وهو نموذج اقترحه طه عبد الرحمن من التراث الإسلامي وينبني هذا المبدأ على عنصري:

- نقل للقول: جانب تبليغي، وجانب تهذيبي.

- تطبيق القول: ويستخرج منه نوعين من القواعد: قواعد التواصل وقواعد التعامل.

3- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خاتم النبيين، ص658.

يحتوي هذا النموذج على الضمائر المتصلة والمنفصلة ويظل المرجع الذي تحيل عليه ذات المتكلم الرسول الكريم ﷺ.

صفة الضمائر	عددتها	العناصر المحيلة	المرجع	نوع الإحالة
متصلة	02	مثلي - قبلي	الرسول ﷺ	داخلية قبلية
منفصلة	02	أنا اللبنة، أنا خاتم النبيين	الرسول ﷺ	داخلية بعدية

وهذا مثل قياسي أسند فيه الرسول ﷺ ضرب المثل إلى نفسه، ولا بد من الإشارة إلى أن ضمير المتكلم ورد متصلا في بداية الحديث (ياء المتكلم) حاملا معنى التكلم، كما ورد منفصلا مفردا في نهايته ويتمثل في الضمير "أنا" والضمير "أنا" هو أكثر عنصر في القدرة على التعبير عن الذات في اللغة، وبالتالي التمكن من امتلاك ناصية الحديث، واكتساب السلطة بالخطاب من خلال مجرد التلفظ به.

وفي هذا المثل نحن أمام وصف وتصوير يهدف إلى بيان أهمية رسالته ﷺ ومكانتها بين رسالات السابقين من الأنبياء، وبيان أن دعوة الأنبياء واحدة، بواسطة استعمال أسلوب المقارنة في التشبيه التمثيلي: « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا ... » فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي به موضع يتم به صلاح ذلك البيت، وظاهر السياق أن تكون اللبنة في مكان يظهر عدم كمال الدار بفقدائها، وإدراك الناس لفقدان هذه اللبنة في إحدى زواياها إنما تمثل حيرتهم في الوقت الذي كانت فيه البشرية في مسيس الحاجة إلى دعوة النبي ﷺ لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور. (1)

وإن اللبنة المطلوبة في زاوية من زوايا البناء، والزوايا مع القواعد تمثل أساس البناء فدعوته ﷺ أساسية ومتممة لدعوات الأنبياء فيها يستتم بناء الدين، ويكمل حسنه وبهاؤه، (2)

1- فتح الباري، كتاب أحاديث الانبياء، باب: خاتم النبيين، ج8، ص152.

2- محمد أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، مكتبة الرشيد، 2007م، د.ط، ص 120.

وقد أكسبت الضمائر المحيلة إلى ذات المتكلم النص ترابطه واتساقه. ورغم أن الضمائر المتصلة أحالت إلى ذات المتكلم الرسول الكريم ﷺ في بداية الخطاب، إلا أنه لجأ إلى ضمير المتكلم المنفصل أو الصريح في نهاية الخطاب لوظيفتين:

- الأولى: التأكيد.

- الثانية: وظيفة اتساقية للربط بين أجزاء الكلام.

ويظهر على مستوى السياق نوع آخر من الإحالة وهي: "الإحالة بالمقارنة" أي مقارنة الذات (ذات المتكلم) بغيرها وقد استعملت هذه الذات ما يعرف بالمقارنة الخاصة ويؤتى بها: « للتعبير عن الموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم أو الكيف وتحقق بعناصر مثل: أجمل، نظير، مثل...إلخ. ويمكن أن يضم إليها الألفاظ الدالة على الترتيب الزمني تلك التي تتسم بطابع النسبية في بيان الزمن مثل: "من قبل" "من بعد" ». (1)

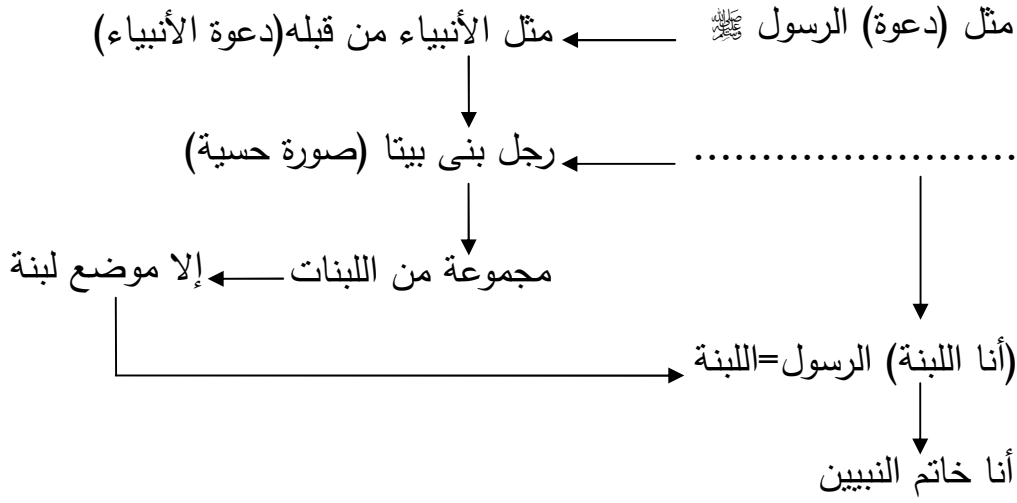
وقد بينت هذه الإحالة الخاصة الكيفية أن دعوته ﷺ ودعوة الأنبياء من قبله هي دعوة واحدة متكاملة قائمة على توحيد الله سبحانه وتعالى، فذات الرسول ﷺ اتحدت مع هذه الذوات (الأنبياء من قبله) على مستوى التمثيل والمقارنة لتبين أن دعوته واحدة ثم انفصلت في الأخير لتبين أن دعوته نهائية وهي أكمل الدعوات وخاتمتها، « وتصوير الرسول ﷺ لنفسه باللينة لا يقلل من قدره ولا من منزلة رسالته لأن هذه اللينة في موضع مكمل ومتمم لركن من الأركان في البناء، ولولاه لما اكتمل البناء، ولظلت البشرية تعاني من الضياع والانحلال، ولما اكتملت رسالة السماء إلى الأرض لهداية البشرية، فرسالته ترتبط بما قبلها ولكنها خاتمة الرسالات، فلقد اكتمل بها البناء، وتجلت في ذروة الحسن والبهاء، فلا مجال للإكمال ولا للتزيين بعد رسالة خاتم النبيين، كما اكتملت الشرائع بشريعته التي جاءت باليسر لا بالعسر، واكتملت الأمم بأمته التي جاءت وسطا بين الأمم». (2)

ونلاحظ من خلال المثل السابق أن المتكلم تدرج في إخبارنا عن هويته إلى أن صرح

1- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 19.

2- محمد أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، ص 121.

بذلك في ختام الحديث.



المتأمل للسياق يفهم أن الرسول ﷺ هو اللبنة منذ البداية « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا إلا موضع لبنة » لكن المتلقي يبقى شاكا متذبذبا في هذا الأمر، ثم يخبرنا بأنه هو اللبنة «أنا اللبنة» ليرفع ذلك الشك أو اللبس الذي انتاب المتلقي، وكان يمكن أن يتوقف عند هذا الحد لأن الصورة أصبحت جلية واضحة، لكنه لجأ في النهاية إلى التصريح الذي لاشك معه، حيث صرح باسمه «أنا خاتم النبيين»*

ليزيل بذلك أي مجال للشك، ويرفع الضبابية واللبس الذي بقي في ذهن المتلقي، وفيه مزيد من التأكيد ومراعاة لأحوال المخاطبين، فبلاغته ﷺ قائمة على مبدأ التواصل، واستخدام اللغة بهذه الدقة يضمن وصول المعاني إلى المخاطبين بحسب اختلاف أحوالهم ومقاماتهم. ويبدو أن استخدام الضمير مرفوقا بالاسم أو بصفة من صفاته اللازمة يجعله مصرحا به إذ لا حاجة لنا للسياق كي نتعرف على مرجعه فقد أزال اللبس عن الملفوظ، هذا ما جعل المتلقي لا يبذل جهدا في تحديد هذا العنصر الإشاري.

ومن الأمثلة على ضمير المتكلم المفرد بنوعيه-المتصل والمنفصل- قوله ﷺ: « مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوما فقال رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان،

*- المركب: خاتم النبيين: اسم من أسماء رسول الله ﷺ، ففي عمدة القاري "هذا باب خاتم النبيين: أي باب في بيان معنى الخاتم، من أسمائه ﷺ: سمي بذلك لأن الله ختم به الأنبياء والرسول". بدر الدين محمود العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص 98.

فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة، فأدلجوا على مهلم فنجوا وكذبت طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم*»⁽¹⁾.

وهذا المثل في النهي عن المعاصي: «أي تركها أصلاً ورأساً والإعراض عنها بعد الوقوع فيها»⁽²⁾، وأسند الرسول ﷺ المثل لنفسه لما في ذلك من زيادة الوعظ والزجر، واحتوى النموذج على ضمير المتكلم بنوعيه المتصل والمنفصل، وفق ما بينه الجدول التالي:

نوع الإحالة	المرجع	العناصر المحيطة	عددتها	صفة الضمائر
داخلية قبلية	الرسول ﷺ	مثلي - بعثني عيني - إني	04	متصلة
داخلية قبلية	الرسول ﷺ	أنا النذير العريان	01	منفصلة

وفي هذا الحديث ضرب الرسول ﷺ مثلاً لما جاء به ولنفسه بمثل رجل أتى قوماً فقال "رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان" ففي قوله "رأيت" جاء ضمير المتكلم حاملاً معنى التكلم، وقد ورد متصلاً بالفعل الماضي ليحمل وظيفة الفاعلية، وفي قوله: "بعيني" جاءت ياء المتكلم مضافة إلى الاسم المجرور من باب التوكيد، ثم توالت ضمائر المتكلم المتصلة والمنفصلة في قوله "إني أنا النذير العريان" حيث صور النبي ﷺ لذاته ولبعثته «بصورة من الواقع يضرب بها الناس المثل لشدة الأمر وكلما اشتدت النذارة حصل هذا الأمر، فالنبي ﷺ بعث في وقت كانت فيه البشرية غارقة في أحوال الكفر والإلحاد فرسالته من الأهمية بمكان لإنقاذ البشرية من العذاب والهلاك في الدنيا والآخرة، ولشدة الأمر وبيان مكانة ما جاء به ضرب المثل بصورة يعرفها الناس من واقعهم وهي صورة (النذير العريان)*، والنذير العريان مثل سائر يضرب لشدة الأمر ودنو المحذور وبراءة المحذر من التهمة»⁽³⁾.

1- المدونة، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ص1218.

2- فتح الباري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ج14، ص300.

*- والحديث متفق عليه وفيه تنمة في باقي المراجع مثل صحيح مسلم والمشكاة «... فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»

3- محمد أبو العلاء الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، ص116.

*- و قيل الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشاً فسلموه وأسروه فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلموني فأرأوه عريانا فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونونه في النصيحة ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن. ينظر: فتح الباري، ج14، ص300.

فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك لإفهام المخاطبين بما يألّفونه ويعرفونه، واسترهابهم بهذه الصورة لأنه يرى أن هذا أشد في استنهاض همهم وطلب النجاة، فالذين أطاعوه مشوا على مهل فسلموا وأما من كذبوا هذا النذير اجتاحهم العدو مصبحين فأهلكهم » فما أقصر الوقت بين الإنذار والإهلاك، وكذلك بالنسبة لدعوته ﷺ ما أقربها من الساعة، وما أقصر عمر الإنسان، فإذا كان من أنكر على النذير واستهزأ بتحذيره قد صبحه الجيش وأهلكه بعد ساعات، فكذلك حال من عصى الرسول ﷺ وكذب بدعوته هلكه قريب بدنو أجله»⁽¹⁾

وما جعل ضمير المتكلم يأتي في هذا السياق مؤكداً للكلام مراعاة للمتلقي إذ لا بد أن يكون لوضع المتلقي (المخاطب) الاجتماعي والفكري والنفسي والثقافي أثر كبير في تكوين الخطاب: " ففي النموذج البلاغي للتواصل يحتل متلقي الخطاب المقام الأول بدون منازع"⁽²⁾ والمتلقي هنا متعدد بين مسلم مصدق لكل ما سيقوله الرسول ﷺ وشاك متردد ومنكر مكذب بدليل قوله: "أتى قوما" والقوم فيهم كل الأصناف لذلك لجأ الرسول ﷺ لتأكيد كلامه بضمائر المتكلم.

أحدها: قوله "بعيني": جاء ضمير المتكلم "الياء" متصلاً بآلة الرؤية العين فالرؤية لا تكون إلا بالعين وفي ذكر العين وإضافتها إلى نفسه إشارة إلى أنه -عليه الصلاة والسلام- قد تحقق عنده جميع ما أخبر به تحقق من رأى الشيء بعينه لا يعتريه وهم ولا يخالطه شك. والثاني: قوله "إني" اتصلت ياء المتكلم بإن التوكيدية.

والآخر: قوله "أنا النذير العريان" وهنا لجأ الرسول ﷺ إلى توكيد الخبر وإثباته في ذهن المتلقي باستعمال ضمير الفصل "أنا" الذي فصل به بين اسم إن (ياء المتكلم) وخبرها (النذير العريان) وبين أنه ليس تابعاً، كما قوى الضمير المتصل (ياء المتكلم) وأكده ودعمه. ويذهب ابن الأثير إلى أن مثل هذه الاستعمالات -تأكيد الضمير بالضمير- يؤتى بها في معرض المبالغة، وهي من أسرار علم البيان، لأنه إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً في

1- محمد أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، ص 116.

2- ينظر: هنرش بلث، البلاغة نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، د.ط، 1999م،

النفوس فلك الخيار في توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر، وإن كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه ليقرر الخبر في ذهن المتلقي ويثبت (1)

وربما أكد الرسول ﷺ كلامه بكل هذه المؤكدات ليزيل التردد والإنكار ويضعه موضع اليقين والتصديق ويضع الحجة على المنكرين المكذبين الذين لم يصدقوه بدليل أنه قال عنهم: "أهلكم واجتاحهم" إعلاما بأنه أهلكهم عن آخرهم ولم يبق منهم أحد.

وربما أفاد ضمير الفصل "أنا" بالإضافة إلى ما سبق: الاختصاص والقصر في مقامه هذا أي قصر النذارة واختصاص الرسول ﷺ بها دون سواه لأنه آخر الأنبياء وخاتمهم، ولن يأتي بعده من ينذرهم بمثل هذه النذارة لأنها خاصة بالرسول فهو آخر رسول وبالتالي آخر نذير -والله أعلم-.

و هذا الحديث إشارة إلى خصائص النذير. (2)

1- محبة النذير لقومه.

2- حرصه على مصلحة قومه. وقد ذكر الله ذلك عن رسوله ﷺ في قوله: ﴿لَمَّا

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: [128]

3- علم النذير ما يجهله قومه، فهذا الحديث فيه إشارة ضمنية إلى قرب الموت و دنو ساعته.

و في الجانب الآخر على المتلقي:

- أن يعلم أن بعثة رسول الله ﷺ إعلام بقرب الساعة، و أن عبادة الله و توحيده هما

السبيل إلى النجاة، فيغتتم الوقت في العمل الصالح.

- أن يستشعر حب و حرص من ينصحه و يوجهه.

- أن يرغب في اتباع الحق حتى يكون ممن يتبعون أحسن القول.

1- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، نهضة مصر، د.ط، د.ت، ص151.

2- بهية بنت محمد بن عمر، بعض الدلالات التربوية في الأمثال النبوية من خلال كتاب الحديث للرامهرمزي. بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية و المقارنة، ص69.

ومن النماذج التي حضر فيها ضمير المتكلم بقوة قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل:
 « يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»⁽¹⁾

ويمكن تعداد ضمائر المتكلم في الجدول التالي:

نوع الإحالة	المرجع	العناصر المحيطة	عددتها	صفة الضمائر
خارجية مقامية	الله سبحانه وتعالى	يؤذيني، بيدي الأمر	2	متصلة
خارجية مقامية	الله سبحانه وتعالى	أنا الدهر	1	منفصلة
خارجية مقامية	الله سبحانه وتعالى	أقلب الليل	1	مستترة

إن تحديد المحال إليه في الضمائر الواردة في هذا المثل يحتاج النظر خارج النص

النبوي نفسه والتحديد يكون من السياق كما يلي: يؤذيني (يؤذي الله).

أنا الدهر (الدهر = الله سبحانه) بيدي الأمر (الله سبحانه هو من بيده الأمر)

"معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر فمن سب الدهر من أجل

أنه فاعل هذه الأمور عاد به إلى ربه الذي هو فاعلها"⁽²⁾

أقلب الليل والنهار (الله سبحانه هو من يقلب الليل والنهار وحده لا شريك له)

فكل هذه الضمائر تحيل إلى مرجع أو لفظ غير مذكور في النص لكن بإمكاننا معرفة

طبيعة هذا اللفظ من خلال الرجوع إلى السياق والنظر فيه يبين لنا أن النص عبارة عن

خطاب إلهي موجه إلى عامة بني آدم وعليه فالإحالة التي وردت في الحديث هي إحالة

خارجية مقامية أشارت إلى عنصر غير لغوي موجود خارج النص، أو غير مذكور فقد

أحالت ضمائر المتكلم بتنوعها على الذات الإلهية التي لم يذكر اسمها صريحا في النص

ولكن دل عليها السياق اللغوي.

والإحالة المقامية تسهم بشكل هام في إبداع النص لأنها تربط اللغة بسياق المقام غير

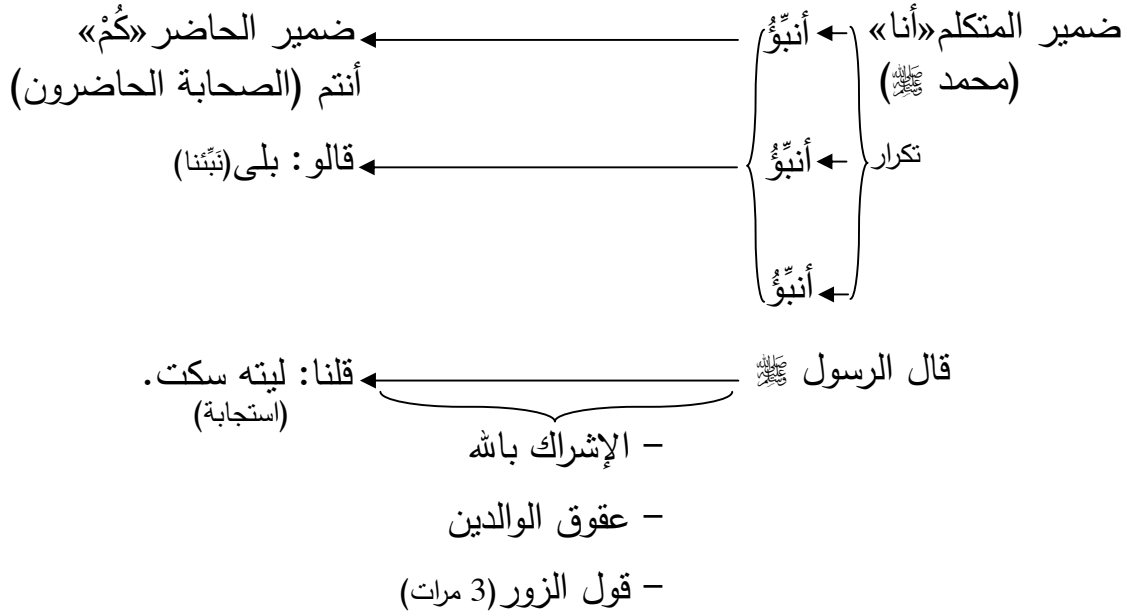
أنها لا تسهم باتساقه بشكل مباشر.

1- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب ما يهلكنا إلا الدهر، ص928.

2- فتح الباري، كتاب تفسير القرآن، باب ما يهلكنا إلا الدهر، ج10، ص492.

ومن الأحاديث التي ورد فيها ضمير المتكلم "أنا" في مقابل "أنتم" (متكلم) (سامع)؛ قوله ﷺ: «ألا أنبؤكم بأكبر الكبائر، -ثلاثا- قالوا: بلى يا رسول الله، قال الإِشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس متكئا فقال: «ألا وقول الزور» قال: فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت». (1)

يمكن تحديد الإشارات الحاضرة في هذا السياق كالاتي:



الضمير أنا في بداية الحديث "أنبؤكم" يدل على أن صاحبه يحمل أمرا وشأنا للمتلقين (تهديد ووعيد) وفسره السياق بنوعيه اللغوي في قوله بعدها "بأكبر الكبائر"، والمقامي في الملابس المرافقة للكلام: (كان متكئا... قام) ولكن ما يقلل من وطأة هذا الوعيد استعمال حرف التحضيض الذي يهدف للتقرب من المتلقي ليقبل على الاستماع، وفيه شيء من التلطف في الكلام.

وحضور ضمير الأنا في هذا السياق حدد وظيفة المتكلم (المبلغ) لأن "ذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات على محور التلفظ في الخطاب تداوليا لأن الأنا قد تحيل على المتلفظ الإنسان أو المعلم أو الأب وهكذا

1- المدونة، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ص482.

وهنا حضرت الذات المتكلمة بقوة لأنها في موقف تحذير من أمر جلل لا يعطيه الناس كبير اهتمام، وهو لكثير في معاملاتهم مع غيرهم وفيه حمية لذلك أولاه الرسول ﷺ اهتماما أكبر وذلك بقيامه وتكرير اللفظ وسبب ذلك «كون قول الزور وشهادة الزور أسهل وقوعا على الناس، والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المؤمن والعقوب يصرف عنه الطبع، أما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد...»⁽¹⁾.

والضمير أنا من الضمائر التي تحول للسامع معرفة مخاطبه -غالبا- حيث يكون حاضرا وقت التبليغ، وبذلك تتحقق الغاية من الخطاب وهي التأثير في الآخر، وقد تحقق هذا الهدف فعلا، وما يدل على ذلك قولهم: "ليته سكت" وفيه وقوع الخوف والزرع في قلوبهم من جهة، وشفقة عليه ﷺ وكراهية لما يزعجه، من جهة أخرى، وهذا لما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه⁽²⁾، نستخلص أن ضمير المتكلم المفرد سواء المتصل أو المنفصل لم يرتبط في خطاب الأمثال النبوية بالفخر الشخصي - كما هو عند أغلب الشعراء و الخطباء - و لم يصطبغ بصبغة ذاتية تتجه نحو التعالي و ذكر الخصال الشخصية و إنما الغرض منه الإبانة و التبليغ و التمكين للحقائق مراعيًا في ذلك مقام الخطاب و أحوال المخاطب و إلى ذلك من ظروف الحديث، حيث ارتكز ﷺ على مفهوم تداولي يسمى الملفوظية "L'enonciation" فالحديث الشريف ممارسة لغوية اضطلع بها الرسول الكريم، و تعمل ملفوظية الرسول الكريم ﷺ على تفعيل الخبرة الذاتية و التي حملت الخصائص التالية.

- 1- بروز المتكلم (الأنا) من خلال استخدام اللغة، مما يسمح لها بالمرور من الحالة الافتراضية إلى ما يتطلبه الموضوع.
- 2- موافقة الملفوظية وفقا لما يريده المتكلم.
- 3- نتیجتها أن الخطاب يسمح بوصف العالم و تقرير الحاجات المرجعية⁽³⁾.

1- فتح الباري، كتاب الشهادات، ما قيل في شهادة الزور، ج6، ص 471.

2- فتح الباري، المرجع نفسه، ج6، ص472.

3- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص84.

أ-1-2- ضمير المتكلم الجمع: أما ضمائر المتكلم الدالة على الجمع "نحن-نا" فهي نادرة جدا في المدونة.

ومن النماذج التي يحضر فيها الضمير المنفصل (نحن) قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»⁽¹⁾.

ويندر هذا الضمير في المدونة لأن المتكلم «لا يتلفظ به ابتداء إلا عند افتراضه أي اعتراض مسبق أو تساؤل أو عند حاجته لتتويع فعله اللغوي في الخطابات المبدوءة ب(نحن) إذ يشير الضمير إلى بعد تقافي بإحالة لغويا على جمع، رغم أن المرسل مفرد»⁽²⁾.

وقيل سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ البقرة: [260] قال بعض الناس: "شكّ* إبراهيم ولم يشكّ نبينا" فبلغه ذلك فقال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» فأراد ما جرت به العادة في المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئا قال: مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لي ومقصوده: لا نقل ذلك، وقيل: أراد نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وأخرجه هو منه بدلالة العصمة، وقيل معناه: هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان⁽³⁾، فأبراهيم عليه السلام أراد الترفي من علم اليقين إلى عين اليقين.

والحديث مثال عظيم على أمثلة تواضع الرسول ﷺ ودفاعه عن إخوانه من الأنبياء ونفيه الشبهة عنهم، فأراد القول أن طلبه ليس شكّا بل طلبا لزيادة الإيمان واطمئنان القلب، وإن كان كذلك فنحن - (أنا وأنتم) أي من بلغه أنهم قالوا ذلك - أحق من إبراهيم بهذا الطلب أي بزيادة إيماننا واطمئنان قلوبنا.

1- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ البقرة: [260]، ص 829.

2- بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، 83.

3- ينظر: فتح الباري، كتاب حديث الأنبياء، باب: ﴿وَنَبَّأَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الحجر: [51]، ج 7، ص (599-600).

*- شكّ: حمله الطبري على ظاهره وجعله حصول وسوسة الشيطان، وقال ابن عباس هذا بما يعرض في الصدور من

الوسوسة، وقال عطاء معناه: دخل إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس. وقيل المراد نفي الشك عنهما أي لم شك

إبراهيم ونحن كذلك، ولو شكّ لكنا أولى بذلك منه إعظاما لإبراهيم. ينظر فتح الباري، كتاب حديث الأنبياء، باب ﴿

وَنَبَّأَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الحجر: [51]، ج 7، ص 598. وكتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي

الْمَوْتَى...﴾ البقرة: [260]، ج 9، ص 592.

ويفسر هذا الضمير "نحن" العلاقة التي تربط المعلم بالمتعلم من خلال حمولة اللفظ
لمعنى التوجيه والنصح عن طريق المشاركة، أي دعوا عنكم هذا الذي قلتم عنه شكّ فهو
ليس شك بل مزيد بيان، وإن كان كذلك فكلنا بحاجة إلى الاستزادة.

وقد سبق وأن أشرنا أن لا كوف قسمت نحن إلى قسمين: الشاملة والقاصرة ولم «يختلف
تقسيم لا كوف عن تقسيم جورج بول: حيث قسمها إلى نحن المستثنية (المتكلم وحده) ونحن
المشتملة (المتكلم + المخاطب)».⁽¹⁾

فعندما يجمع المتكلم بين ذاته وذوات المخاطبين من خلال العنصر الإشاري (نحن) فإن
هذا الضمير يوظفه «المرسل للتعبير عن قصده في التضامن مع المرسل إليه، كما يعد
دليلا على حضور المخاطب في سياق التلفظ أو استحضاره حتى لو كان غائبا».⁽²⁾
وضمير المتكلم المعبر عن الجماعة سواء المنفصل أو المتصل أو المستتر في كامل
المدونة هو من النوع الثاني (نحن المشتملة) الدالة على التضامن والمشاركة لأن الرسول ﷺ
ليس بحاجة لتعظيم نفسه لأنه يمتلك السلطة بالخطاب منذ البداية*
ومن النماذج التي حضر فيها ضمير الجمع المتكلم قوله ﷺ: «إن العين لتدمع والقلب
ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا».⁽³⁾

حيث ورد مستترا في قوله: "نقول" في محل رفع فاعل كما ورد متصلا في قوله "ربنا"
مضافا إلى لفظ الجلالة، وكلاهما يصنف ضمن "نحن المشتملة" وما يؤكد ذلك السياق الذي
ورد فيه الحديث وهو احتضار إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فشمه وقبله وأخذت عيناه تذرفان
وتلفظ بالحديث -سابق الذكر- وفيه يفسر "البكاء المباح والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع
العين، ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمه، ومشروعية

1- ينظر: لنده قياس، الإشارات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي، مجلة أبوليوس، المجلد 5، العدد 09، جوان،
2018م، ص 49.

2- بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 292.

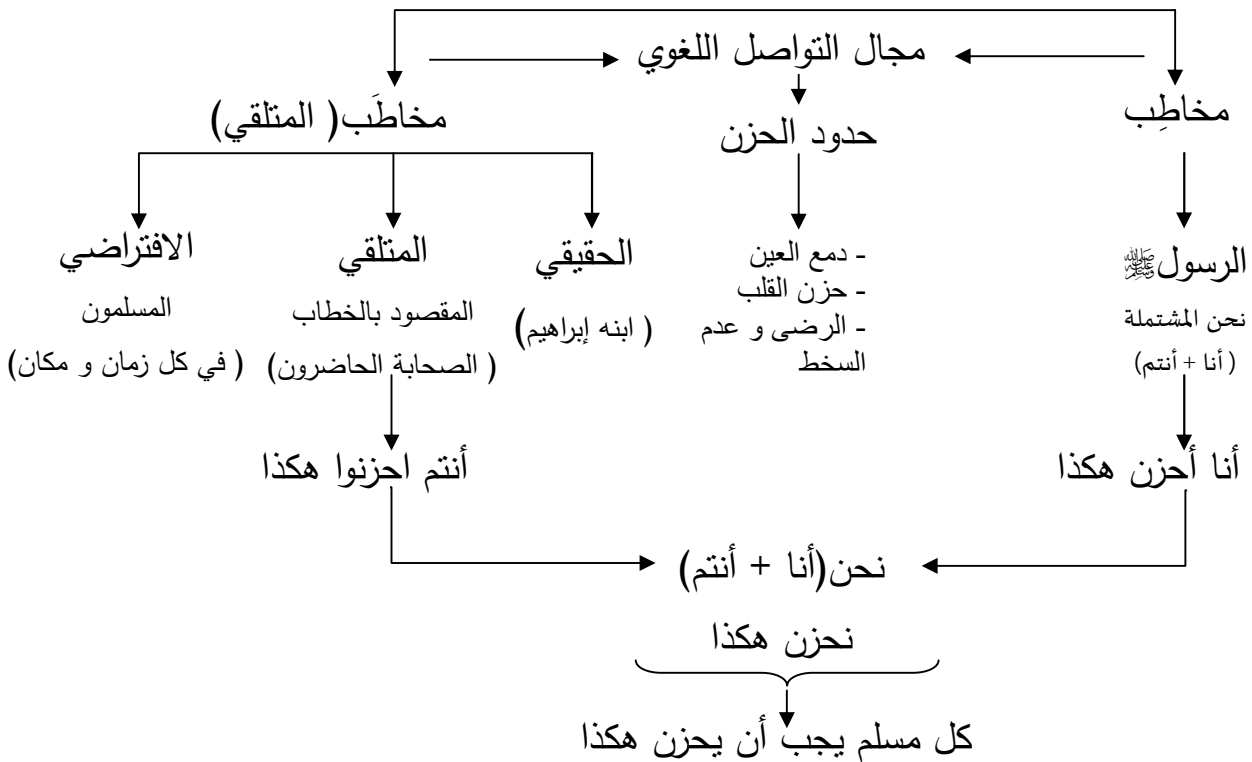
*- المخاطب المفرد الذي هو أعلى قدرا من المخاطبين يباح له أن يشير إلى ذاته المفرد بضمير الجمع. وهو ما يسميه
تمام حسان برعاية التداوليات.

3- المدونة، كتاب الجنائز، باب "إنا بك لمحزونون"، ص 241.

عيادة الصغير والحضور عند المحتضر، وجواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره لذلك" (1)

فالرسول ﷺ له مقصد وهدف من وراء جميع أفعاله وأقواله وهو تعليم المسلمين أمور دينهم ودنياهم وحدود شرائع الله في جميع أحوالهم أثناء حزنهم وفرحهم، فقد وردت أحاديثه لأغراض تعليمية تربية، وقد سلك ذلك كل ما من شأنه إيراد المراد وإبرازه وتبليغه للمسلمين فالحديث مأخوذ من "مخاطبة النبي ﷺ ولده إبراهيم مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين أحدهما: صغره، والثاني: نزاعه، وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين" (2)

ويمكن توضيح ذلك بالمخطط التالي:



1- فتح الباري، كتاب الجنائز، باب "إنا بك لمحزونون"، ج4، ص60.

2- فتح الباري، كتاب الجنائز، باب "إنا بك لمحزونون"، ج4، ص61.

"ويتداول هذا المثل في التعبير عن الحزن على فقد عزيز، وأن الحزن لا ينافي الإيمان، بل هو أمر طبيعي في الإنسان ولكن المكروه هو أن يقترن الحزن بالندب والنواح والتلفظ بعبارات فيها اعتراض على إرادة الله واستتكار لمشيئته سبحانه"⁽¹⁾

كما دلّ الحديث السابق أن فعله ﷺ لا يدخل في نهيه الذي جاء في الحديث التالي وهو قوله ﷺ: « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ».⁽²⁾
فالضمير "نا" في قوله "منا" دل على الانتماء إلى جماعة المسلمين أو عدم الانتماء بالمخالفة، أي « ليس من أهل سنتنا وطريقتنا وليس المراد منه الإخراج عن الدين، ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك ».⁽³⁾

ومثله قوله ﷺ: « ليس لنا مثل السوء الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه »،⁽⁴⁾
فقوله ﷺ: "ليس لنا" دليل على أن هذا الأمر من الكبائر إذ أنه في قوّة "ليس منا" وهذه الصيغة "ليس منا" عدها بعض المحققين في ضابط الكبيرة.⁽⁵⁾

وقوله "ليس لنا مثل السوء" أي بمعنى: « لا ينبغي لنا معشر المؤمنين (أنا وأنتم) أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أخس الحيوانات في أخس أحوالها ».⁽⁶⁾

ولعل هذا أبلغ في الزجر وأدلّ على التحريم كما لو قال: « لا تعودوا في الهبة »
ومثاله قوله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ».⁽⁷⁾

وهذا الحديث معدود في أصول الإسلام وقاعدة من قواعده ومعناه: من اقترح في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه.

1- ينظر: يحيى بن عبد الله المعلمي، الأمثال الشواهد في الحديث الشريف، دار المعلمي للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط، 1994م، ص 46.

2- المدونة، كتاب الجنائز، باب " ليس منا "، ص 240.

3- فتح الباري، كتاب الجنائز، باب " ليس منا "، ج 4، ص 44.

4- المدونة، كتاب الهبة، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته أو صدقته، ص 476.

5- محمد بن عمر بازمول، المطالع والأصول في فهم أحاديث الرسول، ج 2، ص 139.

6- محمد بن عمر بازمول، المرجع نفسه، ص 140.

7- المدونة، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ص 493.

« وقال النووي: هذا الحديث مما ينبغي أن يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وقال الطوفي: هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع لأن الدليل يتركب من مقدمتين والمطلوب بالدليل إما إثبات الحكم أو نفيه وهذا الحديث مقدمة كبرى في إثبات كل حكم شرعي و نفيه»⁽¹⁾.

فإذا نظرنا إلى ضمير المتكلم "أنا" الدال على الجماعة، وقد أضيف له لفظ "أمر" الموصوف بالإشارة "أمرنا هذا" والصادرة عن ذات تمثل إمام الجماعة وقائدها والمتكلم بأحكام الدين وتشريعاته لاحظ المتأمل أن: «الأمر هة أمر الجماعة المعتصمة بالكتاب والسنة فكل فرد فيها مسؤول عن إقامته، ورد المحدثات عنه، ثم بناء الخبر على اسم الشرط المفيد للعموم لا يحترم متعديا على الدين أو ملبسا على الجماعة أيا كان شأنه إذ لا استثناء في الحديث فكل فتوى أو اجتهاد يجب على الجماعة مصادرتها إذا كانت إحداث شأن دينها ليس منه»⁽²⁾.

فضمير المتكلم "نا" ورد في النماذج السابقة دالا على المتكلم ومعه غيره في الألفاظ (ربنا، منا، لنا، أمرنا)، وهو من الإشارات التي «تساهم في تأسيس العلاقة الاجتماعية وتطويرها وقد تكون مؤشرا على الانتماء إلى جماعة معينة أو دليلا على الاتفاق في الرأي»⁽³⁾.

فمرجع نحن في هذه النماذج هو المسلمون لأنهم ينتمون إلى هذا الدين الذي أقر هذه الشرائع وتسمى "نحن المتوسطة".

وما يجعل المرجع متوسطا* هو أن معرفتنا المشتركة تدلنا على أن المسلمين لا يمثلون العالم كله، بل هم جزء منه ولكنهم جزء كبير⁽⁴⁾

1- فتح الباري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ج6، ص529.

2- كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1984م، ص430.

3- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص292.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص287.

*- يتفاوت مرجع "نحن" الشاملة، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث أصناف:

1- نحن البسيطة: فئة صغيرة مثل إحالة أحد الطلاب على زملائه المتفوقين في الصف.

2- نحن المتوسطة: جماعة أو فئة لا تمثل العالم كله (المسلمون مثلا).

3- نحن العامة: تمثل العالم كله مثل "نحن حساسون لتقلبات الطقس: كل الناس حساسون لذلك. ينظر: بن ظافر

الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص294.

وقد يصل الأثر العاطفي لنحن الشاملة إلى درجة الحميمية بين أطراف العملية التخاطبية فهي ذات قوة عاطفية، ويمكن أن نمثل على هذه الدرجة بقوله ﷺ لزيد بن حارثة: «أنت أخونا ومولانا».(1)

وقوله ﷺ مشيراً بيده إلى المدينة وهو عائد من غزوة خيبر: «اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا».(2) ففي الحديث الأول يتوجه الرسول ﷺ بخطابه لزيد بن حارثة وهو في جمع من المسلمين فيقول له «أنت أخونا ومولانا» أي أخونا في الدين ومولانا* أي مولى الرسول ﷺ والمسلمين، فزيد نشأ في بيت رسول الله ﷺ فشمله بعطفه ورعايته، وكان مولى له فأعتقه، ولا يخفى محبته له فهو حُبُّ رسول الله ﷺ.

أما الحديث الثاني فيتضمن فيه الرسول ﷺ مع أهل المدينة كأنه واحد منهم فيدعوا الله بالبركة والرزق، وفي ذلك دليل على حبه لهذه المدينة التي احتوته حين أخرجه أهله من مكة، وحبه لأهلها الذين نصره وتبنوا دعوته وكانت مدينتهم المركز الذي انتشر منه الإسلام إلى كل بقاع الأرض.

فضمير المتكلم المتصل "نا" في هذه السياقات (لنا، مدنا، صاعنا، أخونا، مولانا) لا يقف استعماله عند الإحالة على المرجع فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح دليلاً على غرض تداولي وهو أن المشاركين في الخطاب ذوي علاقة حميمية من الناحية الإجتماعية.

أ-2- **ضمائر المخاطب:** تستخدم ضمائر المخاطب في اللغة العربية للدلالة على الحضور والغياب المقامين: «فالمتكلم حاضر في البنية باللزم، والمخاطب حاضر بالاقتضاء، والبنية دون اقتضاءها لا وجود لها».(3)

1- المدونة، كتاب الصلح، باب كيف يكتب ما صالح فلان بن فلان، ص 494.

2- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، ص 535.

*- تكرر ذكر المولى في الحديث: وهو اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والملك والسيد والمنعم و المعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد و المُعْتَق والمنعم عليه. ينظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج4، ص 174.

3- نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، تونس، د.ط، 2009م، ص 243.

فالمرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب «سواء كان حضورا عينيا أو استحضارا ذهنيا، وهنا الاستحضار للمخاطب يساهم في حركية الخطاب» ولأن خطاب الأمثال يتميز بالإطلاق والعموم يمكن القول أنه يشمل الاثنين غالبا (حضورا ذهنيا وحضورا غيبيا).

وتتوفر هذه المدونة (صحيح البخاري) على ضمائر الخطاب بأنواعها منفصلة ومستترة كما جاءت للأفراد والجمع لأن كل من ضمير المفرد والجمع يفيد العموم (المفرد والمثنى والمؤنث والجمع)، ويرجع ذلك لأن خطاب الأمثال مقولات لا ترتبط بشخص أو بزمان أو مكان معين، بل تتجاوز الأشخاص والأزمنة والأمكنة فإحالاتها مطلقة وتظهر أهمية التداولية في استعمال هذا النوع من الإحالة، فهي تكمن في مراعاة المتلقي، فالقول المطلق يمنح المخاطب فسحة من التأمل تعمل إلى دفعه لإعمال الفكر وتنشيط الذهن، واستعمال الإحالة المطلقة يدل على كيفية استثمار الكفاءة التداولية التي يمتلكها المتكلم فيترجم خبرته وحكمته في الحياة.⁽¹⁾

وبالرغم أن خطاب الأمثال تميز بالعموم هذا لا ينفي أن تكون هذه الأحاديث قد قيلت في سياق معين مرتبط بشخص معين، ولكنها صارت بعد ذلك قولا سائرا نقل عما ورد فيه إلى كل ما يصح قصده به، أي تداولها الناس في السياقات المماثلة على سبيل التمثيل. وأغلب الأحاديث في هذا الباب من النوع الأول (الأمثال المرسل) ومعانيها إما أن تدعو إلى فعل أمر من الأمور التي يرضاها الله ورسوله فمعانيها سامية رفيعة القدر، شريفة الذكر، لأنها تدعو إلى طريق الهدى والصالح والإصلاح وتحرض على فعل الطاعات وتتنهى عن المعاصي والمنكرات.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 83.

أ-2-1 ضمير المخاطب المفرد: وردت ضمائر المخاطب المفرد بأنواعها ويتحكم في استعمالها نوع العلاقة التي تربط طرفي الخطاب ومقاصد المخاطب وأهدافه.

ورد ضمير المخاطب المفرد المنفصل "أنت" في معنى المدح في قوله ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»⁽¹⁾.

ومما لاشك فيه أن يكون الرسول ﷺ قد أشار إلى صاحبيه إشارة حسية عن طريق الضمير "أنت" ليخبرهما بمكانتهما عنده « ويفترض أن يكون المخاطب بالضمير "أنت" موجودا وقريبا ومنتبها»⁽²⁾.

فقد أحال الضمير "أنت" إلى مخاطب يعرفه المتكلم معرفة جيدة، ويخاطبه وجها لوجه. كما يعد الضمير "أنت" من «العناصر الإشارية التي يعتمد مرجعها اعتمادا تاما على السياق»⁽³⁾، لأنه لا يمكن أن « ينتج المرسل خطابه غفلا من اعتبار السياق، فلا خطاب دون انخراطه في سياق معين»⁽⁴⁾.

وسبب ذكر جعفر وعلي وزيد مجتمعين في هذا الحديث هو تخاصمهم في وليدة حمزة أيهم يرعاها ويكفلها بعد وفاة أبيها، فاجتمعوا عنده بعد العودة من عمرة القضاء وقيل أثناءها وكلهم يرى أنه أحق بها من غيره، فدفعها ﷺ لجعفر لأنه زوج خالتها وقال لهم «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» أي « في النسب والصهر والمسابقة والمحبة وغيرها من المزايا ولم يرد محض القرابة، وإلا فجعفر شريكه فيها»⁽⁵⁾، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» أي إن لم تكن من قرابتنا أنت أخونا في الدين والإيمان وقد تكلمنا عن مكانة زيد عند رسول الله ﷺ ، فوق منه ﷺ تطيب خواطر الجميع وإن كان قد قضى بها لجعفر فقد بين وجه ذلك فالرسول ﷺ استعمل ضمير المخاطب "أنت" للتلطف بصاحبيه فأشار إلى

1- المدونة، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ص 786.

2- مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 33، سبتمبر 2001م، ص261.

3- أحمد محمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص18.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 18.

5- فتح الباري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ج9، ص308.

المكانة العالية التي يحتلها عنده، وأن حكمه لا علاقة له بالمحبة، وإنما بمصلحة البنت لأن خالتها أحن وأشفق عليها غيرها.

فمن ناحية الانفصال لا يشير الضمير "أنت" إلى المرجع فقط بل يشير إلى العلاقة الحميمة التي تجمع بين أطراف العملية التخاطبية من ناحية تكرار التواصل والقرابة وغيرها. والرسول ﷺ كانت تجمعها علاقة صداقة ومحبة وقرابة وأخوة... الخ بأصحابه. ومما جاء في الضمير "أنت" يفيد الإطلاق والعموم ما رواه أبو هريرة عن الرسول ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «جف القلم بما أنت لاق».(1)

والحديث من الأمثال المرسلة وهو "كناية على الفراغ من الكتابة إشارة إلى أن الذي كتب في اللوح لا يتغير حكمه، وأن كتابته انقضت من أمد بعيد.(2) واستعمال اللفظ الكنائي في مثل هذه السياقات فيه دلالة على التأدب والتهديب في أقصى مستوياته، فالرسول الكريم ﷺ كان يكفيه في بعض المواقف أن يرد ردا مباشرا لكنه آثر الطريقة التلميحية والرد غير المباشر لما يحمله اللفظ المكنى من توجيه تربوي دون إحراج المخاطب، وسرعة إيصال المعنى المراد، ويكون أبلغ في التهديد والزجر، وقد لا يؤدي غيره دوره في مثل مقامه، فالأمثال من الأساليب غير المباشرة للتعريف عما يراد التعريف به. والضمير "أنت" أفاد العموم - حتى وإن كان الخطاب موجه لشخص بعينه وهو أبو هريرة وجاءت إحالته مطلقة، فكل إنسان جف القلم بما هو لاق، فيمكن أن يضرب هذا المثل لكل شخص يجادل حول ما قدر له وكتب عليه، " وعلى هذا يتقرر أنه يمكن أن يكون استعمال هذه الإشارات لغير مرجعها من باب المجاز، والتأدب هو من أسباب استعمالها على هذا الوجه وليس شاذا في الاستعمال.(3)

كما حضر ضمير المخاطب المفرد المتصل بقوة في خطاب الأمثال، وكلها في خطاب الواحد وإرادة الجميع، ومن أمثله: كاف الخطاب في قوله ﷺ: « يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك

1- المدونة، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله، ص 1233.

2- فتح الباري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله، ج14، ص 532.

3- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 291.

امروء فيك جاهلية»⁽¹⁾ وقيل كاف الخطاب عادت على مرجع حاضر وقت التلطف، ووردت في هذا المثال في قوله: "إنك ، فيك" وهي تحيل إحالة نصية قبلية على مذكور سابق: صاحبه أبو ذر رضي الله عنه، حيث ورد الاسم مصحوبا بأداة النداء "يا" وهي أداة ينادى بها القريب والبعيد، وبما أن أبا ذر كان حاضرا أثناء الخطاب فهي استعملت لمناداة القريب، وربما دلت على القرب المادي والمعنوي معا، فبالرغم من المخالفة التي وقع فيها أبا ذر إلا أنه ظل قريبا من قلب الرسول ﷺ، ودلالة النداء في هذا الخطاب هي التنبيه لما سيقوله المخاطب من قول ذي أهمية، ومما لا شك فيه أن مجيء النداء مع الاستفهام الإنكاري التعجبي، يفصح عن تداولية لسانية، ويزيد المتلقي شوقا وترقبا لما سيقوله المخاطب، لأن النداء: « يبعث في الإنسان طاقة عجيبة من التأثير يهز المشاعر هزا شديدا ولكن في وعي يوقظ العقل ويشد انتباهه إلى الشعور والوجدان»⁽²⁾.

وهنا نقف على أهمية النداء في تحفيز المخاطب على التمسك بمكارم الأخلاق وهو خطاب للمفرد أريد به الجميع، ويتداول المثل: « في التنفير من ميل المسلم إلى خلق من أخلاق الجاهلية التي أبطلها الإسلام، وكرهها كالشتم والنبز بالألقاب والصفات، والافتخار بالأنساب»⁽³⁾.

كما وردت كاف الخطاب في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»⁽⁴⁾ وتحيل كاف الخطاب في "كأنك" إلى الضمير المستتر في قوله "كن" في بداية الحديث وكلاهما يحيل إلى عبد الله بن عمر - الصحابي الجليل - الذي وجه إليه الرسول ﷺ الكلام على سبيل الوعظ والإرشاد، وفيه دلالة على حبه له وتقريبه إياه ويحمل الخطاب بعض درجات الحميمية ومعنى قوله: «لا تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا» والمراد أن يترك المؤمن نفسه في الدنيا منزلة الغريب، فلا يعلق قلبه بشيء من بلد الغربة بل قلبه معلق بوطنه الذي يرجع إليه ويجعل

1- المدونة، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية لا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ص 16.

2- أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، ط1، 1989م، ص 168.

3- المعلمي، الأمثال الشواهد في الحديث، ص 54.

4- المدونة، كتاب الرفاق، باب "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، ص 1207.

إقامته في الدنيا ليقضي حاجته وجهازه للرجوع إلى وطنه، وهذا شأن الغريب، أو يكون كالمسافر لا يستقر في مكان بعينه، بل هو دائم السير إلى بلد الإقامة.⁽¹⁾

وأما عطف عابر السبيل على الغريب فهو من عطف العام على الخاص، وفيه نوع من الترقى لأن تعلقاته أقل من تعلقات الغريب المقيم.

وفي الحديث مس المعلم أعضاء المتعلم والموعوظ عند التعليم والموعظة - أخذ الرسول بمنكبي - وذلك: «للتأنيس والتنبيه، ولا يفعل ذلك غالبا إلا بمن يميل إليه».⁽²⁾ وفيه حرصه ﷺ على إيصال الخبر لأُمَّته وذلك بمخاطبة الواحد وإرادة الجمع ويتداول المثل في "الحض على ترك الدنيا والاقتصار على ما لا بد منه".⁽³⁾

كما جاء ضمير المخاطب المفرد "بناء الخطاب" في قوله ﷺ: «لا دريت ولا تليت»⁽⁴⁾ وهو قول مطلق وفيه إحالة على المخاطب «بالدعاء عليه بعدم المعرفة والقراءة إذا أجاب بقوله لا أدري وذلك إذا كان مقصرا»⁽⁵⁾، ويصلح لكل مخاطب هذه صفته في كل زمان ومكان.

ومما جاء فيه المخاطب ضميرا مستترا في فعل الأمر قوله ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».⁽⁶⁾ في «تستح، اصنع» وهذا المثل صورته صورة الأمر، ومعناه معنى الخبر المحض أي من كان لا يستحي فانه يصنع ما يشتهي، ولكنه صرف من جهة الخبرية لجهة الأمر لفائدة بلاغية وهي: " أن العبد له من حياته أمر يأمره بالحسنى وزاجر يجره عن القبح، ومن لم يكن من نفسه هذا الأمر لم تتفعه الأوامر وهذا هو واعظ الله في قلب العبد

1- فتح الباري، كتاب الرفاق، باب كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، ج4، ص 189.

2- فتح الباري، المرجع نفسه، ج4، ص 190.

3- فتح الباري، كتاب الرفاق، باب كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، ج4، ص 190.

4- المدونة، كتاب الجنائز، باب " ما جاء في عذاب القبر"، ص 254.

5- ينظر: مروان بن عبد الله بن محمد المحمدي، الأمثال في الكتب الستة وموطأ الإمام مالك، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: عويد بن عباد المطرفي، جامعة أم القرى، كلية الدعوى وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ج2، 1417هـ، ص 427.

*- قوله: تليت: أصله تلوّث، أي لا فهمت ولا قرأت القرآن، والمعنى لا دريت، والمعنى: لا دريت واتبعت ما يدري، وإنما قاله بالباء لمؤاخاة، دريت. فتح الباري، ج4، ص 156.

6 - المدونة، كتاب الأدب، باب " إذا لم تستح فاصنع ما شئت"، ص 1157.

المؤمن، فإذا فقد هذا الأمر الناهي بفقد الحياء، فهو مطيع لا محالة لداعي الغي والشهوة طاعة لا انفكاك لها فنزل منزلة المأمور وكأنه يقول: إذا لم تأتمر لأمر الحياء فأنت مؤتمر لأمر الغي والسفه، وأنت مطيعه لا محالة وصانع ما شئت لا محالة، فأتى بصيغة الأمر تنبيهها على هذا المعنى، ولو أنه عدل عنها إلى صيغة الخبر المحض فقيل: «إذا لم تستح صنعت ما شئت لم يفهم منها هذا المعنى اللطيف».(1)

ويتداول هذا المثل في: «التفكير من أمر قبيح، ووصف من يفعل أمرا من الأمور القبيحة بأنه عديم الحياء، وذلك زجرا له على فعله هذا وتنفيرا من ذلك».(2)

ومن الأمثال التي جاء فيها المخاطب حاضرا يخاطبه المتكلم بصيغة الخبر قوله ﷺ للمرأة التي جزعت على فقيدها: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»(3) أي كان عليك أن تصبري عند أول صدمة وتتقبلي نصحي لك بعدم الجزع لأن «الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو».(4)

وما يؤكد ذلك ورود "إنما" التي تفيد القصر في بداية المثل ونلمح في خطاب الرسول ﷺ هذا نبرة العتاب والتأسف كأنه يعاتب المرأة بعدم توجيه الخطاب إليها مباشرة وحمله محمل الخبر وهذا فيه نوع من التباعد للمخاطب.

ويتداول هذا المثل في بيان أن الصبر عند قوة المصيبة ومفاجأتها يثاب عليه، وأما إن طالت الأيام أصبح الصبر طبعاً فلا يؤجر عليه.

كما يكثر في حديث الأمثال ما جاء يحمل في شطره معنى الخبر، وفي شطره الثاني يكون أمراً يتجه به المتكلم نحو المخاطب فيأمره أو ينهاه عن أمر ما، ومن ذلك قوله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد».(5)

1 - ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، مكتبة الصفاء، دار البيان الحديثة، القاهرة، ط1، 2005م، ج1، ص100.

2 - ينظر:، مروان عبد الله، الأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ الإمام مالك، ص279.

3 - المدونة، كتاب الجنائز، باب "زيارة القبور"، ص237.

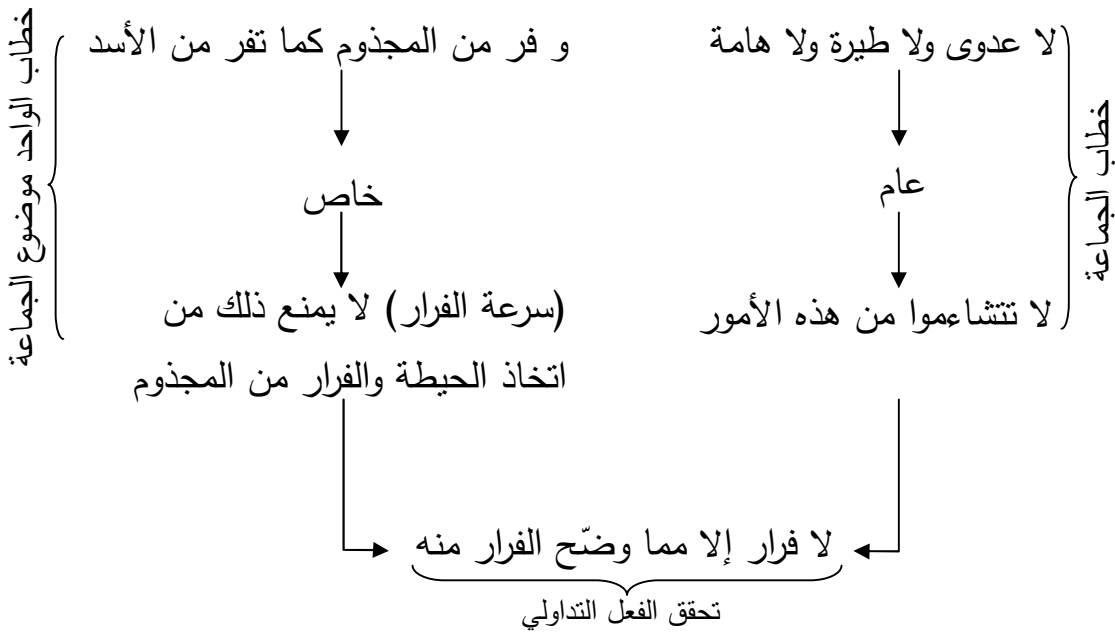
4- فتح الباري، كتاب الجنائز، باب "زيارة القبور"، ج4، ص23.

5- المدونة، كتاب الطب، باب "الجذام"، ص1096.

ولم يخاطب الرسول ﷺ في هذا المثال مخاطباً بعينه، وإنما جاء الخطاب لعامة المسلمين في «النهي عن اعتقاد أن المرض يصيب بنفسه والحق أن المرض لا يصيب ولا يعدي إلا إذا أراد الله ذلك وشاءه وفيه نهي عن التشاؤم»⁽¹⁾

وأما انتقاله ﷺ من صيغة الخبر إلى ضمير المفرد المخاطب المستتر في قوله "فر" لإفادة التخصيص أي: أن إثبات العدوى في الجذام مخصوص من عموم نفي العدوى فيكون معنى قوله: "لا عدوى... أي من الجذام والبرص والجرب مثلاً كأنه قال: لا يعدي شيء شيئاً إلا ما تقدم تبين له أن فيه العدوى."⁽²⁾

فما نجده في هذا الخطاب الانتقال باللفظ من العموم إلى الخصوص وفق مايلي:



1- ينظر: مروان بن عبد الله، الأمثال في الكتب الستة وموطأ الإمام مالك، ص 429.

2- فتح الباري، كتاب الطب، باب الجذام، ج 13، ص 84.

كما استخدم الرسول ﷺ ضمير المخاطب المفرد للإحالة على الجمع في قوله ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوما*»، قالوا: يارسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال «تأخذ فوق يديه». (1)

و يتداول المثل في « وجوب نصره المسلم إذا كان مظلوماً، و منعه من الظلم إذا كان ظالماً، لأن في هذا نصر له على شيطانه الذي يغويه، و على نفسه التي تأمره بالسوء» (2) فالرسول ﷺ انتقل من الخبر المحض إلى استخدام ضمير المخاطب الذي يحيل بدوره على الجمع -جماعة المسلمين- واستخدمه للدلالة منذ البداية على جماعة المسلمين أيضاً، كما استخدم صيغة الخبر في معنى الأمر والعكس صيغة الأمر في معنى الإخبار وذلك نتيجة لعوامل تداولية يقتضيها السياق كالنهي والأمر، والزجر والتحذير.... وغيرها.

وعليه فإن الإشارات تتميز بعدم الثبات « فقد يلجأ المرسل إلى التلاعب بها فيخرجها من مدلولها الأصل، ويحولها في السياق الاجتماعي من وظيفتها الدلالية في الدلالة على المرجع إلى وظيفتها التداولية في انعكاسها مؤشراً على قصده». (3)

ومما جاء في الأمثال خطاباً صريحاً في سياق النصح والإرشاد والاستحباب في الأمر قوله ﷺ: « يا غلام سمَّ الله، وكل بيمينك، وكل ممَّ يليك». (4)

حيث وردت ضمائر المخاطب المستترة في فعل الأمر في قوله (سم، كل، كل) وهي تحيل إحالة نصية قبلية على مذكور سابق (الغلام) الذي أسبق بالنداء للتنبيه إلى أهمية ما سيقال له وفي هذا المثل اجتمعت آداب الطعام وهي: التسمية والأكل باليمين والأكل مما

1- المدونة، كتاب المظالم، باب "أعن أخاك ظالماً أو مظلوما"، ص444.

2- مروان بن عبد الله، الأمثال في الكتب الستة وموطأ الإمام مالك، ص308.

*- ذكر المفضل الضبي في كتابه "الفاخر" أن أول من قاله: "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، و أراد بذلك ظاهره و هو ما اعتادوه من حمية الجاهلية، لا على ما فسره رسول الله ﷺ، و في ذلك يقول شاعرهم: إذا أنا لم أنصر أخي و هو ظالم*** على القوم لم أنصر أخي حين يُظلم
ينظر: فتح الباري، ج6، ص237.

3- ينظر: بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص(286-287).

4- المدونة، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام و الأكل باليمين، ص1043.

يلي الطاعم، وبالرغم من أن الخطاب موجه إلى مخاطب بعينه إلا أنه يحمل دلالة العموم أي يستحسن على كل مسلم أن يأخذ بهذه الآداب أثناء الأكل.

فخطاب الأمثال النبوية الموجه إلى المخاطب المفرد تضمن العديد من الوسائل التربوية مثل: الترغيب والترهيب، والتكرار، والتحذير، والزجر، والنهي، والأمر، والنصح.... إلخ «وتميزت هذه الوسيلة -ضرب المثل- بأنها اغتنمت ما يحدث في النفس من انفعال في ظل المثل لغرس التوجيه المناسب، فيكون تأثر النفس بذلك التوجيه عميقاً والأمل في الالتزام النفسي به كبيراً». (1)

أ-2-2 ضمير المخاطب الجمع

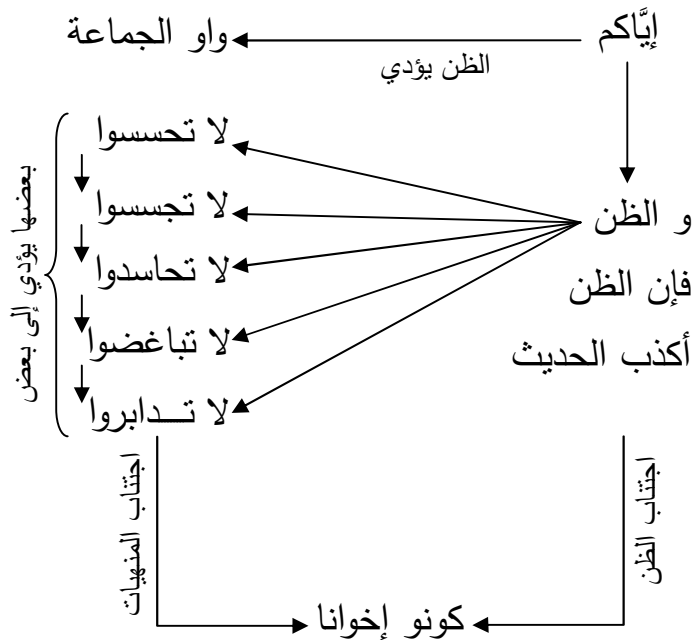
كما ورد ضمير المخاطب المعبر عن الجماعة بكثرة في خطاب الأمثال ومثاله قوله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً*». (2)

حيث افتتح الحديث بضمير منفصل "إيا" وهو «ضمير مبني على السكون، ويكون دائماً في محل نصب، وما بعده يوضح المراد منه، متكلماً أو مخاطباً أو غائباً أو مثني أو مجموعاً». (3)

- 1- ينظر: بهية بنت محمد، بعض الدلالات التربوية للأمثال النبوية من خلال كتاب الأمثال في الحديث لرامهرمزي، ص254
 - 2- المدونة، كتاب الأدب، باب "ما ينهى عن التحاسد والتدابير"، ص1149.
 - 3- محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الكويت، د.ط، 2011م، ص154
- * الظن: المراد به ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وما يقع في القلب بغير دليل.
- أكذب الحديث: المراد ما ينشأ عن الظن، فوصف به الظن مجازاً.
 - ولا تحسسوا ولا تجسسوا: بالجيم البحث عن عوراتهم، وبالحاء استماع حديث القوم، وقيل بالجيم: البحث عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر، وبالحاء البحث عما يدرك بحاسة العين والأذن، وقيل بالحاء، بالحاسة، أي إحدى الحواس الخمس وبالجيم من الجس بمعنى اختبار الشيء باليد فتكون الأولى أعم.
 - ولا تحاسدوا: وهو تمنى زوال النعمة فإن سعى كان باغياً، وإن كان المانع له العجز بحيث لو تمكن لفعل فهذا مأزور، وإن كان التقوى فيعذر ويكفيه مجاهدة نفسه.
 - لا تباغضوا: أي لا تتعاطوا أسباب البغض لأن البغض لا يكتسب ابتداءً.
 - لا تدابروا: لا تهاجروا: فيهجر أحدكم أخاه.
 - وكونوا إخواناً: اكتسبوا ما تكونوا به إخواناً من الأمور المقتضية لذلك إثباتاً ونفياً وفي رواية أخرى بزيادة ولا تتافسوا.
- فتح الباري، كتاب الأدب، باب "ما ينهى عن التحاسد والتدابير"، ج13، ص(120-124).

وقد اتصل به كاف الخطاب المعبر على جماعة الذكور فأحال بذلك على جمع المخاطبين "أنتم" (فما يشار إليه في العالم الخارجي جماعة المسلمين) وهم المبلغون بالكلام. وحمل الضمير المنفصل مع كاف الخطاب معنى النهي عن الظن والتحذير من الوقوع فيه لأنه أكذب الحديث، وأتبع الضمير المنفصل في بداية الكلام بمجموعة من ضمائر المخاطب المتصلة في واو الجماعة التي أفادت الفاعلية في قوله: «لا تحسسوا، لا تجسسوا، لا تحاسدوا، لا تدابروا، لا تباغضوا» وكلها تحيل على الضمير الأول المنفصل وما يحيل عليه، وجاءت المنهيات بهذه التراتبية لأن بعضها يؤدي إلى بعض وسبب منه.

أما قوله "كونوا إخوانا" فيحمل الضمير - واو الجماعة هنا- معنى النتيجة أي إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخوانا وإذا لم تفعلوا تصيروا أعداء لا محالة. وقد أفادت هذه الضمائر في انسجام وترابط أجزاء النص وفق تراتبية منطقية انجرت عنها نتيجة ختامية قصدها المتكلم منذ البداية وهو الأخوة والوحدة ودفع كل ما بوسعه تشتيت الشمل، كما يوضح المخطط التالي:



الغرض التداولي: تحقق الفعل-الأخوة- باجتناب المنهيات.
و العكس عدم تحققه بعدم الاجتناب

ومما انتقل فيه الرسول ﷺ من ضمير المخاطب الجمع إلى المخاطب المفرد قوله ﷺ:

«اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة». (1)

حيث وردت واو الجماعة في قوله "اتقوا" والضمير المستتر المفرد في قوله "تجد" وتركب المثل من شطرين: الأول: قوله: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ويؤكد على وجوب تحرك المخاطب نحو اتقاء النار حتى لو لم يتيسر له من أسباب ذلك سوى شق تمرة « ولا يخفى دلالة لو هنا على الامتناع وإن كان لنا أن نوضح أن الامتناع ليس مطلقا بل الأقرب هنا أن يكون الامتناع حاملا دلالة النفي الضمني لاقتصار القدرة على شق التمرة فقط، وينطبق هذا على إضافة ولو بكلمة طيبة». (2)

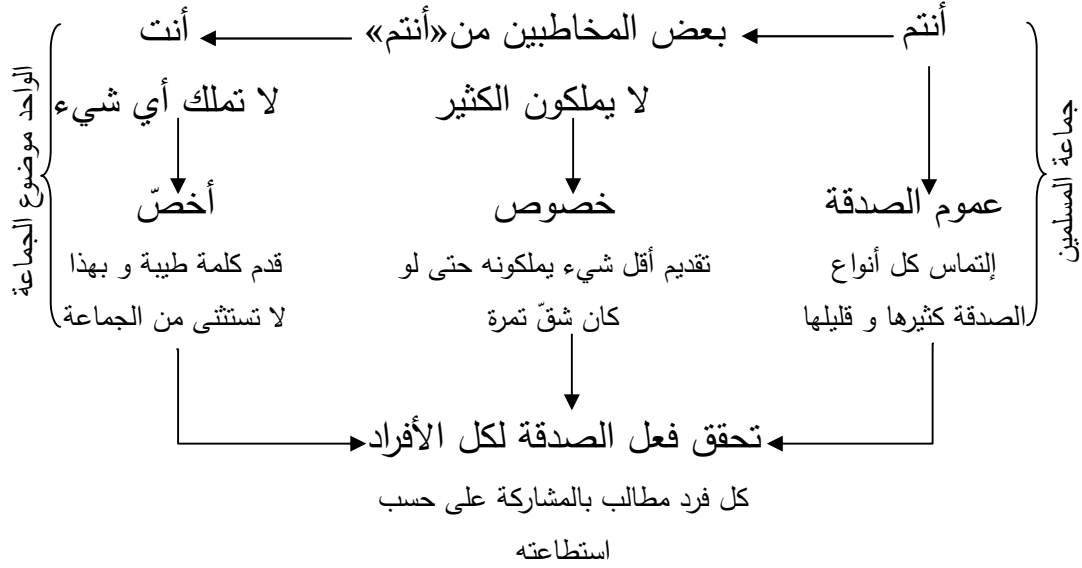
والشطر الثاني قوله: " فإن لم تجد فبكلمة طيبة" وجاء في «الحث على الصدقة ولو بالحد الأدنى منها حسب الاستطاعة بفرض عدم القدرة على التصدق بشق التمرة بالتوجه إلى الكلمة الطيبة في صياغة أسلوب الشرط - فإن لم تجد فبكلمة طيبة- الذي يتعدى بدلالة الطلب من تضافره مع سياق الطلب السابق عليه لتصبح الدلالة: -فإن لم يستطع أحدكم اتقاء النار والوقاية منها بالتصدق بشق تمرة فليصدق بكلمة طيبة- فإن هذه الكلمة تحقق له صدق العزم، والنية على القيام بفعل الاتقاء». (3)

وإن كان من الممكن أن تتلقى هذه الدلالة على أنها مجرد ضرب المثل للحد الأدنى من العمل المنجز الذي يتحقق بفعل الاتقاء الذي يمثل جوهر الطلب في هذا الحديث. وأما ذكر القليل من الصدقة بعد ذكر شق التمرة فهو من عطف العام على الخاص فيكون الانتقال من ضمير الجمع المخاطب "أنتم" في "اتقوا" إلى ضمير المفرد المخاطب في "لم تجد" للتخصيص ، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط التالي:

1- المدونة، كتاب الأدب، باب "طيب الكلام"، ص 1142.

2- عيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة، ص 404.

3- عيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة، ص 404.

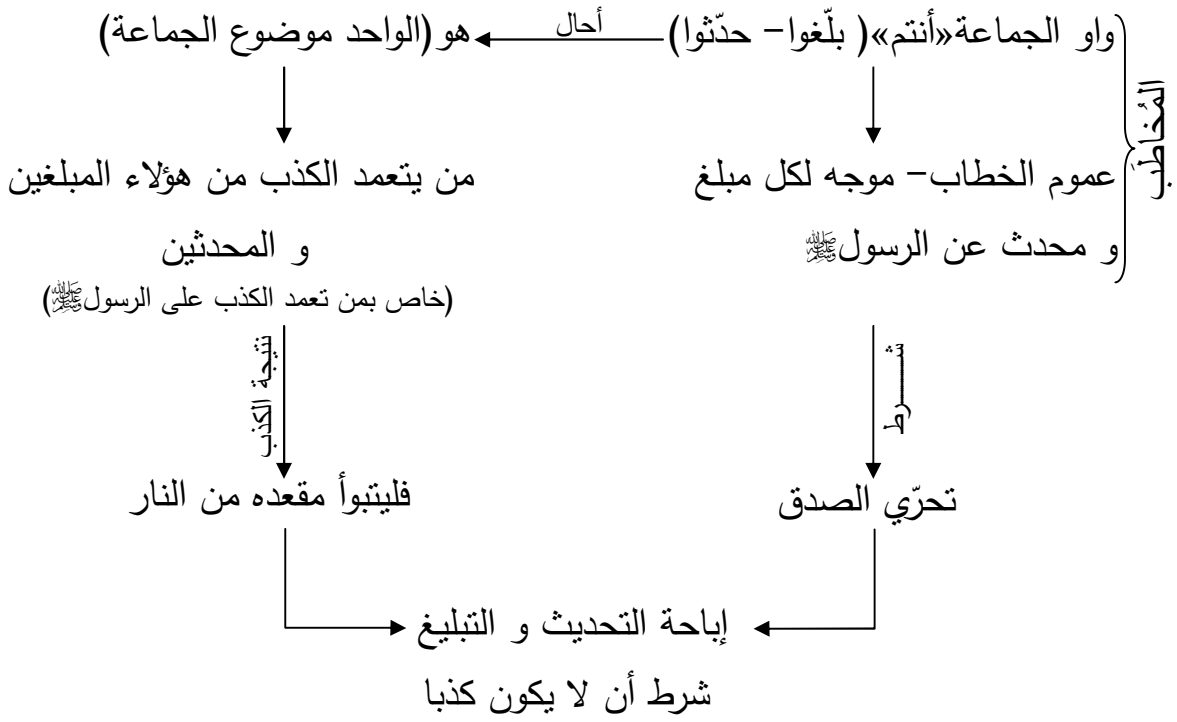


ومثله قوله ﷺ: « بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»⁽¹⁾.

غير أنه في هذا المثل عدل من ضمير الجمع المخاطب في قوله "بلغوا، حدثوا" إلى ضمير الغائب المفرد المستتر في "كذب".

وضمير المخاطب هنا معلوم وهو جماعة المسلمين الحاضرين أثناء الخطاب ثم عدل إلى ضمير الغائب المستتر "هو" وهذا أوكد في تبليغ النصائح والإرشادات، إذ تخاطب معلوماً ثم تكلفه بمضمون الخطاب، فالحال دالة على الإنجاز في المستقبل، ومحفزة على الالتزام بتحقيق النتائج ويمكن شرح ذلك بواسطة المخطط التالي:

1- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب "ما ذكر عن بني إسرائيل"، ص 646.



كما ساق الرسول ﷺ مجموعة من الأمثال بلفظ "أحدكم" الدال على المخاطب الحاضر، ثم تكليفه بمضمون الخطاب بضمائر الغيبة ومثاله: قوله ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».(1)

وقوله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه».(2)

ما يدل على حضور المخاطب في هذه الأمثال كلمة "أحدكم" أما باقي الإشارات فهي ضمائر الغائب في قوله: "يحب-أخيه-نفسه-له-يسأله-أعطاه-منعه-يحتطب-يأتي-يأخذ-حبله" واستعمال هذا الضمير "هو" لدلالة الغائب المعلوم، فالخطاب في المثال الأول لكل شخص اتصف بتمام الإيمان فكأن يكون أحد الصحابة أو بعضهم أو عامة المسلمين، وفي المثال الثاني الخطاب موجه لمن كان حاضرا عند رسول الله ﷺ من المسلمين.

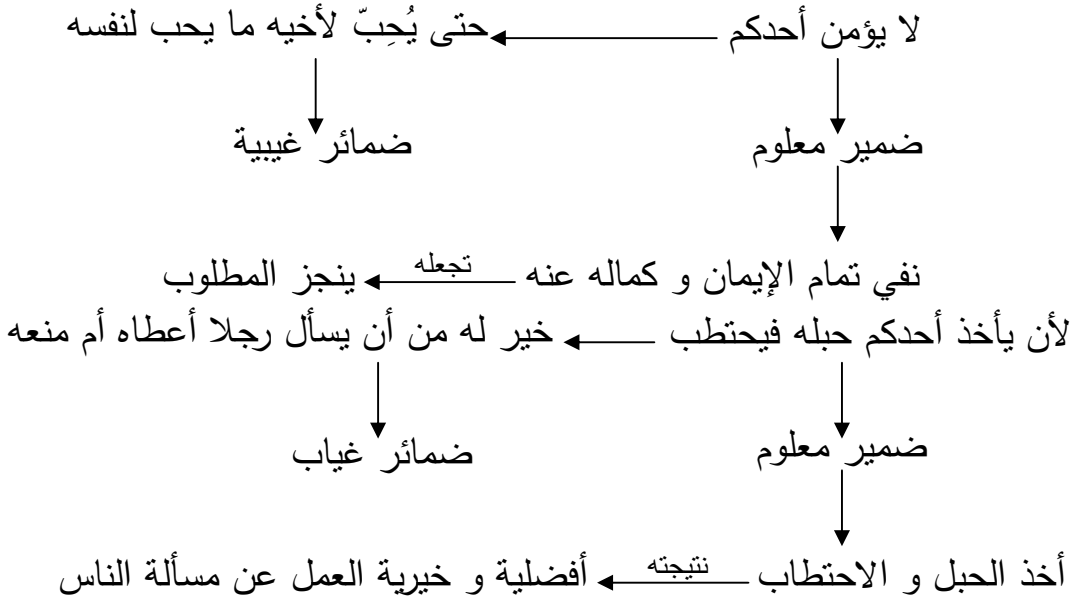
1- المدونة، كتاب الإيمان، باب "من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، ص12.

2- المدونة، كتاب الزكاة، باب "الإستعفاف عن المسألة"، ص274.

كذلك فضمير الغائب المعلوم كبقية الضمائر لا بد من مرجع لفظي أو معنوي، وإذا كان المرجع معنوياً أو مفهوماً من المناسبة أو السياق في غير ألفاظ سمي القرينة المعنوية أو الغائب المعلوم.⁽¹⁾

ويتداول المثل في الحديث الأول «في الحث على محبة الخير للمسلمين، وأنها خصلة من خصال الإيمان ولا يتم تمامه واكتماله إلا بها، أما المثل في الحديث الثاني فيتداول في الحث على الاستغفار في المسألة والاعتماد على النفس في تحصيل الرزق وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن ذل الرد إذا لم يعط».⁽²⁾

فدلالة الضمائر في مثل هذه الأمثال تحيل إلى معلوم والخطاب موجه للحاضر بدلالة "أحدكم" ثم يعدل عنه للغائب "هو" لتكليفه بمضمون الخطاب وذلك أبلغ وأؤكد في توجيه النصح لأنه يسمح بوجود مساحة للمخاطب من التأمل، واشتغال الفكر ومن ثم الاتعاض والأمثال.



1- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، 1966م، ص231.

2- فتح الباري، كتاب الزكاة، باب "الإستغفار عن المسألة"، ج4، ص301.

كما جاء ضمير المخاطب (كاف الخطاب) مضافا إلى الاسم المجرور في تعداد بعض المحرمات والمكروهات في قوله ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعا وهات، ووأد البنات، وكره لكم: قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال*».(1)

وورد مضافا لاسم التفضيل "ويدل اسم التفضيل كذلك على الزيادة في أصل الفعل غالبا"(2) مثل قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».(3)

وقوله ﷺ: «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا».(4)

وقوله ﷺ: «إن خيركم أحسنكم عطاء».(5)

وقوله ﷺ: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام».(6)

وجاء الرسول ﷺ بكاف الخطاب المضاف إلى اسم التفضيل ليفاضل به بين المخاطبين في بعض الأمور المحببة في الإسلام مثل تعليم القرآن وحسن الخلق والنفقة.... إلخ، وهو مقياس أراد الرسول ﷺ أن يقيس به المخاطبين في الخيرية والسبقية فيما ذكر - والأصل في خير أخير وقد سقطت الهمزة من كلمة خير - وفي ذلك مدعاة وحث على التنافس.

1- المدونة، كتاب الأدب، باب "عقوق الوالدين من الكبائر"، ص1136.

2- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج4، ص267.

3- المدونة، كتاب فضائل القرآن، باب "خيركم من تعلم القرآن و علمه"، ص980.

4- المدونة، كتاب الأدب، باب "حسن الخلق و السخاء"، ص1144.

5- المدونة، كتاب الوكالة، باب " الوكالة في قضاء الديون"، ص416.

6- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت»، ص627.

*- عقوق الأمهات: اختصاص الأم بالذكر وهو من تخصيص الشيء بالذكر إظهارا لعظمة موقعه، والأمهات جمع "أمهة" وهي لمن يعقل بخلاف لفظ الأم فهو أعم.

- منعا وهات: الحاصل من النهي منع ما أمر بإعطائه وطلب ما لا يستحق أخذه.

- وأد البنات: دفنهن أحياء.

- قيل وقال: من القول: الإشارة إلى كراهة كثرة الكلام لأنها تؤول إلى الخطأ.

- كثرة السؤال: وهو سؤال المال أو السؤال عن المشكلات والمعضلات، أو كثرة السؤال عن أخبار الناس أو كثرة سؤال إنسان بعينه عن تفاصيل حاله.

- إضاعة المال: الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق وقيدته بعضهم على الإنفاق في الحرام. فتح الباري، ج13، ص

420 وما بعدها.

3- أسماء الإشارة: هي ما وضع ليدل على معين بواسطة إشارة حسية أو معنوية، فهي تحيل على حاضر وقت الكلام أو استحضاره بالخطاب ذهنياً، وتعد من الإشارات « التي تتصل مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية أخرى، فهي ترتبط بالحقل الإشاري ارتباطاً أنياً محدوداً مباشراً لا يتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل، وهي في ذلك تقابل العناصر الإحالية التي ترتبط بالسياق وما يتعلق به من ملابسات».(1)

ويتنوع اسم الإشارة بحسب عدد المشار إليه ونوعه (تذكيره وتأنينه) إلى ما يدل على مفرد أو مثنى أو جمع وكل منها إما أن يكون مذكراً أو مؤنثاً كما يوماً بهذه الأسماء إلى الإنسان والحيوان والجماد والنبات والمكان، وتأتي في الخطاب لأغراض تداولية وبلاغية ومن هذه الأغراض: الاختصار وتجنب التكرار، والتقريب والتبعيد والتحقير وغيرها. كما يعمل اسم الإشارة على ترابط الخطاب واتساقه فالمبدأ العام خلف الإشارة هو جعل الخطاب متماسكاً من خلال استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله وللوصف باسم الإشارة «مزية يلمسها الذوق، لأنه يجسم المعاني المعقولة وينقلها إلى حيز الموضوع تحت البصر والمشار إليه بالبنان، فإذا كان المشار إليه مجسداً زاده تمييزاً وانكشافاً بتوجيه السامع إليه لزيادة اهتمام المتكلم به في مقام يستدعي ذلك من المدح أو الذم أو سواهما».(2)

ومن هذا الطراز في الأمثال النبوية قوله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».(3) فالوصف بالإشارة في هذا الحديث لتحقيق الأمر المعنوي، أمر الدين وتمييزه أكمل التمييز بتجسيمه وإظهاره في صورة المنظور والمشار إليه، تعظيماً لشأنه مقام الإغراء بالتزامه والتحذير من التبديل والتحريف أو الخلط فيه بفعل الدواعي والأحداث واسم الإشارة وضع للقريب هو الدين الحنيف الذي كان ما يزال ينتزل به الوحي، فكل أمر يدخله الإنسان على هذا الدين مردود عليه.

1- الأزهري الزناد: نسيج النص، ص116.

2- كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 429.

3- المدونة، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ص 493 .

وأما قوله ﷺ عن جبل أُحُدٍ « هذا جبل يحبنا ونحبه»،⁽¹⁾ فاسم الإشارة " هذا " أحال به إحالة خارجية مقامية على جبل أُحُدٍ والإشارة في هذا المقام تصف محسا في مقام التعظيم فوصفة بإشارة القريب لتحديده أتم التحديد في نظر السامع ، وترسيخ صورته في قلبه وقلب أصحابه بالمحبة المتبادلة بينهما، فاسم الإشارة "ذا" دل على المفرد المذكر ولحقته الهاء في أوله للتنبيه. وأكثر النحاة على أن «مراتب الإشارة ثلاث: للقريب "ذا" وتلحقها هاء التنبيه كثيرا . وللوسطى "ذا" مع الكاف أي: "ذاك" . وللبعدى: الكاف مع اللام أي: ذلك». ⁽²⁾

ومن النماذج التي حضر فيها اسم الإشارة قوله ﷺ: «إن مثلي و مثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله وجعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فإنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها». ⁽³⁾

فقد عبر الرسول ﷺ في هذا التمثيل عن الهدى الذي جاء به بالإضاءة ولكن المعرضين عن الحق حولوا هذه النار وهذا الضوء الذي مثل به لحدود الله إلى سبب لهلاكهم بدلا من أن يكون سببا لمنجاتهم. فشبهم الرسول ﷺ بهذا الفراش وهذه الدواب المتهافتة على الإفتحام فيها ، فاستعمل اسم الإشارة في قوله " فجعل الفراش وهذه الدواب يقحمن فيها" فلقد أراد بذلك تحقير شأنها وتخصيص ذكر الدواب والفراش لا تسمى دوابا في العرف لبيان جهلها كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ التوبة: [22]- وكل ذلك تعريض لطالب الدنيا المتهالك فيها.

فالإشارة إلى الدواب ب - هذه - تستحضر صورتها في خيال المخاطب وتمييزها أكمل التمييز في مقام جعلها ممثلا به، والممثل به ينبغي أن تكون معرفته أتم « ولذلك وصفت بالموصول ذي الصفة الفعلية المبدوءة بالمضارع - التي تقع في النار - لأنه يصور الماضي والمستقبل صورة الحاضر المائل، ويدل على التجدد والحدوث وهو أمر من شأن تلك الدواب

1- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، ص535.

2- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج1، ص84.

3- المدونة، كتاب الرفاق، باب الإنتهاء عن المعاصي، ص1217 .

كلما شاهدت نارا»،⁽¹⁾ ويلاحظ على هذا التمثيل النبوي أنه تمثيل دقيق نابح من البيئة وألفاظه معبرة أدق تعبير عن الصورة المقصودة.

ومن النماذج التي ورد فيها اسم الإشارة الدال على الجمع ، قوله ﷺ: «**تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**»،⁽²⁾ واسم الإشارة "هؤلاء" المكرر في هذا الحديث يحمل معنى الضمير في سياقه هنا، وجاء عوضا عن "بعض الناس" تجنباً لتكرارها في الخطاب، كما أفاد في تقسيم الناس إلى صنفين متناقضين «المراد من الناس ما ذكر من الطائفتين المتضادتين خاصة فإن كل طائفة مجانية للأخرى ظاهراً، فلا يتمكن من الإطلاع على أسرارها إلا بما ذكر من خداعه الفريقتين». ⁽³⁾

كما لا ينفي ذلك تبليغ المخاطب ببعض صفات ذي الوجهين ووصفه بشر الناس لأن حاله حال المنافق إذ هو متملق بالباطل والكذب. و لا ينفي أن يكون احد المبلغين بالخطاب فإن كان فيه خير اتعظ وانتهى وإلا تجنبه الناس اتقاء شره.

كما يرد اسم الإشارة لاختزال الكلام السابق ككل من أسماء وأفعال ومتواليات جمالية أو عبارات، وهو ما يسمى بالإحالة الموسعة وهي «إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متوالية من الجمل»،⁽⁴⁾ ومن هنا فهي تساهم في الترابط النصي بشكل كبير ونجد هذا النوع بكثرة في الحديث ومن أمثلته قوله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ماذا تقول في ذلك: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا**». ⁽⁵⁾

فأشار "بذلك" الأولى إلى الكلام السابق ككل وأشار "بذلك" الثانية إلى التمثيل أي إذا تقرر التمثيل السابق في أذهانكم فهو مثل الصلوات الخمس في محو الخطايا، وأفاد هذا التمثيل التأكيد على أهمية الصلاة في محو الذنوب، وذلك يجعل المعقول كالمحسوس القابل للإدراك.

1- ينظر: كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 428.

2- المدونة، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، ص 1148.

3- فتح الباري، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، ج 13، ص 512.

4- أحمد عقيقي، الإحالة نحو النص، ص 25.

5- المدونة، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ص 110.

ومثاله أيضا: قوله ﷺ: «عن عبد الله قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا، قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك بأن لك أجرين قال: أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها». (1)

"فذلك" اختزلت الكلام السابق وبينت علته (وعك الرسول ﷺ كما يوعك وعكة رجلين) ثم قال: ذلك كذلك تقرير الكلام السابق كاملا أي وعكه كما يوعك رجلان لأن له أجرين. فالأثر التداولي لاسم الإشارة في هذه الأمثلة مرتبط بما سبق ذكره من دلالات، وهكذا حقق العنصر الإشاري غايته التبليغية والتعليمية والاتساقية دون تكرار ممل. ومما جاء من هذه الأسماء يفيد البعد: قوله ﷺ -عمن نام عن الصلاة - : «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه أو قال في أذنيه». (2)

كما تدخل كاف التشبيه كثيرا على اسم الإشارة «فقولنا "هكذا" أو "كهذا" والمعنى بينهما مختلف "فقولنا إن هذا الطير كهذا الطير يفيد تشبيه طير بطير، وأما قولك: إن هذا الطير هكذا، فإن معناه إن هذا الطير على هذه الصورة أو على هذه الحال أو هذه الهيئة وهكذا يلزم صورة واحدة في التعبير بخلاف "كهذا" فإنه يتغير بحسب المشار إليه، فيقال: كهذه، وكهذين، وكهؤلاء». (3)

ويرد بكثرة في أمثال الحديث القياسية ومثاله: قوله ﷺ: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به - هكذا قال أبو شهاب بيده فوق أنفه». (4)

وكثيرا ما يرد اسم الإشارة مقترنا بحركة اليد أو الرأس... وغيرها وذلك لزيادة الإيضاح ومعرفة المقام.

1- فتح الباري، كتاب المرضى والطب، باب المرضى، ج13، ص16.

2- المدونة، كتاب بدأ الخلق، باب صفة إبليس، ص606.

3- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ص(96-97).

4- المدونة، كتاب الدعوات، باب التوبة، ص1189.

"والحكمة من تشبيهه ذنوب الفاجر بالذباب كون الذباب أخف الطير وأحقره، وهو مما يعاني ويدفع بأقل الأشياء (إشارة اليد) وفي ذكر الأنف مبالغة في اعتقاده خفة الذنب عنده، لأن الذباب قلما ينزل على الأنف، وإنما يقصد غالبا العين.... وفي إشارته بيده تأكيد للخفة أيضا لأنه بهذا القدر اليسير يدفع ضرره.

فعبر اسم الإشارة وحركة اليد أدق تعبير على هذا المعنى وقرب تشبيهه للأذهان، وفي الحديث ضرب المثل بما يمكن، وإرشاد إلى الحض على محاسبة النفس، وفيه أن الفجور أمر قلبي كالإيمان، وفيه أنه ينبغي على المؤمن أن يكون عظيم الخوف من الله تعالى من كل ذنب صغيرا أو كبيرا لأنه سبحانه وتعالى قد يعذب على صغار الذنوب.

ومن أسماء الإشارة ما يدل على المكان وسيأتي الحديث عنه لاحقا.

ب- ضمائر الغائب والتنويع على الإحالة في خطاب الأمثال:

إن التدبر في نظم الحديث النبوي المعجز في خطاب الأمثال وجوامع كلمه ﷺ يفتح آفاق رحبة في نمط الاستعمال اللغوي لضمير الغائب على الصعيدين التداولي والنصي فضمير الغائب يهدف في سياقه التداولي للإيجاز والاختصار، وكذلك التعبير عن واقع اجتماعي بشكل أو بآخر، ويعد أساساً رئيسياً من أسس التماسك النصي، وفي نظم المثل النبوي قد يتفق الضمير الغائب مع المرجع في العدد والنوع والدلالة وقد يحدث عدول نسبي قد يصل إلى خرق المرجع.

ولكن ما نتفق عليه أن ضمائر الغائب بأنواعها تتناسب وطبيعة الأمثال خاصة في دلالتها على المطلق وعدم ارتباطها بشخص أو زمان ومكان محدد. وتظهر الأهمية التداولية من استعمال الإحالة المطلقة في مراعاة المتلقي خاصة تخفيف حدة العتاب أو النهي أو الأمر... إلخ.

ب-1 الضمير المنفصل: من الأمثلة التي ورد فيها ضمير الغائب المنفصل قوله ﷺ: « كل شراب أسكر فهو حرام»،⁽¹⁾ ضمير الفصل المحيل في هذا الحديث هو ضمير الغائب "هو" ويعود على الغائب المفرد المذكر، وقد أحال هذا العنصر الإشاري الدال على الغيبة إحالة داخلية قبلية إلى مرجع محدد مذكور في السياق النصي وهو: الشراب المسكر.

وفيه دليل على أن قليل المسكر وكثيره حرام من أي نوع كان لأنها صيغة عموم (كل شراب أسكر) أشير بها إلى خبث الشراب الذي يكون منه السكر.⁽²⁾

وقد أفاد ضمير الغائب في موضعه هذا «الاختصاص والقصر»⁽³⁾ وقام بدور فعال في تحقيق ترابط النص واتساقه.

1- المدونة، كتاب الوضوء، باب لا يجوز الوضوء بالنبذ ولا بالمسكر، ص58.

2- فتح الباري، كتاب الوضوء، باب لا يجوز الوضوء بالنبذ ولا بالمسكر، ج1، ص546.

3- ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، ج1، ص44.

ب-2 ضمير الشأن: ورد ضمير الغائب المنفصل ضمير الشأن في قوله ﷺ عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم» فأردت أن أقول "هي النخلة" فإذا أنا أصغر القوم فسكت، قال النبي ﷺ «هي النخلة». (1)

المحيل في الحديث هو ضمير الغائب المنفصل "هي" ويعود على الغائب المفرد المؤنث، والمحال عليه "شجرة مثل المسلم في صفاته" ونجد المحال عليه في الجملة السابقة فهي إحالة نصية قبلية لأن الضمير أحال على ما وقع قبله. وتصدر الضمير الجملة التي تفسره، وهذا ما أطلق عليه العرب ضمير الشأن وضمير القصة ويأتي للتفخيم والتعظيم .

وأفادت الإحالة بضمير الشأن الربط بين طرفي الحديث دون اللجوء لأي تكرار للمدلول كما حمل دلالة الدال الغائب ليسهل على المتلقي معرفته.

ومثله قوله ﷺ عن حفيديه - الحسن والحسين - : «هما ريحانتي من الدنيا». (2)

وقوله حين أسري به: «والشجرة ملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم». (3)

والشاهد في المثالين: الأول ضمير الغائب الدال على المثنى "هما" وأحال إحالة خارجية عن حفيديه الحسن والحسين، وفي المثال الثاني ضمير الغائب المنفصل الدال على المؤنث وأحال إحالة نصية داخلية قبلية على الشجرة ملعونة. ونستنتج أن الضمير في جميع هذه الأمثلة أفاد الربط وتجنب التكرار كما أفاد التفخيم والتعظيم.

ب-3 ضمير الغائب المتصل: ومما ورد فيه ضمير الغائب متصلاً قوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». (4)

1- المدونة، كتاب العلم، باب الفهم في العلم، ص26.

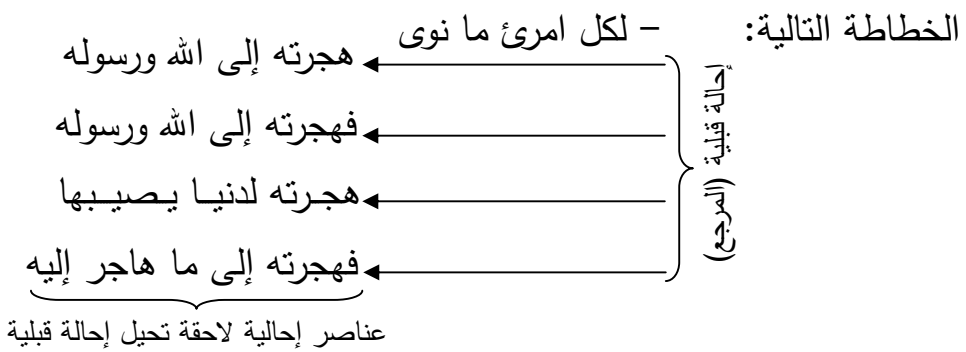
2- المدونة، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين، ص695.

3- المدونة، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ص716.

4- المدونة، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ص7.

نلاحظ في الحديث أن الضمير المتصل هو الهاء المربوطة "ه" وهو يعود على الضمير المذكر الغائب ففي اللفظة "هجرته" المكررة يعود الضمير المتصل الهاء على المرء المهاجر، أما في "إليه" فيعود على المهاجر، فالضمير المتصل الهاء أحال إحالة قبلية سابقة إلى العنصر الإشاري "امرئ" بحيث يطابق الضمير العنصر الإشاري نوعاً وعدداً، وهذا الضمير الموجود في الجمل في (الجمل الواقعة خبراً لاسم الموصول "من" المبتدأ) جعل كل الجمل مترابطة متماسكة داخل الخطاب تؤدي معنى أن «النية معيار للإخلاص في الأعمال وصحتها». (1)

وجميع هذه الضمائر المتصلة في "الهاء" تحيل إلى مرجع واحد وهو الإنسان وفق



أما في نص الحديث على المرأة بعد ذكر الدنيا مع أنها داخلة في الأغراض الدنيوية قيل: «السبب ورود الحديث في مناسبة مهاجر أم قيس وقيل: هنا من ذكر الخاص بعد العام لمزيد الاهتمام بالتنبيه على التوجه لعمل ما من أجل امرأة، وفيه تحذير من فتنة النساء، وهي فتنة ضررها شديد». (2)

ونجد في بعض الأمثلة عدولاً في النمط في استعمال الضمير الغائب في أمثال الحديث، يتمثل في العدول العددي والعدول النوعي * عن المرجع.

1- فتح الباري، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج1، ص 19 وما بعدها.

2- ينظر: د عبد الغفار حامد هلال، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم والسنة النبوية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، 2014م، ص 236.

ومن الأمثلة التي أحال فيها الضمير المتصل (الهاء) المفرد المذكر للإحالة على جمع الإناث: قوله ﷺ: «خير نساء ركب الإبل، صالح نساء قريش، أحناء على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده» فالهاء في "أحناء، وأرعاه".⁽¹⁾

تحيل على المذكر المفرد الغائب ولكنها أحالت في سياقها هذا إحالة نصية قبلية إلى "صالح نساء قريش" أي إلى جمع الإناث الغائب.

«وجاء الضمير مذكرا وكان القياس "أحناهن، أراعهن" وكأنه ذكر باعتبار اللفظ والجنس أو الشخص والإنسان»⁽²⁾

وقد أفاد الضمير العموم ورغم عدول الضمير في المرجع نوعا وعددا إلا أنه حافظ الاستعمال التداولي على التماسك النصي أي لم يحدث أي خلل في التركيب الوصفي لنية النص.

وإن إضافة ذلك البعد الاستعمالي على المستوى النصي دون الإخلال بالبنية التركيبية للنص يمثل تكثيفا دلاليا يحافظ على وجود المتلقي في بناء النص ويجبره على التدبر

ومن الأمثلة التي أحال فيها الضمير المتصل إحالة نصية بعدية على المرجع قوله ﷺ: «ألا لكل ملك حمى ألا إن حمى الله محارمه... ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».⁽³⁾

فهذا النص فيه إحالات لضمائر بارزة دون الإفصاح عن مسمى هذه الضمائر حتى وإن ذكرت بعض صفاته (صلحت، فسدت) فالتاء المتصلة أحالت إحالة بعدية على مسمى

1- المدونة، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح؟ وأي النساء خير، ص989.

*- أما العدول العددي: فيتمثل في عود ضمير الجمع على المثني، وعود المثني على الجمع، وكذلك إرادة الواحد من الجمع، وإرادة الجمع من المفرد، وإرادة الواحد من المثني....إلخ.

- وأما العدول النوعي: فمثاله خطاب المرأة بخطاب المذكر، وكل ذلك يمكن أن يدخل تحت مسمى الإشارات الاجتماعية.

2- فتح الباري، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح؟ وأي النساء خير؟، ج11، ص 296.

3- المدونة، كتاب الإيمان، باب فضل من استبأ لدينه، ص21.

متأخر مذكور بعدها ولاحق عليها في النص وهو القلب وتأخير ذكر اللفظ المحال عليه ربما كان تشويقاً أو إيهاماً وهذا يجعل من النص أكثر جاذبية وتشويقاً للمتلقي «وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه».⁽¹⁾

ومنه قوله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا».⁽²⁾

فقد أحالت الهاء في "دعوه" إحالة بعدية على لاحق وهو "صاحب الحق".

إن غياب هذا النوع من الإحالة وندرته في خطاب الأمثال يرجع أساساً لطبيعة هذه المدونة، فهي مجموعة من النصوص النبوية التي تقرر أحكاماً شرعية ليست بحاجة في كثير من الأحيان إلى اعتماد التشويق أو الإيهام لأن هدف النص التشريعي هو الفهم بأسهل السبل وبالتالي اعتماد الأساليب المباشرة.

ب-4 الإحالة بالاسم الموصول: والاسم الموصول يربط السابق باللاحق ويحيل عليه، ويعوضه ويختزله ودلالته لا تتم إلا بوجود صلته، ومن أمثلة الإحالة بالموصول في الأمثال قوله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه».⁽³⁾

فدلالة اسم الموصول "الذي" لا تتم إلا بوجود الصلة "يأمن جاره بوائقه" فتصبح الجملة معلومة لدى المتلقي "والموصول من الأدوات التي تشد من أزر الكلام النحوي بين ما تقدم ذكره والعلم به، وما يراه من المتكلم أن يعلم به أو يضمه إلى ما سبق من العلم به" فيشير الكلام في الخطاب السابق إلى ما هو معلوم وهو عدم الإيمان «أونفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول أو بالفعل ومراده الإيمان الكامل، ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان».⁽⁴⁾

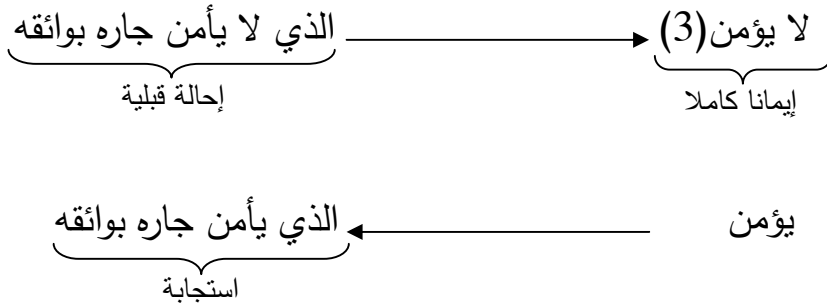
1- فتح الباري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبشراً لدينه، ج1، ص198.

2- المدونة، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الدين، ص416.

3- المدونة، كتاب الأدب، باب إثم من لم يأمن جاره بوائقه، ص1142.

4- فتح الباري، كتاب الأدب، باب إثم من لم يأمن جاره بوائقه، ج13، ص471.

فهذه الإشارة مرتكزة على سياق تداولي يحمل معنى التحذير من إيذاء الجار قولاً أو فعلاً
 فدلالة المشار إليه حاضرة في ذهن المتلقي ويعلم العواقب المترتبة عن ذلك فالمطلوب
 الاستجابة وهي: عدم إيذاء الجار بأي شكل من الأشكال وشر من الشرور.



وهذه الأسماء غير محددة الدلالة في ذاتها، فهي تأخذ دائماً دلالة جديدة في كل وضعية
 تواصلية جديدة فمثلاً قوله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
 اختلف» (1).

نجد الموصول في هذا الخطاب "ما" عنصراً إشارياً دالاً على معلوم قبله (الأرواح جنود
 مجندة) والقصد منه هنا هو تعريف المتلقي بالصلة (تخالف اختلف) (تألف ائتلف)، فنلاحظ
 هنا كيف أحال العنصر الإشاري إلى جملة سابقة وهذا تجنباً للتكرار، وتبين لنا الصلة طبيعة
 أو ماهية هذه الجنود المجندة من الأرواح، وتعرفها لنا «فالأرواح في مبدأ خلقها قسمت إلى
 قسمين: الأولى: أرواح سعيدة، والأخرى شقية، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت
 واختلفت، بحسب ما خلقت عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار والأشرار إلى الأشرار» (2).
 والغرض التداولي من هذا الحديث أن «الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو
 صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى ليسعى في إزالته حتى يتخلص من الوصف
 المذموم» (3).

1- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ص 616.

2- ينظر:- المعلمي، الأمثال والشواهد، ص 282.

- فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ج7، ص(545-546).

3- فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ج7، ص 545.

كما تصدر الاسم الموصول وصلته عدة أمثال في خطاب الرسول ﷺ في أسلوب القسم مثل قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده» ثم يأتي بتتمة الحديث مثلا «لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سميا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء». (1)

(والذي نفسي بيده): موصول وصلته وهو قسم كان النبي ﷺ كثيرا ما يقسم به والمعنى: «أن أمر نفوس العباد بيد الله أي بتقديره وتدبيره، وفيه جواز القسم على الأمر الذي لا شك فيه تنبيها على عظم شأنه». (2)

فدلالة اسم الموصول لم تتم إلا بوجود صلته (نفسى بيده) وهو الله سبحانه وتعالى.

III-2- الإشارات المكانية في أمثال الرسول ﷺ:

وتمثل تفاعل الإطار المكاني مع الخطاب، فهي تميل إلى المواضع التي تفاعل معها الخطاب، ويمثل المكان: «بعدا أساسيا يحس به الإنسان، ويؤثر في وجوده وكيونته وإحساسه بالمكان أسبق من إحساسه بالزمان غير أن إدراكه للمكان يقترن بأبعاد حسية مادية، ويقترن إحساسه بالزمان بأبعاد ذهنية شعورية» (3)

وتحليل الإشارات المكانية إلى أماكن يكون استعمالها وتفسيرها يعتمد على معرفة المتكلم وقت التلفظ، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو المتلقي، ولتحديده يستلزم معرفة العنصر الإشاري من جملة القرب أو الواجهة، ثم الوقوف على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة للمكان - أي السياق المادي الذي قيلت فيه. (4)

والإحالة إلى المكان تكون بواسطة الظروف مثل: خلف، فوق، وراء... ومنها ما يتعلق بأسماء الأماكن وهي أقطار تحيط بنا في العالم الخارجي كأسماء البلدان أو المدن وكذلك أسماء الإشارة كهنا وهناك... الخ.

1- المدونة، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، ص128.

2- فتح الباري، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، ج2، ص437.

3- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 22.

4- ينظر: حمادي مصطفى، تداولية الاشارات في الخطاب القراني، مجلة الأثر، العدد 26، سبتمبر 2016م.

ومن الإشارات المكانية الواردة في المدونة: "هاهنا" في قوله ﷺ: « إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان -وأشار نحو المشرق».(1)

في هذا الحديث يحيلنا الرسول الكريم إحالة خارجية باسم الإشارة "هنا" إلى أن مكان خروج الفتن وإقبالها ومنشئها من جهة المشرق.

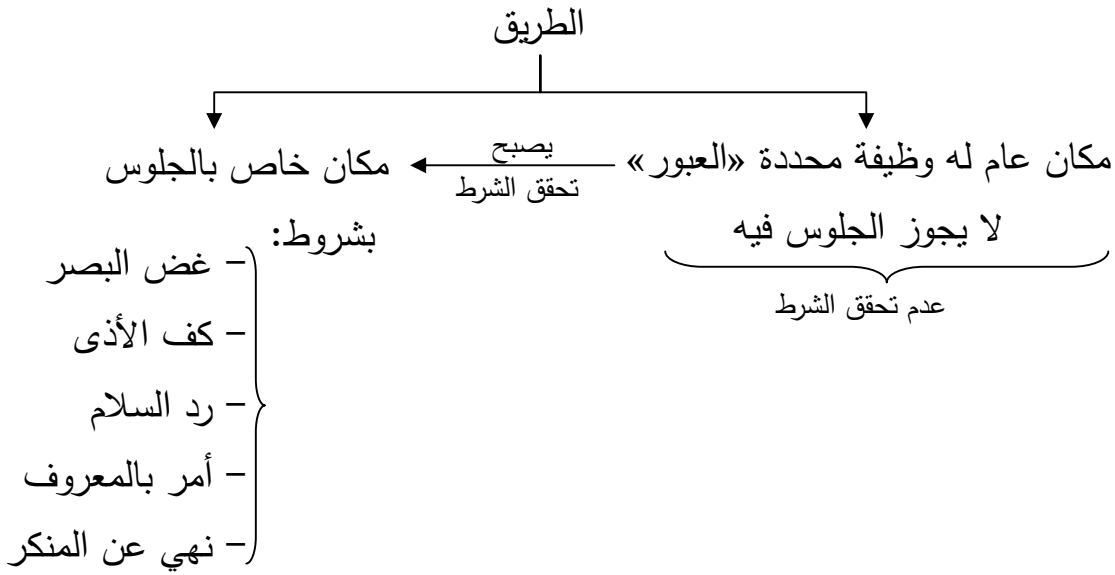
فالإشارة المكانية "هاهنا" حملت قيمة تداولية في سياق الخطاب، وهي مدى ارتباط المكان المذكور بمختلف الفتن التي ستظهر منذ بعثة الرسول ﷺ إلى قيام الساعة (كالحروب والتتار والدجال وأجوج و مأجوج... إلخ)، كما أفاد اسم الإشارة القرب. وفيه تحذير للمتلقي إلى ترك المكان المذكور إذا لم يكن في دينه صلابة.

كما وردت في المدونة ألفاظ دالة على أمكنة يحددها الإطار التبليغي للخطاب مثل قوله ﷺ: « إياكم والجلوس على الطرقات؟ فقالوا: مالنا بد؟ إنما هي مجالسنا، نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا الجلوس، فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، رد السلام، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر».(2)

فلفظة "طرقات" لها دلالة إشارية مكانية وهذا عندما تكون لها وظيفة أخرى غير الوظيفة المنوطة بها -مكان عبور ومرور- وهي استعمالها كمجالس، فوظيفة الطريق كمجلس حددها المقام التلفظي وذلك بمعرفة مقاصد المتكلم وهي نهي المخاطب عن اتخاذ هذه الأماكن كمجالس إلا بشروط، وإلا يكون اعتداء على الآخر الذي له حق في هذا المكان في وظيفته العامة، فإذا تحقق الشرط لدى المتلقي يتحقق الفعل التداولي وينتفي التحذير.

1- المدونة، كتاب الفتن، باب الفتنة من قبل المشرق، ص1322.

2- المدونة، كتاب المظالم، باب أقبية الدور والجلوس على الطرقات، ص447.



كما ارتبطت أماكن باللعن وأخرى بالبركة والفضل، مثل كلمة "مساجد" في الأمثلة التالية:
قال رسول الله ﷺ: « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». (1)

نجد الإشارة المكانية "مساجد" جمع مسجد ولفظ المساجد مشعر بالصلاة، ولكن هنا ارتبطت بالنهي لأن المساجد هنا اتخذت في المقابر وهي أمكنة نهى عن الصلاة فيها وارتبط الفعل باللعن وبالتالي تركه.

كما ارتبطت نفس اللفظة "مساجد" بالفضل والبركة وذلك في قوله ﷺ: « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى». (2)

ففي الحديث التالي: أحالت لفظة "المساجد" إلى ثلاثة أماكن مقدسة في الدين الإسلامي تشد الرحال للصلاة فيها، لاختصاصها بمزيد الأجر عن باقي المساجد، وهي أفضل ثلاث مساجد لإقامة الصلاة وهي: المسجد الحرام، مسجد الرسول، والمسجد الأقصى، بهذا الترتيب كما ارتبطت أماكن أخرى بذكر كل خصائصها وخصائص ساكنيها، من ذلك ما ذكر في خصائص المدينة، قوله ﷺ: « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب، وهي المدينة تنفي الناس كما تنفي الكير خبث الحديد». (3)

1- المدونة، كتاب المعازي، باب مرض النبي ووفاته، ص821.

2- المدونة، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ص220.

3- المدونة، كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، ص340.

- وقوله ﷺ: «إن الإيمان ليزار إلى المدينة كما تزأر الحية إلى جحرها».(1)
- وقوله ﷺ: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء».(2)
- وقوله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملكان، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».(3)

ففي هذه الأمثلة نجد الإشارات المكانية: "قرية، يثرب، المدينة" وكلها إشارات إلى مكان واحد وهو مدينة الرسول ﷺ ، وعند النطق بها يتبادر إلى الذهن: الهوية والدين والانتماء الإيديولوجي، فالمدينة مؤشر مكاني له مكانة خاصة عند المسلمين، فهي مأوى الهجرة ومنارة الوحي « فالمكان أكثر من منظور طبيعي إنه إحالة نفسية، يستعاد عن طريقها التاريخ المتجذر في اللاوعي المرتبط بهذا المكان أو ذاك».(4)

فالمبلغ-الرسول ﷺ - يصف لنا هذا المكان الذي يظهر جليا مدى محبته وتعلقه به فقال: "بقرية تأكل القرى" أي في فضلها، فهي عنده وعند أمته الإسلامية أفضل القرى، يقول: "يقولون: يثرب" وهي إشارة مكانية أخرى للمدينة لم يستلطفها المبلغ فاستعاضها بالمدينة بقوله: "وهي المدينة".

كما استهل خطابه بقوله: "أمرت بقرية" واستعاضها بالمؤشر المكاني "مدينة" لأنها قبل الهجرة إليها كانت لا تزال مكانا مغمورا وغير معروف وبحلوله بها ذاع صيتها في كل بقاع الأرض فأصبحت بذلك مدينة.

وما يميز هذا المكان أكثر هو هذه العلاقة الثلاثية التي يستمدها من تعاضد الخطابات السابقة، فالمدينة إشارة مكانية مشهود لها بالأفضلية فهي فاضلة في نفسها، ويزيد هذا الفضل ويتنامى من حيث علاقة المكان بالآخر فهي موضع نفي وجذب وهذا ما أكسبها قيمتها التداولية، فهي تنفي شرار الخلق والكائدين لها ولأهلها-ولها قدرة فائقة على تمييزهم-: "كما ينفي الكير خبث الحديد" كما تنفي الفتنة والأمراض.

1- المدونة، كتاب فضائل المدينة، باب إن الإيمان ليزار إلى المدينة، ص341.

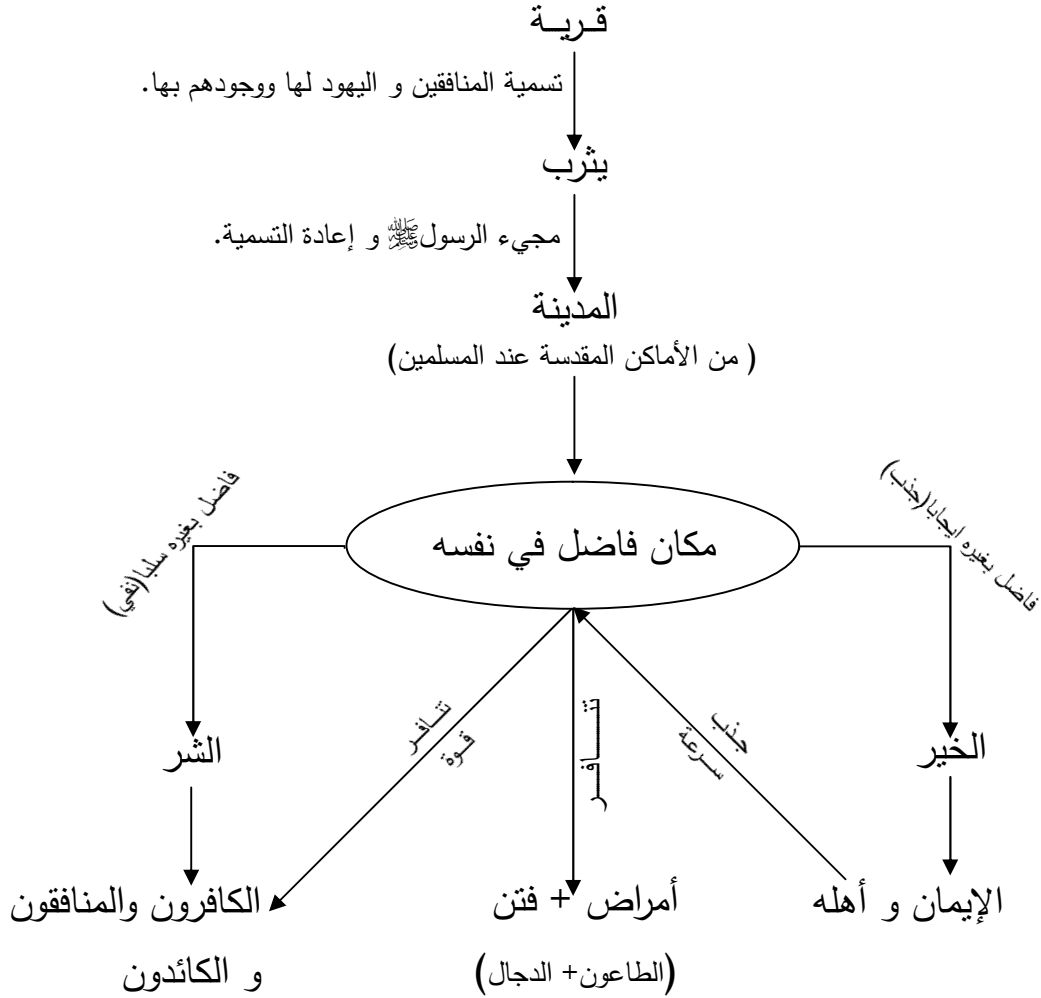
2- المدونة، كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، ص341.

3- المدونة، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ص342.

4- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 24.

وبالمقابل هي موضع جذب للإيمان والمؤمنين الصادقين الخالص « فكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبه في النبي ﷺ ويشمل ذلك جميع الأزمنة»⁽¹⁾ وكل رائد لها بسوء أو مكر أو حيلة إلا اضمحل أمره، وأنه لا يهمل بل يذهب سلطانه عن قرب.

فالإشارة المكانية إلى المدينة ترسم لنا مقابلة ظاهرة بين قوة التمييز والنفي من جهة، وبين درجة الإيمان وسرعة الجذب من جهة أخرى، ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي:

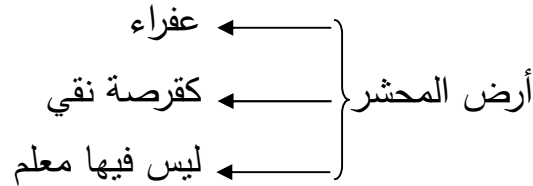


وتكمن القيمة التداولية للمكان في الترغيب للوصول إليها قصد التعلم والافتداء بالأئمة والعلماء أو التبرك بزيارة قبر الرسول ﷺ والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار أصحابه.

1- فتح الباري، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يزأر إلى المدينة، ج5، ص176.

كما برزت القيمة التداولية للإشارات المكانية في خطاب الأمثال في مشاهد يوم القيامة وأرض المحشر، وأحداث اليوم الآخر، ومثاله قوله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي* -قال سهل أو غيره- ليس فيها معلم لأحد».(1)

فالإشارة المكانية هي: أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي وهي صفة أرض المحشر:



وأرض هذه صفتها لتبعث على الرهبة والخوف، فهي أرض بيضاء عفراء ممتدة لا معالم فيها ولا دلائل، ولا سماء ولا أثر وفيها «تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت...، والمراد أنه لا يجوز أحد منها شخصاً إلا ما أدرك منها».(2)

وهو مكان ينبئ بعظم القدرة للخالق عز وجل، وفيه تحذير للسامع ليكون على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول: «لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغتة».(3)

ومن الأمثلة التي ورد فيها المؤشر المكاني؛ ظرف مكان يدل على مكان الأمر قوله ﷺ: « إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه...».(4)

1- المدونة، كتاب الرفاق، باب يقبض الله الأرض، ص1224.

2- فتح الباري، كتاب الرفاق، باب يقبض الله الأرض، ج14، ص381.

3- فتح الباري، المرجع نفسه، ص381.

*- عفراء: بياض ليس بالناصع.

قرصة نقي: الدقيق النقي من النخال والغش.

ليس فيها معلم: علامة لشيء، بناء، حجر، جبل...

4- المدونة، كتاب البيوع، باب الحلال بين و الحرام بين و بينهما أمور مشتبهات، ص371.

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة يعني أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال وحرام ومشتبه به بينهما، ومن تساهل في الأول -المشتبه- قد يقع في الثاني -الحرام- وهنا من أحسن الأمثلة التي قربها الرسول ﷺ على ذلك هي مثال الراعي الذي يرعى حول الحمى أي -حول ما يحميه الملوك وغيرهم للأراضي المغتصبة أو الممتلكة من قبل الناس، وهذا الراعي يوشك أن تقع ماشيته فيه وهو لا يشعر فيعرض نفسه للعقوبة، فحمى الله المحارم التي حرّمها، فيجب على المرء الابتعاد عنها ويجب أن يبتعد عن المشتبهات التي تؤدي إليها.

III-3- الإشارات الزمانية في المثل النبوي:

سبق وأن أشرنا إلى أنها ملفوظات تدل على زمن يحدده السياق بالإشارة إلى زمن التلفظ، وتكمن قيمتها التداولية بأنه بدون تحديد زمن التكلم يلتبس الأمر على المتلقي ويصعب عليه الفهم.

وتدور أغلب الإشارات الزمانية في هذه المدونة: إما حول التحذير من قرب الساعة وتوعد العصاة بقربه ودنوه وإما لبيان مدة بعض التشريعات كالصوم والحج والهجر والضيافة...إلخ، وسنقتصر على بعض الأمثلة.

من الإشارات التي جاءت منذرة بقرب يوم القيامة كلمة "الساعة" في قوله ﷺ: « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه -أو كهاتين- وقرن بين السبابة والوسطى». (1)

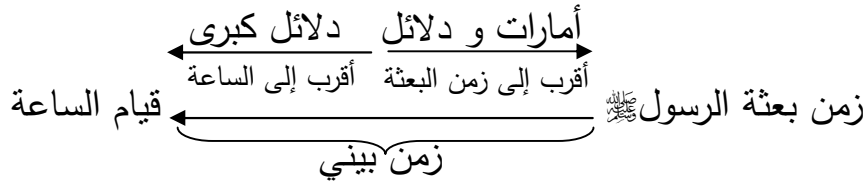
والمقصود بالساعة هنا -يوم القيامة- وحاصل الحديث "تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها" (2) فزمن مقدم الرسول ﷺ زمن منذر في حد ذاته بقرب يوم القيامة، وفيه تحذير ضمني للمتلقين بالتزام الطريق المستقيم.

ومع ذلك فإن كلمة "ساعة" هنا تدل على المستقبل المفتوح في زمن غير محدد، غير أن زمن التلفظ بالخطاب أو بدايته معروف للمتلقي وهو بعثة الرسول ﷺ.

1- المدونة، كتاب الرقاق، باب بعثت أنا والساعة كهاتين، ص1221.

2- فتح الباري، كتاب الرقاق، باب بعثت أنا والساعة كهاتين، ج14، ص335.

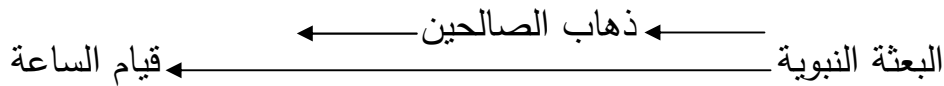
أي: الزمن الذي بعث فيه الرسول ﷺ يعتبر كنقطة بداية على زمن مستقبلي مفتوح لا يمكن التنبؤ به، ولكن يخبرنا الرسول في أحاديث أخرى بأمارات ودلالات تدل على قربه أكثر.



ومن الاشارات الزمنية التي وردت ضمن هذا المجال الزمني "الأول فالأول" في قوله ﷺ :
 « يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة»⁽¹⁾
 يقال (حفالة أو حثالة)

- الأول فالأول إشارة زمنية، أي أن ذهاب الصالحين سيكون وفق تراتبية زمنية يسبق بعضهم بعضا على حسب صلاحهم منذ بعثة الرسول ﷺ حتى قيام الساعة.

وتكمن الفائدة التداولية لمثل هذه المضامين في الحث على ملازمة أهل الخير والافتداء بهم، والتتويه على ندرتهم في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا شرار القوم وأن موت الصالحين من أسراط الساعة.



وما يؤكد الحديث السابق قوله ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم، ثم يجيئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته ». ⁽²⁾

فقوله: "قرني" إشارة زمنية على الزمن الذي وجد فيه الرسول ﷺ بدلالة إضافة ياء المتكلم إلى الإشارة الزمنية والمقصود هنا أهل قرنه ﷺ لأنه يتحدث عن عايش القرن الذي وجد فيه.

1- المدونة، كتاب الرقاق، باب ذهاب الصالحين، ص1210.

2- المدونة، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي، ص676.

وأهل القرن هم أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل، ويطلق القرن على مدة من الزمن اختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين... ووقع في حديث عبد الله بن يسر أن القرن مائة وهو المشهور. (1)

وفي المثل إشارة إلى أفضلية القرون الثلاثة قرن الرسول ﷺ ثم الصحابة ثم التابعين ثم تابعيهم وهكذا تدريجيا ثم كلما تقادم الزمن تردت أخلاق الناس وابتعدوا عن الشرائع ومن أماراتها ضياع الأمانة: قال ﷺ: « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ». (2)

ونلاحظ أن الإشارة الزمنية هنا "الساعة" سبقت بفعل أمر وهو "انتظر" ويدل فعل الأمر هنا على الاقتراب أكثر أي أن وقوعها وشيك بضياع الأمانات وكذلك تفشي الكذب والهرج والمرج والزور وظهور الدجالين واللغو والقتل.... والسحت وأكل المال الحرام وغيرها.

وهكذا تقريبا الإشارات الزمنية أكثر فأكثر لكن يبقى هذا اليوم من الغيبات التي لا يعلمها إلا الله.

ومن الإشارات الزمنية "حتى" التي تدلنا على الآمارات الكبرى للساعة في قوله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفس إيمانها ». (3)

فالإشارة الزمنية "حتى تطلع" تنبئ بزمن مستقبلي غير محدد بالنسبة لنا ولكنه مرتبط بطلوع الشمس من مغربها، وهو أبعد منه عن بعثة الرسول ﷺ إلى قيام الساعة أي بعد هذه الآمارات الكبرى سوف تقوم الساعة مباشرة، وأما تداوليا ففيه تحذير للمتلقي بالتزام المنهج القويم قبل فوات الأوان وانقضاء مجال التوبة الذي ينتهي بظهور هذه الدلائل.

1- فتح الباري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي، ج8، ص(249-250).

2- المدونة، كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله و النار كذلك، ص1218.

3- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب لا ينفع نفس إيمانها، ص863.

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن السياقات أسهمت بشكل واضح في تقديم يد المساعدة للمتلقي لتحديد مرجعية الإشارة الزمنية المبهمة "الساعة" فدالتها لا ترتبط بيوم مقدر ب 60 كما هو متعارف عليه بل دل على يوم القيامة، كما أن بداية هذا الزمن اتسع ليشمل فضاء أرحب يتعلق بعصر الرسول ﷺ وبعثته « فقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان المحدد عرفا إلى زمان أوسع». (1)

ومن أمثلة الإشارات التي بينت مدة بعض التشريعات -يوم وليلة- وردتا في قوله ﷺ :
« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة». (2)

فعبارة "يوم وليلة" إشارة زمنية تدل على زمن النهي وعدده وقد حددت بهذا الزمن ليدرك المتلقي أن سفر المرأة لا يجب أن يتجاوز هذا المقدار ما لم يتوفر الشرط وهو مصاحبة أحد محارمها.

- ثلاث ليال: وردت هذه الإشارة الزمنية في قوله ﷺ : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال». (3)

وفي قوله: « لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني ألا تمر علي ثلاث ليال وعندي منه شيء، إلا شيء أرصده لدين». (4)

فالإشارة الزمنية "ثلاث ليال" حددت للمتلقي في الحديث لأول زمن الهجرة، فالغرض التداولي منها هو التزام المتلقي وإدراكه للحيز الزمني الذي لا يمكن تجاوزه في هجر أخيه المؤمن أي هناك تحديد لزمن النهي وعدده بدقة.

أما في الحديث الثاني فالتقييد بالإشارة الزمنية "ثلاث ليال" فيه مبالغة وحث على سرعة الإنفاق فقد تتزايد المدة، وهنا ترك للمتلقي الاختيار وحتى عدم الإنفاق مطلقا لا حرج فيه ولكن الأحسن إنفاقه وسياق الحديث دل على ذلك.

1- محمد أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص20.

2- المدونة، كتاب تقصير الصلاة، باب في كم يقصر الصلاة، ص204.

3- المدونة، كتاب الأدب، باب الهجرة، ص1150.

4- المدونة، كتاب الرقاق، باب قول النبي " ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً، ص1212.

وجمعت الإشارتان الزمنتان في قوله ﷺ : « الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة»⁽¹⁾. فالحديث فيه تحديد لزمان الضيافة بثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة أي يكرمه ويخصه ويبذل له ويتحفه في هذه المدة بما اتسع له من بر، وقيل إن الواجب يوم وليلة والكمال ثلاثة أيام وما زاد عن ذلك أي عن الثلاث فهو معروف.

وإذا كانت الإشارات الزمنية المنبئة بالساعة من قبيل الإشارات البعدية باعتبار بعثة الرسول ﷺ هي المرجع فإن الإشارات المحددة والمبينة لبعض الشرائع الدينية فتعتبر زمن بدء تلك الشعيرة الدينية هو المرجع.

وهي أيضا من الإشارات البعدية، وتندر الإشارات القبلية في المدونة وجاءت غالبا للتحذير من بعض الأخلاق الجاهلية المذمومة، ومن أمثلتها قوله ﷺ : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»⁽²⁾.

فظرف الزمان "قبل" من الإشارات الزمنية القبلية التي دلت على الجاهليين وتعاملهم في حال سرقة الشريف يتركوه وفي حال سرقة الضعيف يقيمون عليه الحد، وهذا مما أبطله الرسول ﷺ بقدمه وإقامته العدل بين جميع فئات الناس.

فالدين الإسلامي يحرم ما كان سائدا من قبل ويحذرنا من ذلك ويحثنا على اتباع تعاليمه.

1- المدونة، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، ص1159.

2- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، الباب 56، ص650.

الفصل الثالث: حجاجية المثل النبوي في صحيح البخاري.

I- الحجاج: المصطلح والمفهوم.

- 1- مفهوم الحجاج: لغة و اصطلاحا.
- 2- الحجاج في الثقافة الغربية.
- 3- الحجاج في الثقافة العربية.
- 4- أنواع الخطاب الحجاجي.

II- الآليات الحجاجية في أمثال صحيح البخاري.

- 1- الآليات الحجاجية البلاغية في أمثال صحيح البخاري.
- 2- الآليات الحجاجية المنطقية في أمثال صحيح البخاري.
- 3- الآليات الحجاجية اللغوية و التداولية في أمثال صحيح البخاري.

I - الحجاج :المفهوم والمصطلح :

I-1- الحجاج لغة:

تتفق معظم المعاجم " العربية" على أن المعنى اللغوي للجذر (ح، ج، ج) تدور في مجملها حول إثبات الرأي للتغلب على الخصم، فهو يحمل في طياته طابع المنازعة والمخاصمة جراء المحاورة بسبب اختلاف وجهات النظر، والإثبات بالأدلة لإثبات الرأي، ويعرفه ابن منظور بقوله: « الحجة، البرهان، وقيل: الحجة ما دافع به الخصم"، وقال الأزهري: " الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة،، ويقال أيضا: رجلٌ محجاجٌ أي جدلٌ والتجاج بمعنى: التخاصم، وحاجه أي: " نازعه الحجة «.(1)

فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصومة بواسطة الأدلة والبراهين الكلامية والحجج العقلية، وبهذا يكون مرادفا للجدل*: « وقد جادله مجادلة وجدالا، ورجل جدلٌ: شديد الجدل، جادلت الرجل فجادلته أي: غلبته، والجدل: شدة الخصومة، وفي الحديث: " ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا"، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة المخاصمة والمناظرة».(2)

قال الأزهري: سميت حجة لأنها: تحج، أي: تقصد، لأن: القصد لها وإليها كذلك محجة الطريق هي: المقصد والمسلك، وفي حديث الدجال:« إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، أي: محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه، والحجة: الدليل، والبرهان، يقال: حاججته فأنا حجاجٌ وحجيح: فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث معاوية رضي الله عنه: «فجعلت أحج خصمي: أي أغلبه بالحجة».(3)

قال الزمخشري في"أساس البلاغة" «حاج خصمه فحجهُ وفلانٌ خصمهُ محجوجٌ».(4)

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة، (ح، ج، ج). مرجع سابق، ص 779.

*الجدل عند ابن منظور: مقابلة الحجة بالحجة، الجدل: اللد في الخصومة والقدرة عليها، مادة (ج، د، ل).

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(ج، د، ل)

3- ابن منظور، لسان العرب، ص719.

4- جار الله أبي القاسم محمود عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت، لبنان،

ط1، 1998، ص74، مادة(ح، ج، ج).

والمحجوج: المغلوب: المقتنع بحجة المتكلم المحاجج الذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدعي.

على أن ابن منظور يجعل الحجاج مرادفا للجدل _ صراحة _ في قوله رجل محجاج أي جدل، ولكن " ابن عاشور " تظن إلى الفرق الدقيق بينهما من خلال تفسيره « التحرير والتتوير " فذهب إلى أن: " معنى حاج، خاصم، والمجادلة: مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك». (1)

إن الجامع بين الحجاج والجدل _ حسب رأيه _ هو المخاصمة غير أن الأول: قائم على الباطل ومثاله قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ البقرة: [258] في حين الثاني (الجدل) منه ما هو حق ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: [125]، و منه ما هو باطل ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ النساء: [107].

أما السيوطي _ صاحب الإتيقان _ في فصل "جدل القرآن" قصد بالجدل البرهان ومعه الحجاج وربط هذه المصطلحات بالمذهب الكلامي وأراد بذلك « احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرياب الكلام ومنه نوع منطقي نستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة». (2)

ومهما يكن من أمر فإن الحجاج والجدل يكثر ورودها مترادفين في اصطلاح القدامى: "والحال أن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدل فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة من حيث أن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج» (3)، ومعناه وجود على الأقل حجاجان: "جدلي وخطابي"، الأول: عرض له أرسطو "في كتابه الطوبيقي" ومداره على " مناقشه الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد"، وتمثله في تراثنا العربي منا مناظرات علم الكلام فهو جدلي فكري خالص.

1- محمد الطاهر بني عاشور، التحرير و التتوير، دار سحنون، تونس، ص 194.

2- جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج5، ص 1954 و ما بعدها.

3- عبد الله سولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ط1،

2001، ص15.

والثاني: خطابي: وهو من قبيل ما عرض له أرسطو في كتاب الخطابة: « وهو خطاب موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة، وهو يتعدى غاية التأثير النظري العقلي إلى التأثير العاطفي وإثارة المشاعر والإنفعالات وإرضاء الجمهور واستمالاته ولو كان ذلك بمغالطته وإيهامه بصحة الواقع على نحو ما تبدو عليه الخطابة من هذه الناحية من قبيل التخييل، ومجاله توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه وهو حجاج موجه للجماهير»⁽¹⁾

I -2- الحجاج اصطلاحاً:

ولأن كل حجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلية الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية، وسنتعرف على أهم مفاهيمه من خلال الثقافتين الغربية، العربية.

I -2-1 الحجاج في الثقافة الغربية:

I -1-2-1 عند اليونانيين القدامى:

اهتم اليونانيون القدامى بفنون الكلام ولا سيما الخطابة والشعر، فنظروا لهما وأرسوا قواعدهما الفنية والعقلية التي صارت منهاجاً اتبعه من جاء بعدهم.

وكان أرسطو ممن نظر للفنيين معاً وانطلق مما وضعه "سقراط" حيث جعل لها خطتين: جدلية ونفسية، ورأى أنه لا بد للخطابة الجدلية من أمرين: التركيب الذي يجمع به الخطيب نواحي الفكرة المتفرقة ليتمكن من تحديد الكلام والتحليل الذي يرد الفكرة إلى آراء جزئية ويسمى أصحاب القدرة على التركيب والتحليل (جدليين) فالخطابة عنده نوع من الجدل أو هي الجدل بعينه.⁽²⁾

1- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 17-18.

2- ينظر أرسطو طاليس، كتاب الخطابة، تر: إبراهيم سلامة، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط2، ص 22-23.

بينما ربط أرسطو بين خاصة الكلام والتعبير عند الإنسان وبين الإقناع فالإنسان يحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي حوِّي به،⁽¹⁾ ويرى أن الخطابة والجدل متصلان ببعضهما ويتحدان في موضوعاتهما لأنها أمور يمارسها كل الناس ويعرفونها في صورها المتحدة على الأقل وكل الناس يلجؤون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة وكل إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجة من الحجج أو يدعمها.⁽²⁾

وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج: (الايثوس، الباتوس، اللوغس) في علاقتها بالأركان الثلاث للفعل الخطابي: (الخطيب، المستمع، الخطاب).

• **الايثوس ethos**: الباث/الخطيب، يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه.

• **الباتوس pathos**: المتلقي/ المستمع، ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.

• **اللوغوس logos**: الرسالة الخطبية، ويمثل الحجاج المنطقي، يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.⁽³⁾

1- ينظر أرسطو طاليس، المرجع نفسه، ص 24.

2- ينظر أرسطو طاليس، المرجع نفسه نفسه ص 75.

3- ينظر محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار النشر للثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط6، ص18.

I-2-1-2 في الفكر الغربي الحديث :

أ- الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:

إن كتاب " مصنف في الحجاج " لبيرلمان وتيتيكا 1958م، " البلاغة الجديدة " هو بمثابة نظرية حجاجية معاصرة لها أسس ومبادئ تقوم عليها وهو « المعجم الحقيقي المجمل لكل أشكال الحجج وتأثيرها »،⁽¹⁾ ثم إن الاتجاه القوي نحو بلاغة الإقناع الذي جسده هذا المصنف كان عبارة عن: « إجابة معرفية عن مأزق المنطق السوري، وعجزه في الفكر المعاصر في التعامل مع القضايا التي تنقلت من الاختزال الشكلي والحساب "، ويقول بيرلمان: "...إننا نلاحظ أنه في الميادين التي يتعلق فيها الأمر بالمفضل والمقبول والمعقول والاستدلالات ليست استنباطات شكلية أو استقرارات ... بل حجاجات».⁽²⁾

ولذلك فالحجاج مسار آخر للاستدلال يتصدى لفكرتي البداهة والحتمية، وينسجم مع خصوصيات العلوم الإنسانية القائمة على تعدد العقل والحقائق والأحكام. إن مفهوم "بيرلمان وتيتيكا" يستند إلى صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى بكيفية تجعل الحجاج شيئاً ثالثاً، لنقل إنه خطابة جديدة.⁽³⁾

فالحجاج حسب - التعريف المذكور - يأخذ من الجدل التأثير الذهني في المتلقي وتسليمه لما يقدم له واذعانه لما يعرض عليه اذعاناً نظرياً مجرداً مجاله العقل والإدراك، وهو يأخذ من الخطابة أيضاً توجيه السلوك، أو العمل والإعداد له والدفع إليه.⁽⁴⁾

إن العمل الحاصل بواسطة الحجاج على صعيد العقل هو عمل التأثير النظري والإذعان والتسليم (وهو غاية الجدل عادة) مؤد إلى العمل السلوكي الذي كانت من جملة مصادرة - في منظور الخطابة- العاطفة الملتهبة والمشاعر الجياشة، ومعنى هذا أن العمل المترتب على الحجاج ليس متوسلاً إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو عملاً هياً له

1- عبد الطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2013، ص 85.

2- عبد اللطيف عادل، المرجع نفسه، ص 86.

3- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 28.

4- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 86.

العقل والتدبر والنظر، وهكذا تكون قوى الإنسان (العقل والهوى) عندهما قوى متضامنة متفاعلة وهو ما ذهب إليه في مقدمة كتابهما بأن حجاجهما مرتبط بالجدل والخطابة عند اليونان ولكن ارتباط تجاوز الاتباع إلى الابتداع.⁽¹⁾

غير أن المؤلفين فضلا التقارب أكثر مع الخطابة حيث يقولان: « الغاية من تقرينا بين الحجاج والخطابة أن نلح على أنه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويسلم ويصدق على ما يعرض عليه». ⁽²⁾

فالإستراتيجية الحجاجية تبنى على المستمع والرهان قائم على دفعه للاقتناع ومن ثم فبتغيير المستمع يتغير شكل الحجاج ويوسع المؤلفان من مدلول المستمع، وهكذا فإن كانت البلاغة القديمة تحصره في الحشد الملتئم وسط الساحة العمومية فإن جمهور الحجاج يمكن أن يكون عاما حاضرا أو غائبا. ⁽³⁾

وهو يوجه نظريته إلى العناية بالنصوص المكتوبة في المقام الأول مغفلا دراسة طرق الأداء وتقنيات الحركة والإشارة (تقنيات الخطب الجماعية) التي تخص جهات أخرى. ⁽⁴⁾
كما يعني بالفكرة المستنبطة من الخطاب كإرث بلاغي، ويجد أن تحليل الحجج البرهانية ذات الطابع العقلي فلسفيا ضروري لأنها تتوجه إلى قراء لا يخضعون للإيحاءات، والضغوط والمصالح والأهواء إشارة إلى الكتابة أو التلقي قراءة بعيدا عن الأوضاع الخطابية التي تستوجب وجود المتكل أو الخطيب عموما. ⁽⁵⁾

يتميز الحاج عندهما بخمسة ملامح: ⁽⁶⁾

- أن يتجه إلى مستمع.

1- ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 29.

2- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المحاضرة، ص 86.

3- عبد اللطيف عادل، المرجع نفسه، ص 86.

4- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، ص 74.

5- ينظر هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعها و خصائصه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط¹، 2013، ص 50.

6- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي، أنواعها و تقنياته، ص 50.

- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- مسلماته لا تعد أن تكون احتمالية.
- لا يفتقر تقدمه -تتاميه- إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- ليست نتائجه ملزمة (احتمالية غير حتمية).

وبالتالي فالحجاج « عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينبج هذا الخطاب»،⁽¹⁾ دون إغفال السامع طبعاً.

كما أولى مصنفهما أهمية للأطر النفسية والاجتماعية ودورهما في تحقيق التأثير الفعال للخطاب إذ يصرحان « ليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ومحاولة لحيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير». ⁽²⁾

فمؤلفهما يهدف إلى تأسيس بناء فكري عميق تدمج فيه أبعاد المتكلم والمستمع والمقام، بالإضافة إلى الخطاب بوصفه المادة التي يترجم فيها مقاصد وأغراض المتكلم تتفاعل مع بعض لتحقيق النجاعة والتواصل في العملية الحجاجية دون إغفال الوعي بمختلف الأصعدة النفسية والاجتماعية والسياسية 'فبيرلمان' يربط العوامل اللغوية (الوضوح) والنفسية الاجتماعية (الوعي والاحترام)، إن أهم ما أصبح يميز نظرية الحجاج عندهما - هو مبدأ الانخراط، فما أصبح مهما ليس القيمة الشكلية للحجج ولكن طبيعتها العملية والإجرائية وفضاء استقبالها، لذلك فالحقيقة أو الحقائق التي يقود إليها الحجاج غير ضرورية أو واحدة أو مفارقة، فهي نسبية ومتعددة ومقامية، وقد وقف " بيرلمان وتييكا" في كتابهما عند منطلقات هذا الحجاج مع عرض بالتدقيق لتقنياته.⁽³⁾

1- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي، ص 60.

2- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 86.

3- ينظر، عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 87.

أ-1. الأشكال أو التقنيات الحجاجية عند بيرلمان وتيتيكا:

أجملاها في تقنيتين حجاجيتين: طريقة الوصل *procédé de baison*، وطريقة الفصل *procédé de dissociation*

أ-1-1 **طرائق الوصل:** والمقصود بها الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها، ففتح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة، ولغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما ايجابيا أو سلبيا⁽¹⁾، وقد حصر الباحثان هذا النوع في ثلاثة أنواع:

- **الحجج شبه المنطقية:** وهي الحجج التي تستمد طاقتها الإقناعية من مشابهتها للطرائف الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة .. كالتناقض والتماثل التام أو الجزئي وقانون التعددية... كذلك قد توظف هذه الحجج مفهومي التناقض وعدم الاتفاق *In comptabilitié* ويتعلق التناقض بالأنظمة الصورية ويقصد به أن تكون هناك قضيتان إحداهما نفي للأخرى، أما عدم الاتفاق فمجاله حجاجي، ويتمثل في وضع ملفوظين على محكي الواقع والمقام مما يحتم اختيار إحدى الأطروحتين وإطراح الأخرى⁽²⁾.
- **الحجج المؤسسة على بنية الواقع:** وهذه الحجج لا تعتمد على الواقع، وإنما على التجربة وعلى العلاقات الحاضرة بين الأشياء المكونة للواقع فهي لا تصف الواقع بل تبني عليه حججها وتسعى إلى إقناع المتلقي من خلال ذلك البناء وهي من قبيل: "الربط السببي، وحجة السلطة، حجة التبذير، حجة الاتجاه، حجة الشخص وأعماله، حجة التجاوز.. الخ".
- **الحجج المؤسسة لبنية الواقع:** وهي تعاكس التي قبلها، فهي تؤسس الواقع وتبنيه أو على الأقل تربط بين عناصره ومكوناته كالمثل والاستدلال بواسطة التمثيل وما يدخل ضمنها من التشبيه والاستعارة والشاهد، فهذه الحجج تتخذ من عناصر الواقع مكونات تقوم بالربط بينها بعلاقات بتبني واقع جديد يستطيع من خلاله المحتج أو متلقي الخطاب إقناع المتلقي بفحوى ذلك الخطاب⁽³⁾.

1- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 32.

2- ينظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 32، عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 92.

3- ينظر، عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 94.

أ-1-2 طرائق الفصل:

أما طرائق الفصل أو الطرائق الانفصالية فهي: تلك الطرائق التي تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها ولها مفهوم واحد، فهي عناصر راجعة إلى اسم واحد يعينها وإنما وقع الفصل بينها وعمد إلى كسر المفهوم الواحد الذي يجمع بينها لأسباب دعا إليها الحجاج، ويبنى الحجاج الظاهر على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامنة على زوج الظاهر/ الحقيقة ويمثل الظاهر: الحد الأول والحقيقة: الحد الثاني، وكل الأشياء والأنام والمعطيات يمكن أن يكون لها حدان، فهي من ناحية لها ظاهر هو الشيء أن الإنسان أو المعطى كما هو مشاهد معين، فذلك هو الحد الأول وهي من ناحية أخرى لها حقيقة هي جوهر ذلك الشيء أو الإنسان أو المعطى وصورته المثلى فذلك هو الحد الثاني ومثال ذلك: أن يقال عن شخص غير ذي قيمة: " ليس هذا الإنسان بإنسان" فهنا يمثل الإنسان الأول الظاهر، ظاهر الرجولة في المجتمع، ويمثل الإنسان الثاني الحقيقة أي حقيقة الإنسان مطلقا وصورته المثلى كما ركزها في عقلنا الدين و الأخلاق والثقافة والمجتمع... الخ.⁽¹⁾

ب- نظرية الحجاج في اللغة عند ديكر و أنسكومبر "Anscombe , Ducrot":

تستند أعمال ديكر و أنسكومبر مرجعيا إلى الإسهامات التداولية التي ميزت نظرية الأفعال اللغوية عند " اوستين « Austine » و سورل « Searle » ، كما تستند إلى بعض أبحاث إميل بنفينيست « Benveniste » حول التلفظ وإلى حوارية باختين Bakhtine وتمثل أعمال هذين الباحثين تيارا تداوليا مختلفا قارب الحجاج من زاوية مغايرة فإذا كان " بيرلمان وتيتيكا" قد اشتغلا على هذا المبحث برؤية بلاغية، فإن نظرية الحجاج في اللغة التي اعتمدها " ديكر و انسكومبر" نظرية لسانية:« تهتم لتحقيق بعض الأهداف والغايات الحجاجية». ⁽²⁾

1- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 32،33.

2- أبو بكر العزاوي، البنية الحجاجية للخطاب القرآني، سورة الأعلى نموذجا، (مجلة المشكاة) العدد19، وحدة 1994م، ص124.

إن هم الباحثين لم يكن بناء الحجاج على الأسس الفلسفية أو المنطقية أو البلاغية، ومن ثم لم ينشغلا بوقائع الإقناع، وإنما بحثا: « الدور الحجاجي الذي يلعبه الكساء اللغوي لهذه الوقائع». (1)

فهذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها، ومن هذه الزاوية يصبح الحجاج بعدا جوهريا في اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة فإن ثمة إستراتيجية معينة نعمل عليها لغويا وعقليا إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا وهذه الإستراتيجية هي الحجاج ذاته. (2)

ومن خلال تداوليتها المدمجة « **pragmatique intégrée** » ودور الحجاج فيها، يرى الباحثان أن التداولية (شروط الاستعمال التخاطبي والمقامي للملفوظات) لا توجد إلا مدمجة في الدلالة، ... فكل ملفوظ يحمله شكل جوهري وداخلي مؤشرات تلفية تمنحه معناه وتفسر اقترانه بهذا المعنى دون غيره - كل ملفوظ - بتعبير "موشلر" - يحمل في صورته مسارا لبلوغ دلالاته ودليلا لتأويله، - فحين يقول القائل: « لقد نسيت مرة أخرى أين وضعت مفاتيحي؟ فإن التداولية المدمجة تقرأ أن هذه الجملة تنطوي على طلب إخبار، إخبار بمكان المفاتيح دون أن تصرح به». (3)

وفق هذا التصور التداولي فإن مهمة اللغة ليست الإخبار فقط، فهي ليست مرصودة لوصف الأشياء و تمثيل الواقع فحسب، ولكنها تحقق أعمالا لغوية أي أنها ذات قوة إنجازية تحدد مواقف و تعين حالات و مقصديات مما يعني أن اللغة تتضمن بشكل داخلي « مجموعة من الإجراءات الخاصة التي تسمح بإقامة تنوع كبير في العلاقات الإنسانية، و لا يمكن إذ ذاك أن تكون للغة وظيفة واحدة هي نقل المعلومات إن الأمر يتعلق بقواعد لعبة

1- ينظر عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 95.

2- قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2012م، ص30.

3- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص96.

أكبر، لعبة تمتزج بالوجود اليومي بشكل واسع، لعبة تشجع اللقاء بين الأفراد، وفي الوقت نفسه تضبط إجراءه». (1)

"وقد قام ديكرو" بإعادة تعريف مفهوم التكليم (التلفظ أو الإنجاز) بأنه: « فعل موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة الحقوق و الواجبات ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار، و القيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الالتزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميته و استمراره». (2)

إذ من شأنه أن يقود المخاطب إلى نتيجة معينة أو يصرفه عنها، و لأن "ديكرو" يعتبر الحجاج نظاماً داخلياً للخطاب، فإن هذا النظام يحدد ترابط عناصر الخطاب و تناميها بحيث يبدو الخطاب سلسلة من المكونات التي تلي اشتراطات محددة، و تشير إلى مظاهر الاستمرار المحتملة كما توجه المكون اللاحق في هذا الاتجاه أو ذلك. (3)

و يفرق ديكرو بين معنيين للفظ الحجاج، المعنى العادي و الآخر الفني و هو الذي تعني به تداوليته المدمجة. (4)

والمقصود بالأول: عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع فيكون بذلك الخطاب ناجحاً فعالاً، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية غير أنه غير كاف، إذ يجب ألا تعمل طبيعة السامع المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلاً عن استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه.

1- عبد اللطيف عادل، المرجع نفسه، ص 97.

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 16.

3- ينظر عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 97.

4- ينظر صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مراحل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص 15 وما بعدها.

أما الحجاج بالمعنى الثاني الفني فهو: صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية أو قابلة للقياس بالدرجات أي أن تكون واصله بين سلاسل (1)

وتنهض نظرية الحجاج عنده على جملة من المفاهيم تفسر أشغالها وهذه المفاهيم هي: العلاقة الحجاجية، المواضيع الحجاجية، الاتجاه الحجاجي، القوة الحجاجية والسلاسل الحجاجية.

- **العلاقة الحجاجية:** علاقة دلالية تربط بين الأقوال بحيث يقوم الاشتغال الحجاجي على تقديم المتكلم لقول معين يعتبر حجة، يستهدف من خلاله حمل المخاطب على القبول بقول آخر، يعد نتيجة سواء كان هذا القول / النتيجة صريحا أو ضمنيا، ولا تكتسي هذه الأقوال طبيعتها الحجاجية إلا ضمن سياق معين، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر حتى لو تعلق الأمر بنفس المحتوى القصدى أو بنفس الحدث المعبر عنه داخل القول. (2)

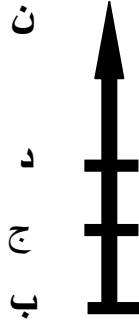
- **القسم الحجاجي:** المقصود به هو أن يعمد المتكلم في مقام خطابي معين إلى وضع قولين (ق1) (ق2) يعتبرهما حجتين تخدمان نفس النتيجة، ومن ثم فإن القسم الحجاجي يقوم على تضافر الحجج لخدمة إستراتيجية واحدة، ويشير ديكرود إلى أن القسم الحجاجي ذو طبيعة نسبية لأنه يتغير بحسب الوضعية التي يتلفظ فيها المتكلم (الإيديولوجية، اجتماعية، زمانية، مكانية) ولأنه محكوم بطبيعة النتائج التي يخدمها، فمتى تغير اختيارها تغير القسم الحجاجي. (3)

1- ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص20-22.

2- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص100.

3- ينظر: عبد اللطيف عادل، المرجع نفسه، ص100.

- السلم الحجاجي: هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:
- ن: النتيجة
- ب، ج، د: الحجج وأدلة تخدم النتيجة.



فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة تراتبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذ ذاك إلى السلم الحجاجي نفسه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة.⁽¹⁾

وتتطلق نظرية السلام الحجاجية من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة ق ونتيجته ن، ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها أو أن تبقى ضمنية.

أ- ماذا تريد أن تفعل؟

ب- ألا ترى أن الطقس جميل؟

فالاستفهام في قول (ب) يمثل حجة لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج للنزهة مثلا: وإن لم يقع التصريح بهذه النتيجة.⁽²⁾

وقد حدد طه عبد الرحمان السلم الحجاجي عند ديكرو بكونه: "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين.

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، 21، 20.

2- فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: صمادي حمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والعلوم الانسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص 366.

- أن كل قول يقع في مرتبة ما يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم من القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

- أن كل قول في السلم كان دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى. (1)
وأهم قوانين هذا السلم ثلاثة: (2)

1- قانون الخفض: إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

2- قانون القلب: إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول.

3- قانون تبديل السلم: إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

- يتضح من خلال السلم الحجاجي أن الحجج ليست مطلقة كما أنها لا تتساوى بل تتدرج قوة وضعفاً مما يعني أن المحاجة " لا تتحدد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون وإنما رهينة اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة. (3)

• القرائن الحجاجية: Marqueurs argumentatifs: وتنقسم إلى قسمين:

1. العوامل الحجاجية Les opérateurs argumentatifs: هي عناصر لغوية اسنادية نحوية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر والنفي والشرط، ووظيفتها هي حصر الإمكانيات الحجاجية لمحتوى الملفوظات وتحويلها. (4)

1- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الفلك، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص104.

2- طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص106، 105.

3- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص102.

4- عبد اللطيف عادل، المرجع نفسه، ص100.

2. الروابط الحجاجية: هي مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين أو أكثر داخلين في إستراتيجية حجاجية واحدة، بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة من الحجج)،⁽¹⁾ وقد ميز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط:⁽²⁾

- روابط مدرجة للحجج مثل لأن - لكن.
- روابط مدرجة النتائج مثل إذن - أخيرا بهذا، وبالتالي.
- الروابط التي تدرج حججا قوية، حتى، بل، لكن، لاسيما.
- روابط التعارض الحجاجي، بل، لكن، مع ذلك.
- روابط التساوق الحجاجي، حتى، لاسيما.

ج- الحجاج في التداولية: (نظرية الأفعال الكلامية):

انطلقت المدرسة التحليلية الانجليزية (أوستن وسيرل) من خلال نظرية أفعال الكلام، بمعارضة وتفنيذ النظرية السوسورية والتي أقرت بأن اللغة هي مجرد نقل المعلومات، يرى "أوستن" أن الكلام العادي يتضمن متكلما ومتلقيا وملفوظا كما توجد هناك عدة أفعال يمكن ربطها بالمتكلم... والمتكلم لا يصدر أصواتا فقط من خلال كلامه، ولكنه ينجز بعض الأفعال، كما تصدر عنه هذه الأخيرة بعض الحجج التي من شأنها أن تقنع المتلقي. فمن شروط الخطاب المتكلم والمستمع والملفوظ، كما أن هناك أفعالا تختص بالمتكلم فقط، كما ينجز هذا الخطاب بعض الأفعال التي تكون حججا في بعض الأحيان.

قسم " أوستن" في بداياته الأولى الجمل إلى وصفية (خبرية) وإنشائية فيقول: « الجمل الخبرية هي الجمل التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والجمل الإنشائية هي التي يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق والاختفاق ومن ثم لاحظ أن المقابلة بينهما ليست

1- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص100

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ، ص30.

بالبساطة التي كان يظنها، وقد قادت هذه الملاحظة إلى الإقرار بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجازا لغويا واحدا على الأقل»⁽¹⁾.

غير أن " أوستن " رفض بعد ذلك هذه الأقوال الثنائية التي وضعها في المنطلق بين العقل الإنشائي والفعل التقريري، وخلص إلى أن كل قول عمل، ولا يوجد -إن أمعنا- جمل وصفية ويرى أنه لما كانت الأقوال أعمالا فإنه يتعذر الحكم عليها بالصدق والكذب، وعليه فإن كل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين:⁽²⁾

- إنجازية صريحة/ مباشرة: فعلها ظاهر (أمر، حض، دعاء، نهى) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.
- إنجازية ضمنية/ غير مباشرة: فعلها غير ظاهر نحو: الاجتهاد مفيد، أقول: الاجتهاد مفيد، أمرك أن تجتهد.

وميز بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

- **الفعل القولِي:** يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي) والتلفظ بالتركيب (فعل تركيبِي) واستعمال التركيب حسب دلالتها (فعل دلالي).
- **الفعل الإنجازِي:** يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه (يعد، يخبر، يعجب، ينذر...) ويشمل الجانب التبليغي والجانب التطبيقي.
- **الفعل التأثيرِي (استلزامي):** يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوة إنجازية. واستنادا لما تقدم قسم " أوستن " الأفعال الكلامية إلى مجموعات وظيفية وهي حسبها:⁽³⁾

1- أن روجول وجاك مشلير، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص31.

2- الجبالي دولاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص24.

3- طالب هاشم طبطباي، نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، 1998/1999، مركز الإنماء القومي، لبنان، ص66-77، وينظر: طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د.ط، د.ت ص10 وما بعدها.

1. **الحكميات:** وهي إطلاق أحكام على واقع أو قيمة مما يصعب القطع بها، ومن أمثلتها: عين، سمى، استقال، صوت، وصف، حلل، صنف، أرخ، فسر...
 2. **الانفاذيات:** وهي تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليها ومن أمثلتها: صرح، أمر، نهى.
 3. **الوعديات:** وهي قد تكون إلزامات للمتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون إفصاحات عن نوايا ومن أمثلتها: وعد، نذر، أقسم، راهن، عقد عزم، نوى...
 4. **السلوكيات:** وهي ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين أو بالسلوك الاجتماعي، ومن أمثلتها: اعتذر، شكر، هنأ، عزي، انتقد، مدح، هجى، وبخ، بارك، اعترض.
 5. **التبينييات:** وهي توضح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو المحاجبة الراهنة ومن أمثلتها : أثبت ، أنكر ، إعترض ، استنتب ، شرح ، وصف ، وصنف .
- وقد قام الفيلسوف الأمريكي " **J. Searle** " بتطوير هذه المفاهيم وتنظيم أفكارها فيما بعد وتحديدا في كتابه "أفعال الكلام" " **speech acts** " بتطوير هذه المفاهيم، وتنظيم أفكارها فيما بعد، وتحديدا في كتابه "أفعال الكلام" " **speech acts** " ، يرى "سيرل" أننا حين ننتطق بجملة أو نلتفظ بقول فإننا نقوم بأربعة أفعال هي:

- 1) التلطف بالكلمات (جملا ومورفيمات): أي إنجاز فعل التلطف (فعل القول).
- 2) الإحالة والإسناد: أي إنجاز فعل القضية أو الجملة.
- 3) التقرير، السؤال، الأمر: أي إنجاز فعل قوة التلطف (فعل الكلام الإنجازي).
- 4) ثم يضيف إلى هذه المفاهيم الثلاثة المفهوم الذي قدمه أوستين أي: فعل الكلام التأثيري ويسميه "فعل أثر التكلم" وهو: المفهوم الذي يجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار ومعتقدات المستمع، فالحجاج يمكنني أن أقنع شخصا ما ، وبالإنذار أخيفه، وبالطلب يمكنني أن أجعله يعمل شيئا ما.

وهذا وقد حاول "سيرل" أن يحصر أفعال الكلام الفرضية في اللغة عبر تصنيفه لها في خمس أنماط رئيسية:

1. **أفعال الإثبات « les représentatifs »**: وهي الأفعال التي تلزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها، وجعله مسؤولاً عن وجود وضع الأشياء، ومن أمثلتها: أفعال التقرير - الوصف - الاستنتاج.

2. **الأمريات « les directifs »**: وهي الأفعال التي تمثل محاولات المتكلم لتوجيه المستمع للقيام بعمل ما، ومن أمثلتها: أفعال الطلب، والسؤال، والأمر، والنهي.

3. **أفعال إلزامية "أفعال الوعد" « les promissifs »**: وهي الأفعال التي ليزم المتكلم بالنهوض بسلسلة من الأفعال المستقبلية ومن أمثلتها: أفعال العرض، والوعد، والوعيد.

4. **أفعال تعبيرية « les expressifs »**: وهي الأفعال التي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم ومن أمثلتها: الشكر، والإعتذار، التهنية، والترحيب.

5. **أفعال إعلانية "الإعلانات" « les déclaratifs »**: وهي الأفعال التي تحدث تغييرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي غالباً ما تعتمد طقوس اجتماعية، ومن أمثلتها: أفعال إعلان الحرب، الطلاق، الطرد.⁽¹⁾

ثم إن "سيرل" طور شروط الملاءمة عند "أوستين" فجعلها في أربعة شروط هي:

(1) **المحتوي القضوي**: وذلك بأن يكون للكلام معنى قضوياً من خلال قضية تقوم على مرجع متحدث عنه أو متحدث به، ويكون المحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية.

(2) **الشرط التمهيدي**: ويتحقق إذا كان المتكلم قادراً ولو بوجه من الوجوه على إنجاز الفعل.

(3) **شرط الإخلاص**: ويتحقق حينما يكون المتكلم مخلصاً في أداء الفعل.

(4) **الشرط الأساسي**: ويتحقق حين يؤثر المتكلم في السامع.⁽²⁾

1- Nathalie garric et Frédéric Calas , « Introduction à la pragmatique », hachette, 2007, p90.

2- أنظر، قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، ص 61.

تلك كانت لمحة حول نظرية أفعال الكلام الإنجازية وما حدث فيها من تطوير، وإن كان بعض الباحثين،⁽¹⁾ يرى أن أصول هذه النظرية موجود في تقسيمات البلاغيين العرب للكلام إلى خبر وإنشاء.

انطلاقاً من تحديد معاني أفعال الكلام وتقسيماتها يرى (فان دايك) أن أفعال الكلام هي الغرض الرئيسي للتداولية فيقول: " وغني عن القول أن تحليلاً سليماً لأفعال الكلام هو الغرض الرئيسي للتداولية لأنه لا يمكن أن يتم غير فهم مسبق لمعنى الفعل أو التصرف.⁽²⁾ إذن: كيف يمكن أن يكون الحجاج جزءاً لا يتجزأ من الأفعال اللغوية خاصة والتداولية عامة؟

فإن كان البعض يعتقد أن دراسة الحجاج في الخطاب اللغوي هو شأن التداولية فإن لهذا الاعتقاد ما يبرره، إذ بالفعل نجد الخطاب الحجاجي " يخضع ظاهرياً وباطنياً لقواعد وشروط القول والتلقي، وبعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية وبالتالي قيمة ومكانة أفعال الذات المتخاطبة"، وهذا ما يجعله يدخل في صميم التداولية، ذلك يعد نصاً تداولياً بسبب خضوعه لمبدأ القصدية والتأثير والفعالية، ولأنه أيضاً خطاب موجه من طرف المتكلم به مع المتلقي.

ويظهر البعد التداولي للحجاج في عدة مستويات منها:

- أفعال اللغة المتداولة في الحجاج مثل: أكد، أنكر، فسر، نقل أقوالاً.
- على مستوى السياق: وهنا السياق التداولي هو الذي يحكم الخطاب أو النص مثل: استعمالات السياق: أجيب، استتبط، أعترض... الخ.

1- من هؤلاء الباحثين، طه عبد الرحمن.

2- فان دايك، النص والسياق، استقصاء الحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، د.ط، 2000م، ص 227.

وهذه المستويات على أهمية كبيرة، ولكن يبقى المستوى الحوارى أو التحوارى هو أهم مستوى فى العملية الحجاجية والتداولية، فحضور الطرفين (المتكلم/ المستمع) فى الخطاب، والدور الذى يلعبه كل منهما فى إحداث التفاعل والحوار، من شأنه أن يحقق نجاعة النص الحجاجى، ويجعله يصل إلى هدفه، وهو بطبيعة الحال إقناع المستمع بفحوى الخطاب، وهذا هو هدف التداولية من حيث أنها تريد إحداث عملية تواصلية تحاورية تفاعلية بين طرفى الخطاب.

I -2-2 الحجاج في الثقافة العربية:

I -2-2-1 عند العرب القدامى:

ازدهر الدرس الحجاجي ازدهارا كبيرا في سياق انفتاح الثقافة العربية والإسلامية بدءا من القرن الثامن والتاسع الميلادي على الثقافة اليونانية وترجماتها في هذا الباب، فسارع المسلمون إلى الاستفادة من هذه الأساليب في ضبط الكثير من العلوم كعلم الكلام والفقه والأصول والبلاغة، بل إن الدرس الحجاجي توج بقيام علم خاص يدرس الفعالية الحوارية والحجاجية سمي بعلم " المناظرة وآداب البحث" الذي يعتبر نظرية عربية أصلية في الحجاج.

كما أولى بلاغيوهم الكلام والتخاطب عناية كبيرة فعمدوا إلى تقسيم وجوه الكلام ومناسباته وصفته، تناسبا مع متلقيه، فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام قسمت طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب كل حسب طبقتهم، ولا يتجاوز به إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعة الخطاب، وصنفوا كل ذلك في المصنفات البلاغية - ما سمي لاحقا ببلاغة الخطاب- وتضم فني الشعر والنثر، كما برز في هذا الدرس بعض الأعلام نذكر منهم:

أ. الحجاج عند الجاحظ:

اهتم الجاحظ ببلاغة الإقناع، واعتبر أن اللغة والبلاغة هما سلاح المتناظرين والمتجادلين، كما كان له وعي كبير للدور الجسيم للكلام في مقارعة الرأي بالرأي، ومواجهة الخطاب بالخطاب مما دفعه لربط البلاغة بأهداف اقناعية وحدد أدوارا للكلام في كثير من فصول كتابه " البيان والتبيين

فكان من الطبيعي أن يطابق بين مدلول البلاغة ومدلول الخطابة، وأن يعنى بالنجاعة الحجاجية للقول أكثر من اعتناؤه بوجوه التجهيل الأسلوبي، وعموما فربط البلاغة بالإقناع تجلى في مشروع الجاحظ من خلال العناية الخاصة التي أفردتها لوظيفتي الإقناع والإقناع في القول، ثم من خلال تركيزه على عنصري المقام والمتلقي/ المستمع، وفي تعريفه للبيان يتطرق إلى معنى الإقناع إذ يقول: « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته كائنا ما كان ذلك البيان، ومن

أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»⁽¹⁾.

يتضح أن البيان عنده- هو إيضاح المعنى الذي يختلج في النفس حتى يفهمه السامع ويعيه، وبهذا يكتسي المصطلح عنده بعدا تداوليا، فالإفهام بهذا المعنى يستدعي استحضار الآخر من ناحية، واعتبار الوظيفة التواصلية للقول من الناحية الأخرى، لذلك انتبه إلى سلطان الكلام والحجة فربط البلاغة بالإقناع: " جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة،⁽²⁾ والإقناع عنده راجع إلى مجموع مؤهلات وصفات " كالمنطق والعقول، والدهاء، والتمييز والسياسة، ولباس التقوى"، للوصول إلى الغرض المنشود حسبه وهو " استمالة القلوب وميل الأعناق والتصديق وفهم المعقول وإسراع النفوس والاستمالة والاضطرار والتحريك وحل الحبة"، وقد تحول دونه بعض العوائق كالعي والحبسة، وتوقف اللسان وضيق الصدر... الخ، كما تنبه إلى دور المقام الخطابي وأحوال المخاطبين «... والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، واحراز المنفعة على موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال»⁽³⁾.

فبخصوص المخاطب تقتضي موافقة الحال بأن يراعي المتكلم قدر مخاطبيه ومنزلتهم الاجتماعية، فعلى المتكلم أن يوائم بين طبقات القول وطبقات وأحوال المستمعين، فيقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات⁽⁴⁾.

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص55.

2- الجاحظ، المرجع نفسه، ج1، ص64.

3- الجاحظ، المرجع نفسه، ج1، ص95.

4- انظر، الجاحظ، المرجع نفسه، ج1، ص97.

ويخصوص المقام ومراعاته فعلى المتكلم عدم الفصل بين مقصد القول وصورته إذ لكل غرض بناء مناسب، فما يصلح للمجادلة والمخاصمة لا يصلح للمنافرة والمفاخرة، وما يصلح للخطب ومقامات الصلح وحل السخيمة لا يصلح عند المعاقدة والمعاهدة.

وبهذا يكتسي المقام عند الجاحظ بعده التداولي فالتكلم محكوم باعتبار مخاطبه، وباعتبار الملاءمة بين الغرض وصورة القول، وباعتبار السياق الذي يرد فيه الخطأ.

ب. الحجاج عند ابن وهب:

قدم ابن وهب في كتابه " البرهان في وجود البيان " تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة، إذ جعل منه خطابا تعليليا اقناعيا، وميز من خلاله بين أنواع الجدل وقسمه إلى جدل محمود وآخر مذموم: « فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة وطلب به الرياء والسمعة». (1)

كما تحدث في بعض مباحثه حول " أدب الجدل " واشترط شروطا في المحاج، كأن لا يقبل قولاً إلا بالحجة وألا يروه إلا لعلة، وألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، وألا يستصغر خصمه وألا يتهاون به، كما أشار إلى قيمة الإحتجاج وقيام الحجة عند ذوي الرأي والعلماء والقدماء الذين أجمعوا على تعظيم من أفصح عن حجته، وبين عن حقه، واستنقاص من عجز عن إيضاح حقه وقصر عن القيام بحجته. (2)

ج. الحجاج عند ابن خلدون:

كما ألفينا ابن خلدون يماهي بين المترافدات الثلاث (المناظرة- الحجاج- الجدل) ويعرف الحجاج في مقدمته على أنه مناظرة، ويستعمل فيها لفظ الجدل، ويعده القانون أو القاعدة المتضمنة لأصول المناظرة وآدابها وأحوال المتخاطبين: « أما الجدل فهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في

1- أبو الحسن اسحاق بن وهب، البرهان في وجود البيان، تح: حقي محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، مصر، د.ط، د.ت، ص177.

2- أبو الحسن اسحاق بن وهب، المرجع نفسه، ص177.

الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأً فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظرين عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً، ومحل اعتراضه ولذلك قيل أنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره»⁽¹⁾.

فابن خلدون لم يبتعد في مفهومه للحجاج عن ابن وهب في جعل الحجاج آلة من آلات الجدل وجزءاً منه.

I -2-2-2 الحجاج عند العرب المحدثين:

أ. الحجاج عند طه عبد الرحمن:

يذهب إلى أن الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما، متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير، والمستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع لذلك يعرفه على أنه: «كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»⁽²⁾.

ويتوسع هذا الكتاب أكثر في مفهوم الحجاج من خلال كتابه " أصول الحوار وتجديد علم الكلام" وذلك من خلال مقارنته بالبرهان، حيث أعطى للحجاج صفتين رئيسيتين: « فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي، واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة»⁽³⁾ فالصفة التداولية للحجاج تمنح الفرصة للجميع في الاشتراك فيه دون استثناء، ومن أي مستوى على عكس البرهان الذي يتصف بالقواعد وتمايز المستويات.

1- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1961م، ص820.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، د.ط، 1997، ص226.

3- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، المغرب، ط1، 2000م، ص65.

أما الصفة الثانية للحجاج فهي كونه جدلي لأن: «هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة كأم تبنى الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان بل على هذه الصور مجتمعة على مضامينها، أيما اجتماع وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج».⁽¹⁾

فمن خلال هذه الصفات نجد أن الحجاج أوسع من البرهان ذلك أن البرهان منحصر في قواعد معروفة، فهو آلية تعيد فقط هذه القواعد على عكس الحجاج الذي يتسم بينيات واسعة ويتيح مقدمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة.

• أنواع الحجاج عند طه عبد الرحمن:

عرض طه عبد الرحمن في كتابه " اللسان والميزان " و " التكوثر العقلي " ثلاثة أنواع من الحجاج: الحجاج التجريدي، والتوجيهي، والتقويمي، ويختلف كل نوع من الآخر، وذلك حسب اهتمامات كل واحد من هذه الأنواع سواء في الشكل أو في المضمون أو في ردة فعل المتلقي.

1) الحجاج التجريدي: هذا النوع يهتم فقط بالشكل دون المضمون، حيث يعتني بالعبارات دون الاهتمام بمضامينها ومقاماتها، وعليه: « فالمقصود بالحجاج التجريدي هو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعني بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها، وهو مجرد من صفات التداولية ويذهب مذهب البرهان».⁽²⁾

2) الحجاج التوجيهي: حجاج يهتم فقط بالمخاطب واشتغاله بإيصال رسالته إلى المخاطب دون الاهتمام برده فعله أو رأيه، « فالمقصود بالحجاج التوجيهي إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل علما أن التوجيه هنا هو فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره فقد يشتغل المستدل بأقواله من حيث إقائها لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها، ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته

1- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص65.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص226.

إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب، ويجعل هذا الأخير متمتعاً بحق الاعتراض»⁽¹⁾.

(3) الحجاج التقويمي: هذا النوع من الحجاج لا يتوقف في حدود المخاطب وخطا به فقط، بل يركز على فعل المخاطب: « فالمقصود بالحجاج التقويمي هو إثبات الدعوى بالإستناد على قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه، فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر إلى فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب وفقاً عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط، وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته أيضاً على مقتضى ما يتعين من المستدل له أن يقوم به مستبقاً استفساراته واعتراضاته ومستحضراً مختلف الأجوبة عليها ومستكشفاً إمكانيات تقبلها واقتناع المخاطب بها»⁽²⁾.

وهو حجاج يقيم اعتباراً للمتلقى واعتراضاته على أقوال المرسل وهذا ما يكسب الحجاج قوته، وهو أفضل أنواع الحجاج لتوفره على شروط العملية الحجاجية.

ب. الحجاج عند محمد العمري:

سماه الخطاب الإقناعي، ويعتمد عموماً على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب في دراسة الخطابة العربية وركز بشكل لافت على الأسلوب والمقام وصور الحجاج (القياس، المثل، الشاهد)

• أنواع المقامات عند محمد العمري:

قسمها إلى ثلاثة أنواع: مقامات الخطابة السياسية ومقامات الخطابة الدينية ومقامات الخطابة الإجتماعية، كما نوه إلى أن العلاقات الإجتماعية عند المسلمين هي في الغالب علاقات دينية وحاول ما أمكن ربط الأصناف بأحوال المخاطبين.

1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان ، ص227.

2- طه عبد الرحمن، المرجع نفسه ، ص228.

1) مقامات الخطابة الدينية: هي ذات محتوى ديني، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث أصناف حسب المتلقي والرسالة الموجهة إليه، فهو إما أن يكون خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه، وهذه الحالة اقتضت خطابة تعليمية، وإما أن يكون متناسيا لما تعلم غافلا عما ينتظره فيتطلب حالة الحث على العمل، والتخويف من العقاب، وتلك هي الخطابة الوعظية، وإما أن يكون عالما مخالفا وجاحدا لوجهة نظر الخطيب، وفي هذه الحالة لا بد من المحاجة والبرهنة، وتلك هي الخطابة الحجاجية أو المناظرات.⁽¹⁾

2) مقامات الخطابة السياسية: وهي المتعلقة بالعمل في سبيل بناء الدولة أو خطب الصراع حول الحكم والملك، وتصنف حسب العلاقة بين الخليفة ومحاوريه وتكون إما بين الراعي والرعية أو بين الأنداد وتقل فيها الحجج، ويسود الوعظ أو الوعد والوعيد.⁽²⁾

3) مقامات الخطابة الإجتماعية: وتتمثل في التنظيم الاجتماعي كخطب الإملاك، والصلح، والمخاصمات القضائية، ويعتمد الحجة المقنعة والتأثير الأسلوبي.⁽³⁾

كما جعل الحجاج في صور ثلاث:

1. القياس أو القياس الخطابي: وهو القياس المضمّر القائم على الاحتمالات كالتعارض والتضاد والتقسيم (المستقصى).

2. المثل: ويعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير.

3. الشاهد: وهو الحجج الجاهزة مثل: الآيات القرآنية والشعر الحديث.⁽⁴⁾

كما تحدث في كتابه عن الأسلوب ورأى أن تجميله يكون حسب المقام والجمهور الذي يوجه إليه الخطاب، وحسب نوع الخطاب مكتوبا كان أو شفويا حواريا.

1- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطاب العربية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002م، ص43.

2- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص52.

3- محمد العمري، المرجع نفسه، ص64.

4- محمد العمري، المرجع نفسه، ص84.

ج- الحجاج عند أبو بكر العزاوي:

يرتبط الدرس الحجاجي اللساني في العالم العربي ارتباطا وثيقا باللغوي المغربي "أبو بكر العزاوي" الذي يؤكد في مؤلفاته وحواراته المختلفة أن اللغة تحمل بصفة دائمة ذاتية وجوهرية وظيفية حجاجية بقصد التأثير والإقناع، وهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام هو: لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل.

ويؤكد " العزاوي" في مقدمة كتابه " اللغة والحجاج " (وهو دراسة وصفية للحجاج في اللغة العربية) فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية، كما يروم من خلالها اكتشاف منطوق اللغة، ثم قدم تعريفا لمعنى الحجاج، إذ يعتبره انجاز المتكلم لخطاب يعتد على آليات التقديم والتسلسل والترتيب والاستنتاج بهدف التأثير والإقناع.⁽¹⁾

ولقد حاول الباحث في كتابه الإحاطة بنظرية الحجاج اللغوية، التي هي امتداد وتطوير لنظرية الأفعال اللغوية المتبلورة في أعمال " أوستين وسيرل" أولا، ثم تطورت في أعمال " ديكرو" والتي ساهمت في الكشف عن وظيفة أساسية من وظائف اللغة، إن لم تكن أهم وظيفة، وهي الوظيفة الحجاجية في اللغة العربية مثل " بل، لكن، حتى" وركز على الاستعمال الحجاجي لها، كما درس ظاهرة الاستعارة والمظهر الحجاجي لبعض أنواعها، مركزا على مفاهيم السلم الحجاجي، والإبطال والقوة الحجاجية، ودافع عن تصور مفاده أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية من الأقوال اللغوية العادية.

ويقر " العزاوي" في مؤلفاته أن مجال الحجاج ليس هو القول أو الجملة، إنما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار، حيث تظهر وجوه استعماله وتتجلى طرائقه اشتغاله، ويؤكد هذه الفكرة من خلال تحليله - وفق منهجية النظرية الحجاجية المعاصرة- لمجموعة من الخطابات، الخطاب القرآني على رأسها، حيث درس البنية الحجاجية للخطاب القرآني ساعيا إلى إبراز الجوانب الحجاجية الاستدلالية المتجلية فيه، وبيان أهمية التحليل الحجاجي للنصوص والخطابات بمختلف أنواعها، وأنماطها، ويرى أنها محاولة منه لاستجلاء بعض

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص08.

المظاهر الحجاجية للسورة القرآنية (سورة الأعلى) وأن الخطاب القرآني خطاب إلهي كتب بلغة طبيعية هي اللغة العربية وهو موجه إلى كافة البشر، إنه خطاب يقوم على الحجاج والمنطق الطبيعي والاستدلال غير البرهاني.⁽¹⁾

ج- الحاج عند عبد الله صولة:

ومن الجهود العربية المعاصرة التي سلطت الضوء على دراسة الحجاج في القرآن الكريم نجد جهود الدكتور " عبد الله صولة" في دراسة وتحليل الخطاب القرآني، معتمدا على تطويع النظريات الحجاجية الغربية، من خلال مؤلفه: " الحجاج في القرآن الكريم" وقد وصل فيه إلى نتيجة مقتضاها:

أن الخطاب القرآني خطاب حجاجي مقنع بوجه من الوجوه، فالأبواب الثلاثة في الكتاب:

- المعجم القرآني: خصائص كلماته وحركتها الحجاجية.
- التركيب في القرآن الكريم: خصائصه ووجوه الحجاج فيه.
- الصورة في القرآن: خصائصها ووجوه الحجاج فيها.

تقود إلى نتيجة واحدة ووحيدة هي أن الحجاج في القرآن الكريم هو حوار دائر بينه وبين متلقيه، أو هو بالأحرى حوارية معتبر فيها حضور الطرف المتلقي حضورا فاعلا، وليس هو عنفا مسلطا على العقول في شكل استدلالات جامدة.⁽²⁾

I- 4 أنواع الخطاب الحجاجي: تجمع الدراسات الحديثة على تقسيم الخطاب الحجاجي

إلى ثلاث خطابات أساسية: الخطاب الحجاجي البلاغي والفلسفي والتداولي:

I - 4-1 الخطاب الحجاجي البلاغي: إذا كان هناك من لا يميز بين الخطابة

والبلاغة فإننا في تراثنا العربي نجد الفرق واضحا بينهما حيث عدت « الخطابة نوعا من القول والتخاطب، أما البلاغة فهي بعد أسلوبية في هذا القول، لذلك جاز الحديث عن

1- انظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، ص09.

2- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص51.

بلاغة الخطاب واستحال العكس»،⁽¹⁾ وبهذا فإن البلاغة تعتبر أشمل وأعم من الخطابة، فهي تتخطاها إلى أشكال عديدة من الكتابة، وإذا كانت الخطابة نوع من القول فإن « هذا القول له بناؤه وأسلوبه، وأهم ما يميز هذا الأسلوب الخطابي هو أنه إقناعي وبلاغي»،⁽²⁾ فحاجة الخطابة للبلاغة لإقناع الجمهور، والتأثير فيه فالغاية الرئيسية للبلاغة العربية هي غاية حاجية.

ويمكن القول أن البلاغة والحجاج متلازمان في أي خطاب يرمي إلى الإقناع: « فورا كل حجاج بلاغة والعكس صحيح، لأن مدار ذلك هو الإغراء والاستغواء قصد الإمتاع والإقناع»،⁽³⁾ فالمحاجج البلاغي ينزع إلى التأثير في المتلقي واستمالاته وإغرائه باعتباره ذهنًا وعاطفة لكسب تأييده وتوافقه الضمني والصريح، « فهو حجاج موجه للقلب والعقل معا إذ يجمع بين المضمون العقلي للحجة وصورها البيانية أو بين التبرير العقلي والمحسّنات البيانية». ⁽⁴⁾

ومن هذا المنطلق يجب الإقرار بوجود حجاج بلاغي يجد عناصره الأساسية في المعاني البلاغية كأدوات إقناعية بحيث تكمن «أهمية الوسائل البلاغية فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه أمكن المتكلم تحقيق غايته من الخطاب». ⁽⁵⁾

وقد عدد لنا حبيب أعراب بعض سمات الحجاج البلاغي في النقاط التالية:⁽⁶⁾

- اندماجه عضويا بالخطابة في شكلها المكتوب والمنطوق.

1- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، مجلة عالم الفكر، العدد 1، يوليو-سبتمبر، 2001، ص 108.

2- حبيب أعراب، المرجع نفسه، ص 107.

3- حبيب أعراب، المرجع نفسه، ص 110.

4- حبيب أعراب، المرجع نفسه، ص 110.

5- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، ط1، أريد، الأردن، 2007، ص 120.

6- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 111.

- اشتراطه لرغبتين هما: إرادة المتكلم (المؤثر المقنع) وإرادة المتلقي (المتأثر المتلقي).
- خضوع حججه للتراتبية والتنظيم والقوة والضعف والبدء والختم والإبطال والإثبات...الخ.
- اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعى والجمع بين البيان والبدیع
- عدم قابليته للقولية والصياغة المنطقية الشكلية الرمزية.

فالوسائل البلاغية بالإضافة إلى أنها ممتعة ومؤثرة هي أيضا حاجية حيث أنها تعبر عن الحجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا وإصابة فهي تعمد إلى: « إقناع المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معا». (1)

وقد تعددت هذه الوسائل في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبدیع، ولذا نخطئ حين نعتبر البلاغة دراسة لجمالية اللغة فحسب لأنها فضلا عن هذا هي: « فلسفة تفكير وثقافة للمجتمع، وأسلوبية للحوار وهذا سر اكتسابها تلك الطبيعة المزدوجة التي تجمع بين الآليتين الحاجية والتفكيرية التأويلية على مستويي الملفوظ والمكتوب إذ لم تعد وظيفتها تحليل النصوص، بل إنتاجها أيضا». (2)

وعلى الرغم من التنوع في الوظائف والمشاكل البلاغية، إلا أن المظهر الحجاجي **La spect argumentatif** يظل من أبرز خصائص الفكر البلاغي في مراحلها القديمة والوسيلة والحديثه وبالأخص المعاصرة إذ فتحت - البلاغة الحجاجية- الأبواب أمام عودة الخطابة، وأصبح الخطاب يعتمد في انجاز تلك الوظيفة وإحداث التأثير أساليب متنوعة منها: ما يقوم على بلاغة الصورة، ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير لا بمنطوقه وإنما بمفهومه ومتضمنه، كما قوت المناقشة القائمة بين المستفيدين من استهلاك الآليات المرصودة لذلك، وأصبحت هذه البلاغة قادرة لا فقط على التأثير وتحويل القول والصورة فعلا وممارسة على أساس الفعل ورد الفعل، وإنما أصبحت متحركة في أذواق الناس تساعد على صياغتها وإعطائها الوجهة التي تهيئها لقبول ما يقترح عليها. (3)

1- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص109.

2- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص9

3- حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج للنشر، ط1، 1999، ص133-135.

I - 4-2 الخطاب الحجاجي الفلسفي: يعتبر البحث في موضوع الحجاج عامة

والحجاج الفلسفي على الخصوص ضربا من المغامرة الفكرية والمعرفية، لأن البحث فيه بحث في أسئلة ذات أبعاد فلسفية ولسانية وديداكتيكية لا بد من دمجها والبحث في نفس اللحظة عن كيفية تجاوزها.

فما هو بالتحديد الحجاج الفلسفي؟ وما الذي يميزه عن غيره؟ وهل يجوز الحديث عن الحجاج في قول الفلسفة وإنتاجها أم عن الدلائل والبراهين؟ وهل توجد طريقة خاصة بالفلسفة في استعمال الحجاج ومتطلباته؟

إن اللغة بالإضافة إلى وظيفتها في تبليغ التفكير وإنتاجه وفي بناء المفاهيم الفلسفية هي ذات طبيعة حجاجية، فاللسان البشري كما يقول "ديكرو" ذو وظيفة حجاجية، إذ لا تواصل باللسان من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل.

يذهب "حبيب أعراب" إلى تحديد فضاء الحجاج الفلسفي كأشكال قولية فلسفية في نصوص قد تطول (مطولة) أو تقصر (مقطعية)، ثم يؤكد على أن الممارسة الحجاجية والاستدلالية في ميدان الفلسفة ليست مقصودة لذاتها، ومن ثم فهي ليست معزولة كليا عن الإجراءات والأبعاد الأخرى في النمط من القول، ونفهم من هذا أن آلية الحجاج في الفلسفة ولنقل إجرائيته أي جزء من خدمة الكل، على عكس النوع الحجاجي البلاغي الذي عدّ إجراء وآلية في خدمة الحجاج.⁽¹⁾

وإذا عددنا أن نوع الحجاج الفلسفي خطابا للعقل و المعقولية فإن هذا الطرح يجر عددا من الإستشهادات التي تقضي بأن هذا الخطاب هو خطاب الدليل و البرهان لا خطاب الحجة والبيئة إرساء للحقيقة، و بالتالي فتفكير الحقيقة هو تفكير الدليل و البرهان، لا تفكير الحجاج و التعليل.⁽²⁾

1- ينظر، حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، ص 116.

2- ينظر، حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، ص 116.

ولكن هذا الرأي الذي يخص الفلسفة بالبرهان انطلاقاً من طبيعتها العقلانية يتجاهل انبثاقه على أساس اللغة الطبيعية ذات الحمولة المجازية خاصة الإستعارية بالتباساتها، وهذا بين نوعين من الاستدلال: استدلال بالبرهان و استدلال بالحجة، و الفلسفة بوصفها نصوصاً و متوناً تستدل بالحجة لا بالبرهان لاختلاف معاييرها باحتمال البرهان للصحة و الخطأ كما أنه لا يقاس لرأي الآخر و موقفه و تقييمه بل قيمته مباطنة له، وهذه الخصائص تجعله أنسب للمنطق و الرياضيات، بينما تقاس صلاحية الحجاج الفلسفي بمعايير خارجية أي قوته وضعفه، كفايته و عدمه، أو فشله في الإقناع، فليست غاية الحجاج الصواب و القوة بل التأثير و التقبل.⁽¹⁾

نستخلص أن:

الحجاج الفلسفي هو الذي يتخذ من الفلسفة بعداً من أبعاده فتقاس نجاعته بمعايير خارجية كالقوة والضعف والكفاءة أو عدمها والنجاح أو الفشل في الإقناع، ويكون هدفه التأثير و التقبل.

I - 4-3 الخطاب الحجاجي التداولي: المقصود منه نظرية أفعال الكلام وقد تم التطرق إليها سابقاً فيلا هذا البحث⁽²⁾

1- ينظر، حبيب أعراب، المرجع نفسه، ص 117.

2- ينظر، ص 190 وما بعدها من هذا البحث.

II- الآليات الحجاجية في صحيح البخاري:

II-1 الآليات الحجاجية:

« إن البلاغة و الأشكال التعبيرية التي لها تأثير كبير على الجمهور تتماشى مع الحجج المقنعة والمنطقية ، لأن عملية الإقناع منوطة بالعلاقة المتبادلة بين التأثير والتأثر». (1)

II-1-1 البيان:

« إن التشبيه و التمثيل و الاستعارة أصول كبيرة كأن جل محاسن الكلام -إن لم نقل كلها- متفرعة عنها، وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها». (2)

ويؤكد السكاكي أن الاستدلال البياني أو المجازي أكثر تأثيرا من غيره: « فإن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه و أن الكناية أدفع من الإفصاح بالذكر». (3)

فوظيفة البيان حجاجية تتعلق بكيفية توظيف وجوه البيان من التشبيه والكناية وغيرها في سياق تخاطبي معين من أجل تحصيل المطلوب.

ونهدف من خلال هذا الفصل إلى تبين علاقة مختلف الأساليب البلاغية بحجاجية الخطاب، فهل بإمكان التشبيه و المجاز و الاستعارة و الكناية و ما إلى ذلك من وجوه البلاغة أن تدعم طاقة القول الحجاجية؟ وأن تثبت قدرته الإقناعية؟ فتعد بذلك وسيلة من وسائل التأثير؟ لا سيما إذ كان الملقى يمتلك السلطة بالخطاب (السلطة الدينية) منذ البداية؟

1- عباس إقبالي، أساليب الإقناع في الحديث النبوي ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 4، العدد 1

2020، ص، <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/10804538>

2- الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 456.

3- السكاكي أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تح، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص412.

إن الوسائل البلاغية التي يحفل بها خطاب الأمثال، في صحيح البخاري كثيرة جدا و متنوعة، و تمثل في مجملها عاملا مهما يرفد عملية الحجاج و ينمي قدرة المخاطب على الإقناع. و التأثير في المتلقي، و من أهم هذه الوسائل:

أ- التشبيه و(التمثيل): «هو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج و وبيان حججه».(1)

ونجد أغلب علماء البلاغة ينظرون إلى التمثيل على أنه التشبيه كما جاء في كتاب المثل السائر: «وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التمثيل والتشبيه وجعلوا لهذا بابا ولهذا بابا مفردا وهما شيء واحد... وما أعلم كيف خفا ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه».(2)

أما عبد القاهر الجرجاني فيرى أن هناك فرقا لطيفا بين التمثيل والتشبيه فقال: «وأعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا».(3) وعلى هذا فالتمثيل الذي نحن بصدد تشبيهه بوجه عام وتمثيل بمعنى أخص لأنه يحتاج إلى تأمل، وإعمال فكر.

ففي المثل شحذ لذهن المتلقي واسترضاء لذكائه ودفع له إلى التأمل والتفكير فيما بين المشبه والمشبه به من أوجه الشبه، وفيه تعويد له على التفكير السليم يربط الأسباب بمسبباتها والنتائج بمقدماتها.

« والتشبيه في الحديث النبوي الشريف ليس من ذلك التشبيه الشكلي الذي يقوم على رصد العلاقات، وإنما يقوم على بيان عمق العلاقات بين المشبه والمشبه به بحيث يكون التشبيه في النهاية معينا على تمكين الحقائق في نفس المتلقي فهو ينطلق من الغاية التعليمية التي هي الغاية من الحديث النبوي الشريف».(4)

1- الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 497.

2- ابن الأثير، المثل السائر، ص153.

3- عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص84.

4- عبيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، ص246.

ومن أجل هذه الفوائد وغيرها كان من نهج القرآن الكريم في الدعوى ضرب الأمثلة إرشادا وتوجيها إلى الحق، والحث على الخير والزرع عن الباطل وكذلك رسولنا الكريم أكثر من ضرب الأمثلة وتشبيه الشيء بالشيء ترهيبا وترغيبا دعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

وكثيرا ما يستعمل التمثيل في الحديث النبوي الشريف في مواضع يكون الشيء المراد التمكين له في النفوس غيبيا يعسر تصويره في ذاته فيأتي في بيان أثر العمل وجزائه، أو بيان بعض الأمور الغيبية، منها الأمور المستقبلية في عالم الشهادة، والأمور التي هي في عالم الغيب بصورة مطلقة ولا يخفى أن هذه الأمور كلها من العسير تصويرها، ومن ثم يأتي التمثيل هنا معنا على تمكن المعنى (المقتضى التعليمي التبليغي) من نفس المتلقي كتمكنه من نفس المتكلم ومن ثم يحقق ارتياح النفس للعمل بمقتضاها أي التحول بالقول إلى منجز ليأتي التمثيل في نهاية المطاف تعضيدا للأمر أو النهي بوصفهما جوهر الغاية التعليمية التي تهدف إلى تمكين الحقائق في نفوس المتلقين، في خطاب الحديث النبوي الشريف، فلم يكن رسول الله ﷺ بالذي يقول ليطرب ويمتع ولكنه ﷺ يقول ليعلم ويمكن الحقائق في النفوس.(1)

وعد التشبيه (التمثيل) من أبرز الفنون البلاغية يقوم على ركنين أساسيين (مشبه ومشبه به) تجمع بينهما علاقة ما، فائدته التأثير في السامع قبولا أو رفضا ومن وظائفه أنه يسهل للذهن عملية حفظ المعلومات مما يجعلنا نكتفي بالقليل لاسترجاع الكثير، وهذا ما يفيد حاجايا، ويساعد في خلق فضاء واسع للخيال، ما يسمع في توسيع أفق المعلومات التي تضمنتها الصورة التشبيهية.(2)

وفي الفكر الغربي الحديث يرفع العالم "بيرلمان" " perlman" من شأن وقيمة التشبيه فأعطى له مكانة وأهمية بالغة بوصفه عاملا يعتمد عليه نجاح الحجاج في حالات كثيرة،

1- ينظر عبد بليغ، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، (السياق وتوجيه دلالة النص)، دار الكتب المصرية، ط1، 2008، ص248.

2- ينظر: عبد الجليل الشعراوي ، آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إريد، بيروت، ط1، 2006م، ص300.

وغالبا ما يتلقى المخاطب أشياء يجد نفسه ملزما بتقويم وتقدير العناصر المشتركة (مشبهه، مشبه به) بحيث يسقط جزء على جزء آخر، وهذه الطريقة تعتبر برهنة وحجة أكثر من مجرد مشابهة عادية.(1)

كما تكمن أهميته في تمثيل الأشياء غير المادية وغير المحسوسة بحيث تصبح في متناول المتلقي ليفهمها، ويتدبر معانيها، كما يعد وسيلة إيضاح أو تشويق أو مدح أو ذم، تحرك في المتلقي ميوله واتجاهه نحو الخير، فالأمثال القرآنية والنبوية سلاح بلاغي وعاطفي وعقلي بليغ الأثر وعظيم النتائج، وجم الفائدة.(2)

وقد تميزت الأمثال النبوية في صحيح البخاري بالقوة البلاغية والإقناعية ويتضح ذلك من خلال ما ورد في التشبيهات التمثيلية التالية.*

قال رسول الله ﷺ: « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر».(3)

يسوق لنا الرسول ﷺ في هذا المثل أربعة أصناف في فضل تدبر القرآن وقراءة آياته ويشبه كل صنف من هذه الأصناف الأربعة بنوع من أنواع النبات، فوقع التمثيل للمؤمن القارئ بالأترجة وغير القارئ بالتمر، والفاجر أو المنافق القارئ بالريحانة وغير القارئ بالحنظلة، وذلك تقريبا للأذهان وتوضيحا للمعاني.

1- ينظر: عبد الجليل الشعراوي، آليات الحجاج القرآني، ص280.

2- ينظر: عبد الرحمن النجلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، 1، 1979، 254.

* هناك من يسمي الأمثال النبوية "تشبيهات تمثيلية"، ينظر، محمد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، كلية التربية، جامعة المنصورة، د.ط، د.ت، ص8 وما بعدها.

3- المدونة، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، ص979.

هو تمثيل جمع بين الطعم المختلف والرائحة المختلفة، ومن شأنه أن يرفع من مكانة المؤمن ويخفض من مكانة الفاجر ويحط من شأنه وهيئته، إذ أنه قد جمع في التصوير بين ما ينطوي عليه الداخل، وما يظهر من سمت أو شكل خارجي وقد تكررت أدوات التمثيل بين "مثل" و"الكاف" ودخول أداتين على بعضهما (كمثل) وهو يأتي في مقام التذكير والتشبيه على أمر يمس حياة الإنسان وآخرته فأتى بهذا التمثيل بتلك الأدوات في مقابلة بديعة بين صورتَي المؤمن وصورتَي الفاجر.

- « وجاءت الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالنفاحة لأنه يتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن- وفيها أيضا من المزايا- كبر جرمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها». (1)

وتتجلى في الحديث نكتة بلاغية أخرى تتمثل في الربط بين الإيمان والطعم والقراءة والريح الطيب، وذلك لأن الإيمان ألصق بالمؤمن وألزم له إذ يمكن تحصيل الإيمان دون تلاوة، وكذلك الطعم أيضا يمثل أساس الشيء وجوهره. (2)

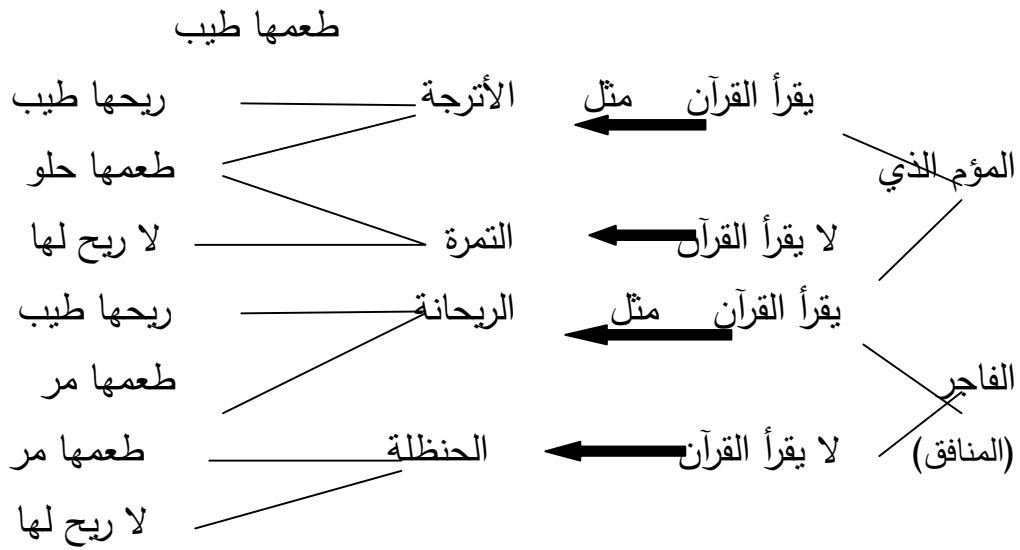
واختار-عليه السلام- النبات لضرب المثل، لأنه الأقرب إلى الناس في التعامل ومن الأمور المعروفة لديهم « وقد ضرب النبي المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال، فإنها من ثمرات النفوس فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تنبيها على علو شأن المؤمن وارتفاع عمله ودوام ذلك، وتوقيفا على ضعة شأن المنافق، واحباط عمله وقلة جدواه». (3)

1- فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، ج11، ص214.

2- فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، ج11، ص214.

3- بدر الدين العيني (أبو محمد محمود بن أحمد ت 155هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود بن محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص54.

وجاء المثل في هذا الخطاب صورة رائعة تقرب الفهم إلى المتلقي، فتحته على انجاز الفعل لما فيه من خير « أعلم أن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في ظاهر العبد وباطنه، وأن العباد متفاوتون في ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرئي، أو بالعكس وهو المؤمن الذي لم يقرأه»⁽¹⁾.



ساهم هذا التمثيل بهذا التفصيل في تقريب الفهم للمتلقي، وبين له فضل تلاوة القرآن والعمل بما دلت عليه آياته وتدبرها والتحذير من هجره لما في ذلك من حرمان الأجر والخير الوفير أو اللحاق يصنف المنافقين والعياذ بالله، كما عمل المثل على توجيه سلوك المتلقي نحو الأفضل وأقام الحجة عليه وبعد ضرب المثل في الحديث النبوي الشريف من الوسائل الفعالة والمعتمدة في تبليغ المتلقين قواعد دينهم لأنها أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر وأقوم في الإقناع.

1- بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ص54.

ورود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول: ذلك يبقى من درنة؟ قالوا: لا يبقى من درنة شيئا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا». (1)

يريد الرسول ﷺ في هذا الحديث أن يقرر لأمة فضيلة الصلاة ويؤكد أجرها ليصبروا عليها، ونجد في هذا المثال، التمثيل حركيا فهو نهر لكل مصل ملتصق ببابه، ثم إن المرء لا يتوضأ منه بل يغتسل خمس مرات وقد أعان تركيب العبارة على تحقيق الصورة، ف جاء الاستفهام مقرا مثيرا مع وصف النهر بشدة القرب (باب أحدكم) ملاصقا له، وجاء الاستفهام الثاني بمعنى النفي تأكيدا (هل يبقى من درنة شيء) ويؤكد الجواب: لا.

وصورة الممثل به سابقة في التعبير الكريم، لتفسير انتباه السامعين وتحرك شوقهم لا سيما وقد اقترنت بذلك الاستفهام التقريري الذي يطلب منهم جوابه ليطيل الشوق، ويزيد الانتباه مع أن الصورة الممثل بها فرضية محبوبة يتشهاها كل فرد يشعر بالحياة ويحس بالجمال، نهر ببابه يغتسل منه كل يوم خمس مرات وحسبك ما توحى به كلمة (نهر) النكرة من رقة، وصفاء وعذوبة، وعظمة، وما توحى به (الباء) بين النهر والباب من الالتصاق حتى كأن الدار تجري من تحتها الأنهار، وما يخيل لنا الفعل المضارع (يغتسل) من استحضار الصورة مع التجدد والحدوث طرفي النهار وزلفا من الليل، يدل عليها العدد المحصور في اليوم، ثم يطرد هذا مع العمر صعودا بإضافة لفظ العموم إليه (كل يوم) دلالة على اتصال النعيم ودوامه، وكلما تكرر الفعل تحققت الغاية وهي المحافظة على الصلوات الخمس التي يمحو الله بها الخطايا ويكفر بها الذنوب وهي أكبر شعائر الإسلام وأجلها: « وشبهت الصلاة بالنهر لأنها تتقي صاحبها من الذنوب، كما ينقي النهر البدن من الأوساخ التي تعلق به بالاغتسال فيه، وشبه قرب تعاطي الصلوات وسهولته يكون النهر قريبا من مجاورته على باب داره وشبه أداءها خمس مرات بالاغتسال المتعدد كذلك وشبهت الذنوب بالأدران للتأذي بلامستها، وشبه محو السيئات عن المكلف بنقاء البدن وصفائه...». (2)

1- المدونة، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ص110.

2- ينظر: البخاري، عون الباري لحل أدلة النجاري، دار الرشيد، حلب، سوريا، د.ط، د.ت، ج1، ص620.

والهدف من هذا التشبيه هو إدراك المعاني الذهنية المجردة وتقريبها إلى العقل ليكون التأثير أكثر والاستجابة أسرع، وتحفيز المتلقي على الامتثال أكبر.

- قال رسول الله ﷺ: « مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع بها الله الناس فشربوا، وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به. (1)

وفي هذا الحديث يبرز المعنى في معرض التمثيل في قصة أيضا محصورة بين المشبه أولاً، ورد الكلام إليه ثانياً دفعا بها إلى الوعي وأعماق النفس والغرض: بيان حظوظ الناس من الهدى النبوي حسب هماتهم ونشاطهم وهداية الله لهم، وأجزاء الصورة منتزعة من مظاهر كونية وطبيعية متفاعلة تشد انتباه الناس دوماً، فهنا غيث ينهمر على الأرض سواء، لكن الأرض تختلف في طبيعة تكوينها ونوع تربتها فيختلف مقدار تجاوبها وتعاملها مع الغيث، من أرض منبثة كثيرة الخير، ومن جناب صخرية تمنع الإنبات، وإن كانت أمينة في حفظ الماء الذي يفيد الناس في شؤونهم ثم قيعان كثيرة المسارب لا تنبت كلاً ولا تمسك ماء والتمثيل هنا ناطق يرسم نماذج إنسانية حية في كل جيل وقبيل، فمن الناس من يعلم ويجدد ويثري ومنهم الحفظة الأمناء ينقلون العلم لمن بعدهم، ومنهم حثالة البشر يسر لهم العلم لو أرادوا لكنهم أعرضوا عن ميراث النبوة فضلاً وأضلوا، ولا بد من هؤلاء لتكتمل قصة الخير والشر وهنا سمع الترغيب في إقبال الهدى والعلم- تصوير لحقائق إنسانية ثابتة ثبات الحقائق الكونية من غيث وأرض، ونبات انتزع منها التمثيل تلاؤماً بين الطرفين وتفننا معجياً.

إذن: ضرب النبي ﷺ مثلاً لما جاء به من الدين بالغيث، فوقع الناس في ذلك على ثلاثة أصناف:

1- المدونة، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ص 620.

الأول: العالم العامل المعلم ← الأرض الطيبة الخصبة.

(أخذ الدين فثمر العمل الصالح) أخذت الماء وشربته فأثمرت الخيرات.

الثاني: العالم المعلم غير العامل ← الأرض الجدياء

جمع العلم والدين وأثمر عملا صالحا أخذته واحتفظت به على سطحها علم تثبت

نباتا ولا ثمرا، ولكن الناس انتفعوا بالماء.

الثالث: جاهل معرض ← الأرض الملساء، لم أخذ ماء ولم تنفع أحدا.

- قال رسول الله ﷺ : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى». (1)

في هذا المثل القياسي شبه لنا الرسول ﷺ أفراد المجتمع المسلم في تعاملهم على أساس قيم التراحم والتعاطف والتواد وهي أشياء معنوية شبهها بالجسد القوي وهو أمر حسي الذي إذا اعتدل فيه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى، يقول ابن حجر: «أما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا سبب شيء آخر، وأما التواد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه». (2)

وقال ابن أبي جمرة: « شبه النبي ﷺ الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء لأن الإيمان أصل وفروعه التكليف، فإذا أخل المرء شيء من التكليف شأن ذلك الإخلال الأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كأغصانها فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أعضائها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والإضطراب». (3)

وتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد فيه تضامن وتكافل وتآلف وتحابب ووجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة، وتداعى بعضه بعضا إلى المشاركة في كل ما يلزم به، ونجد

1- المدونة، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص1141.

2- فتح الباري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص465.

3- فتح الباري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص465.

بلاغة الفعل التبليغي في نقل هذه المعاني إلى المتلقي الذي سرعان ما يدرك المعنى فور تلقئه، فيقبل على تطبيق هذه المقاصد في حياته، فتدرك بذلك الغاية وبلوغ الهدف. وفي مثل آخر يضره الرسول ﷺ في أهمية الذكر بالنسبة للمؤمن، حيث جعل الذكر بمثابة الروح للجسد: قال ﷺ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت».(1)

وقد وفي هذا التشبيه بالغرض مع المبالغة والتخييل والتجسيم فالذي يذكر ربه مثله بالحي الممتلئ حياة وحسا حركة دلالة على نفعه وحسن أثره والذي لا يذكر كجثة ميت لا حس فيها ولا حركة منقطع الأثر عديم النفع ومع قرن الحي بالميت يتأكد المعنى ويبرز الترغيب والترهيب المؤثر في النفس، ونلاحظ قوة هذا الأسلوب التبليغي في تقريب الصورة الحسية إلى ذهن المتلقي، فيبرز المعنى المعقول في صورة المحسوس، فالذاكر نابض بحركة الحياة بخلاف الغافل عن ذكر الله في عداد الموتى لإحراك فيه وفائدة التبليغ في هذا الخطاب هو حث المتلقي على ذكر الله سبحانه وتعالى.

- قال رسول الله ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل».(2)

في هذا التشبيه الساعي على الأرملة التي فقدت عائلها له درجة عظيمة كفاء نبله وبره، ولقد جاء المشبه به من المتعارف جزاؤه في الشريعة إذ أنه كهذا المجاهد الذي يبذل روحه في سبيل الله أو كهذا الذي زهد في الدنيا ابتغاء رضوان الله فهو صوام قوام، والمشبه به أقوى من المشبه في باب الأجرة، ورفع المشبه به تقوية له وإحاقا به، ولو سقطت الأداة لاختلطت الأمور، ونزلت درجة المجاهد عن مكانتها واختلطت بما هو أقل منها، والجهد في سبيل الله والانقطاع إلى الله آفاق لا تبلغ ببسر، ولحق بها الأقل تمثيلا ودقة في التعبير وصدقا في التشبيه ورفعاً لشأن الطرفين معا، والتشبيه فيه ترغيب للمتلقي للسعي على الأرملة والمسكين ثم ترغيب في الجهاد والصوم وقيام الليل لقياس الخيرات عليهما.

1- المدونة، ، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ص1205.

2- المدونة، كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة، ص1440.

- قال ﷺ لحكيم بن حزام: «إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له وكان كالأذي يأكل ولا يشبع».(1)

في الحديث تشبيه الحريص المتطلع للمال بالذي يأكل ولا يشبع، وهو تشبيه تمثيلي دخلت فيه الأداة على اسم موصول لتحقيق جملة الصلة والغرض من التشبيه، وهي صورة قد توجد في دنيا الناس ولكنها نادرة فيها مرونة واستمرار وإلحاح على الوجدان بالأكل النهم ثم لا يشبع تنفيراً لمنافاته أدب النفس، ثم تنفيراً من شبيهه الشحيح الحريص.

وقد كثرت التشبيهات في المدونة وتميزت بالقوة البلاغية والإقناعية باعتبارها أداة تعبيرية عند الرسول ﷺ، ووسيلة للبيان والإيضاح والتربية والتهديب والتبشير، والترغيب والترهيب والتزيين والتقبيح وغيرها فهي في خدمة الرسالة المطهرة التي غيرت الانسان بتغيير أعماقه وتبديل طباعه بطباع الفطرة وأخلاق النبوة حيث اتخذها رسولنا الكريم مطية لتبليغ المتلقين ما أراد من توجيهات وإرشادات.

كما يلاحظ على "التصوير النبوي ارتباطه بالواقع والبيئة من خلال الأمثال التي ضربها، والتشبيهات التي صاغها وهذا مما يرسخ المعاني في الأذهان ويؤنس النفوس لما للمعنى من صلة بالواقع، وهذه السمة أي سمة ارتباط التمثيل والتصوير بالواقع سمة مستمرة في كل أحاديث التصوير النبوي، ويلاحظ كذلك الدقة في اختيار الألفاظ التي تتركب منها الصورة مع مراعاة الإيجاز في تركيبها حتى يسهل حفظها ونقلها عند الحاجة وهذا ما يسر نقل الكثير من أحاديث التصوير والتمثيل النبوي.

وختاماً فإن ما يمكن استخلاصه من هذا التحليل هو أن تشبيهات السنة المطهرة على غرار تشبيهات القرآن الكريم، تتسم بالعموم بحيث لا يجد السامع في أي زمان ومكان كبير عناء في فهم المثل، ومعرفة القصد منه، ولما كان الرسول ﷺ مبعوثاً للناس كافة وكانت رسالته خاتمة الرسائل المخاطب بها الناس إلى يوم الدين، فقد انبنى على ذلك أن يكون الخطاب فيها متصفاً - هو الآخر - بصفة العموم حتى يمكن لكل فهمه ومعرفة معانيه.

1- المدونة، كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ هذا المال خضرة حلوة، ص1211.

ب - المجاز في المثل النبوي:

المجاز أبلغ من الحقيقة لأنه يقرر المعنى المراد ويؤكد كما يحقق نوعاً من المبالغة في الوصف، وما في المجاز من خيال يساعد على جذب اهتمام المتلقي وإثارة عواطفه.

وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح وأن للاستعارة مزية وفضلاً، وأن المجاز أبلغ من الحقيقة.⁽¹⁾

- **والمجاز ضربان:** مجاز عن طريق اللغة ومجاز عن طريق المعنى والمفهوم، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وكل ما ليس بالسبع المعروف كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه عن طريق اللغة.

ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة وعلى هذا فإن المجاز قسمان: المجاز العقلي والمجاز اللغوي، فالمجاز العقلي يقع في السنة الإسنادية ومن هنا فإن مكانه في علم المعاني وغلبه سنتقصر على المجاز اللغوي بنوعيه: المجاز المرسل والاستعارة.

- **والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي لعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها، فإذا كانت المشابهة فهو استعارة وإلا فهو مجاز.⁽²⁾**

* **المجاز المرسل في المثل النبوي:** « المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي، وله علاقات كثيرة: السببية، المسببية، الكلية، الجزئية، المكانية، الآلية... الخ. »⁽³⁾

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: السيد محمد رشيد رضا، مطبعة محمد علي صبيح، 1990، د.ط، ص 24.

2- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 1999، ص 250

3- السيد أحمد الهاشمي، المرجع نفسه، ص 252.

ومن الأحاديث التي ورد فيها المجاز في أمثال الرسول ﷺ نذكر:

- قال ﷺ: «ويل للأعقاب من النار».(1)

في هذا المثل تحذير من عدم إسباغ الوضوء بعامة والأعقاب بخاصة، وبدأ الحديث بكلمة الوعيد "ويل" يثير اهتمام المتلقي ويحرك مشاعره ويلقي في نفسه رعبا وخوفا من أن يصيبه.

وقوله "للأعقاب" مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء "الأعقاب" وأراد الكل الانسان"، والتعبير بالأعقاب عن الإنسان لأنها موجب الويل، حيث لم تغسل فانصباب الويل عليها يجعل المخاطب مستيقظا لها فلا يهملها في الوضوء.

والأعقاب -مؤخرة القدم- والسهو إليها أقرب من غيرها، فإذا ما أيقظ الوعيد اهتمام المتلقي فأيقظه إلى ما يمكن أن يهمل فيحرص على اسباغه في الوضوء فهو على ما سواه أحرص

- وقوله ﷺ: «من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا».(2)

الحديث الشريف يرغب في الصوم من خلال بيان أثره في وقاية الصائم من النار فصوم يوم في سبيل الله يبعد الإنسان عن النار سبعين سنة.

وفي الحديث تشويق بالشرط، فعندما يسمع المتلقي "من صام يوما..." يتطلع إلى معرفة الثمرة ويتشوق للوقوف على نوع الأجر فإذا قال: "بعد الله وجهه..." تمكن هذا المعنى في ذهنه فهو ري جاء على ضمأ.

- والمجاز في قوله "وجهه": فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء "الوجه" وأراد الكل، واختصاص الوجه لأنه أشرف ما في الإنسان وهو المرآة التي تعكس انفعالات الإنسان وتظهرها، إذ يجب أن يكون الجزء الذي يطلق على الكل مما يكون له من بين الأجزاء مزيد من اختصاص بالمعنى الذي قصد الكل، خصوصية ظهور النعيم على الوجه عبر بالوجه عن الإنسان، وقوله في سبيل الله: معناه إخلاص النية لله سبحانه وتعالى.

1- المدونة، كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، ص45.

2- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الصوم في سبيل الله، ص527.

- ومن المجاز قوله ﷺ : « قاتل الله اليهود، إن الله حرم عليهم الشحوم فأجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه». (1)

في الحديث احتيال اليهود لأكل ثمن الميتة وهو حرام ويؤكد حرمة الاحتيال دعاؤه على اليهود حين سئل عن شحوم الميتة حيث يدهن بها الجلود، فقال: " قاتل الله اليهود... " وهذا الدعاء منه عليهم يحذر من حاول أن يحتال كما احتالوا.

والمجاز في قوله: "باعوه فأكلوا ثمنه"، وهو يبرز العرض من احتيال اليهود ويبشع فعلهم، وهو مجاز مرسل علاقته السببية، فمعلوم أن الثمن لا يأكل وإنما يأكل ما يشتري به، والتقدير: فأكلوا ما يشتري به الطعام، ولكن عبر بالثمن عن المأكول لأنه سبب فيه فهو أطلق السبب " الثمن " وأراد المسبب " المأكول ".

- قال ﷺ : « إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها». (2)

في هذا الكلام مجاز وتوسع « وذلك أن المراد به أنه عليه الصلاة والسلام يبالي في زجر أمته عن التقم في المعاصي أو الارتكاس في المضال والمغاوي بشكائم المنع وخزائم الردع، فشبه ذلك عليه الصلاة والسلام بإمساك الرجل بحجزة صاحبه إذا كاد أن يسقط في مهواة أو يرتكس في مفواة ليتماسك بإمساكه وينجو بعد إشفاقه». (3)

- فلما شبه إحدى الحالتين بالأخرى أجرى عليها الاسم على سبيل المجاز وطريق الاتساع، وحسن أن يقول عليه الصلاة و السلام، إنني آخذ بحجزكم عن النار، ومراده: عن الأعمال المؤدية إلى دخول النار لأن السبب للشيء جار مجرى نفس الشيء، ومما يبين أن المراد ذلك أنهم لم يكونوا في حال سماعهم لهذا الخطاب متهافتين في النار وإنما كانوا في الأعمال التي يستحقون بها عذاب النار. فقوله: " فأنا آخذ بحجزكم عن النار " مجاز علاقته السببية.

1- المدونة، كتاب البيوع، باب: بيع الميتة والأصنام، ص400.

2- المدونة، كتاب الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي، ص1217.

3- ينظر، الشريف الرضي (أبو الحسن محمد بن الحسين بن أحمد الواسطي)، المجالات النبوية، تح: مروان العظيمة ومحمد رضوان الداية، 1987، ص 73.

- أما قوله ﷺ : « الحرب خدعة »⁽¹⁾.

المجاز في هذا الحديث يحتمل أحد الأمرين: إما أن يكون أطلق الحرب وأراد أهلها فيكون مجازا مرسلا علاقته المحلية حيث أطلق المحل "الحرب" وأراد الحال "أهلها" كقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ يوسف: [82].

ويمكن أن يكون المجاز من قبيل الاستعارة المكنية حيث شبه الحرب بإنسان تخدع ثم حذف المشبه به وأبقى على أحد لوازمه الخداع "خدعه"

ج- الاستعارة في المثل النبوي:

تعد الاستعارة الحجاجية ضمن التقنيات البلاغية التي يستخدمها المرسل بقصد توجيه خطابة إلى المرسل إليه. من أجل وصوله إلى أهداف حجاجية ويعرفها أحمد الهاشمي بالرجوع إلى اصطلاح البيانين بأنها: "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصرا لكنها أبلغ منه، وأركان الاستعارة ثلاث هي: مستعار منه وهو المشبه به، والمستعار له وهو المشبه، ويقال لهما الطرفان، والمستعار هو اللفظ المنقول"⁽²⁾، أي أن الاستعارة تشبيه مجازي بليغ تكون باستعمال الكلمة في غير ما وضعت له في أصل اللغة لعلاقة واحدة وهي المشابهة في المعنى المستعمل فيه مع قرينة لفظية أو معنوية مانعة عن إرادة المعنى الأصلي.

أما في التعريف الغربي للاستعارة فقد اعتبر ولسون وسيبير (Wilson spirir) أن القول الحرفي فكرة غير ناجحة للتعبير والإبلاغ لا يؤدي أي فعالية على عكس القول الاستعاري فهو حجة لها وقعها وأثرها في نفس المتلقي بحيث أنه قادر على التعبير الجيد والإفصاح عن الأفكار هذا ما يعد الخطوة الأولى في الجانب الاستدلالي والتأثير والإقناع كآليات ضرورية في النصوص الحجاجية.⁽³⁾

1- المدونة، كتاب الجهاد، باب: الحرب خدعة، ص559.

2- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص258.

3- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجج افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012، ص123.

وتعد الإستعارة مركز الحجاج نظرا لما تحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ، وهو ما عبر عنه طه عبد الرحمن بقوله: «العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج».(1)

كما تعد آلية حجاجية بامتياز فإذا كانت الاستعارة الشعرية تتملك السامع أكثر مما ترغمه، فإن الاستعارة الحجاجية تكون أكثر قهرا واقتدارا، ويتميز القول الاستعاري عن القول الحرفي في الحجاج بكونه يؤدي عدة وظائف في عملية التخاطب وعملي الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع.(2)، فوجهه « وجهة نظر البلاغة الجديدة جعلت الاستعارة تؤدي دورا تواصليا ». (3)

ويرى عبد السلام عشير في هذا الصدد: « أن الآليات الاستعارية في القول الحجاجي لا تقف عند حدود التمثيل أو المشابهة بين فكرتين وموضوعين، بل قد تجول البناء الحجاجي بكامله إلى بناء استعاري، يستدعي فيه المعنى الأول معنى ثانيا اعتمادا على المقومات الأساسية في العملية الحجاجية (مقام، مستمع، مقتضيات تداولية) التي تشكل إلى جانب الآليات الأخرى (اللسانية، المنطقية، التداولية) هيكل الخطاب الحجاجي».(4)

ولتحليل القول الاستعاري في الحجاج وظف " مايرير " مفهومين أساسيين هما: الضمني والمصرح به، فالمصرح به هو ظاهر السؤال في القول، أما الضمني فهو كل الإمكانيات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد، وفي هذا الجانب يرتبط الحجاج بالمجاز: « فالمجاز - إذن- يعد صيغة من صيغ الاستدلال الحجاجي إذ ليس للحجاج من طريق إلا استغلال ما في اللغة من غنى وثراء ذلك أن الصورة المجازية تتنوع وظائفها داخل القول الحجاجي

1- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، (التكوثر العقلي)، ص233.

2- أوثن دلال، حياوي فطومة، تداولية الاستعارة الحجاجية لنص الرثاء، مرثية متم بن نويرة انموذجا، مجلة المخبر، (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد05، مارس2009، ص6،7.

3- محمد يزيد سالم ، عبد السلام عاين ، حجاجية الاستعارة عند عبد القادر الجرجاني ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل

الخطاب، العدد 4 ، 2018 ، ص 266 . <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/66015>

4- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص122.

والعمليات الاستدلالية حسب الأهداف المتوخاة من استعمالها»⁽¹⁾، كما تعتبر الاستعارة الحجاجية « ذات أثر عظيم في تقوية الخطاب وإمداده بالتفرع الذي يمكن المتلقي من المشاركة في الخطاب ». ⁽²⁾

وتعرف الاستعارة الحجاجية -كما جاء في كتاب استراتيجيات الخطاب للشهري بكونها « تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي» (3) ، «وإنَّ فعالية حجاجية الاستعارة تكمن في التأثير على الالذهان و الافهام ». (4) وافترض "طه عبد الرحمن" عدة افتراضات لبناء القول الاستعاري هي: (5) أن القول الاستعاري قول حوارى، وحواريته صفة ذاتية له.

- أن القول الاستعاري قول حجاجى، وحجاجيته من الصنف التفاعلى.
- أن القول الاستعاري قول عملى، وصفته العملية تلازم ظاهره البيانى والتخيلى.

ويرى أبو بكر العزاوي أن الاستعارة الحجاجية هي «استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، ويقصد تحقيق أهدافه الحجاجية فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية». ⁽⁶⁾

فالاستعارة الحجاجية هدفها محدد- إذن- وهو التأثير في السامع عاطفيا وعقليا للدلالة على قوة السياق الذي وردت فيه، بحيث تكمن فاعلية الاستعارة في التوافق مع ما يقتضيه

1- عبد السلام عشير، المرجع نفسه، ص123،122.

2- محمد يزيد سالم ، عبد السلام عاين ، حجاجية الاستعارة عند عبد القادر الجرجاني ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، العدد 4 ، 2018، ص 268 . <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/66015>

3- الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص495.

4- محمد يزيد سالم ، عبد السلام عاين ، حجاجية الاستعارة عند عبد القادر الجرجاني ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد 4 ، 2018، ص 266 . <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/66015>

5- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص310-313.

6- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص108.

السياق، وتركز وتهتم بالمستعار منه، وبذلك تكون أقرب من الحقيقة لتحريك عواطف المرسل إليه ودفعه إلى الاقتناع.⁽¹⁾

ومن أمثلة الاستعارة في أمثال الحديث النبوي الشريف نذكر:

- قوله ﷺ: «إن هذا المال خضرة حلوة».⁽²⁾

لقد شبه -عليه السلام- المال بما يستلذه الانسان من الفواكه التي تجمع بين صفتين هما: الحلاوة والخضرة، فقله: إن هذا المال خضرة حلوة: "أنت الخبر لأن المراد الدنيا شبيهه بالرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء المستلذة، فإن الأخضر مرغوب على انفراده بالنسبة إلى اليابس والحلو مرغوب على انفراده فيه بالنسبة للحامض، فالإعجاب بهما إذا اجتمعا أشد بسخاوة نفس أي بغير شره ولا إلحاح وهذا بالنسبة إلى الآخذ ويحتمل أن يكون بالنسبة إلى المعطي أي بسخاوة نفس المعطي أي انشراحه بما يعطيه.⁽³⁾

ولقد نبه -عليه الصلاة والسلام- إلى أن المال يجب أن يؤخذ بسخاوة نفس لا بشره لأنه إذا اخذ بالشراهة كانت الدنيا هما، وفي هذه الاستعارة سر لطيف وهو أنه شبه المال بالثمرة التي حسن منظرها وطاب مخبرها وليس كل ثمرة مأكولة كذلك صفتها لأن في النباتات والثمرات ما يحسن ظاهره ويقبح باطنه، ومنها ما تقبح ظواهره وتحسن مخابره، فجعل عليه الصلاة والسلام المال من قسم النباتات التي تروق في العيون وتحلو في الأفواه والقلوب».⁽⁴⁾

إذن المال كالفاكهة الخضراء الحلوة، فالاستعارة تصريحية إذ صرح بالمشبه وحذف المشبه به، وأبقى على خاصية من خصائصه.

ومن الاستعارات اللطيفة التي ضربها الرسول ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»⁽⁵⁾، والمعنى أنه إذا وقع: «الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع

1- الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص496

2- المدونة، كتاب الرقاق، باب: هذا المال خضرة حلوة، ص1211.

3- فتح الباري، كتاب الزكاة، باب: الاستغفار عن المسألة، ص300.

4- الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص67.

5- المدونة، كتاب الجنائز، زيارة القبور، ص237.

فذلك هو الصبر الكامل الذي ترتب عليه الأجر، وأصل الصدم ضرب الشيء الصلب بمثله فاستعار للمصيبة الواردة على القلب، قال ابن بطال: أراد أن لا يجتمع عليها مصيبة الهلاك وفقد الأجر وقال الطيبي: صدر هذا الجواب منه ﷺ عن قولها لم أعرفك على أسلوب الحكيم كأنه قال لها: دعي الاعتذار فاني لا أغضب لغير الله وانظري لنفسك»،⁽¹⁾ ففي هذه الاستعارة تجسيد المعنوي في شكل محسوس إذ جعل هجوم المصيبة على الانسان بالصدمة التي تكون بين الأشياء المادية، ومما يميز الاستعارة النبوية وضوحها وحجاجها إذ تنقل المستمع أو المخاطب من الحالة المعنوية إلى الحالة الحسية فتصبح المعاني محسوسة ملموسة، وهي من الأدوات المفضلة إليه للتعبير عن معانيه ودعوة مخاطبيه إلى الاقتناع والتصديق لما جاء به.

ومن الاستعارة قوله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وإن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار».⁽²⁾

في هذا الحديث ذكر النبي ﷺ خصالا من كانت فيه وجد حلاوة الإيمان، فالنبي ﷺ عبر عن الراحة النفسية والالتذاذ العقلي بالحلاوة، وهي مما يشتهيها الناس ويحبونه على سبيل الترغيب لهم في الإقبال على هذه الخصال وهنا تصوير هذه الرغبة وهذا الشعور في نفس المؤمن بالشيء الحلو، والأشياء الحلوة في حياة الناس أشكال وأنواع، وكل نفس تميل إلى ما يناسبها ويشبع شغفها من هذه الحلاوة، ولكن هذا الحديث صور شعور المؤمن لا أي إنسان إن هذه اللذة لذة عقلية وراحة نفسية لا يجدها إلا المؤمنون.

ففي قوله: "حلاوة الإيمان" استعارة تخيلية: شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما

1- فتح الباري، كتاب الجنائز، زيارة القبور ، ص23-24.

2- المدونة، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ص13.

نقصت الصحة شيئاً ما نقص ذوقه بقدر ذلك فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوي استدلال المصنف على الزيادة والنقص.⁽¹⁾

وفي استعارة الحلاوة لهذه اللذة المعنوية سر بلاغي وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين أن هذا الشعور الإيماني مستمر مع المؤمن في كل الأوقات، كما أن حب الحلاوة مستقر في طباع الناس في كل حياتهم، والمؤمن حين يجد هذه الحلاوة في نفسه وقلبه تتلاشى أمامه العقبات وتذلل له الصعاب ويرى الوجه الحقيقي للعالم، ويرى إشراف الإيمان، ويرى في كل عمل من الأعمال رضا الله في جانب الطاعة وسخطه في جانب المعصية.

إن هذا الحديث من البيان النبوي الذي يمثل الأمور العقلية واللغوية في صورة حسية تقلب السمع بصراً والمعقول محسوساً والمتخيل حقيقة، واستعمال الحلاوة والذوق في الأمور الحسية: هنا إنما هو ترغيب ودعوة إلى التحلي بهذه الخصال، وبيان لأن الذات في الدنيا لا تنحصر في الذات الحسية المادية، بل هناك من الذات المعنوية ما يفوقها في الأثر، وذلك لأنها تفضي بصاحبها إلى النعيم السرمدي أما لذات الدنيا فإلى زوال وفناء.

وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة، قال: إنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانع ولا مانع في الحقيقة سواه وأن ما عداه وسائط وإن الرسول ﷺ هو الذي يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكلية نحوه فلا يحب إلا ما يحب ولا يحب من يحب إلا من أجله وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقيناً، ويخيل إليه الموعود كالواقع فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار.⁽²⁾

- قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق

1- فتح الباري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ج1، ص92.

2- فتح الباري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ج1، ص93.

بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت
عيناه».(1)

أورد الإمام البخاري هذا الحديث في غير باب من أبواب كتابه حيث أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بأخبار يوم القيامة، يوم تقترب الشمس من العباد، كما ذكر أن من الناس من يلجمه العرق إجماعاً في ذلك اليوم، في ذلك اليوم يظل الله سبحانه وتعالى سبعة أصناف من الناس، وهو ثواب عظيم، كما يبين الرسول الكريم ﷺ أن محصلة الطاعة، إما تكون بين العبد وبين الرب، أو بين العبد وبين الخلق، والأول باللسان وهو الذكر، أو بالقلب وهو المعلق بالمساجد أو باليدين وهو الناشئ في العبادة، والثاني عام وهو العادل، أو خاص بالقلب وهو التحاب، أو بالمال وهو الصدقة، أو بالبدن وهو العفة.

والشاهد في هذا الحديث قوله: " لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" وهي استعارة حيث شبه اليد اليمنى بشخص، واليد الأخرى بشخص آخر، حيث أعطى لليد ميزة خاصة بالإنسان وهي "العلم" فحذف المشبه به ورمز إليه بأحد لوازمه "اليد" على سبيل الاستعارة المكنية، وهي استعارة بدعية ويمكن اعتبارها استعارة حجاجية لأن الرسول ﷺ وظف هذه الاستعارة في حديثه لتقوية المعنى وزيادة التأثير في المتلقي.

- وقال ﷺ: « ولكن لهم رحم أبلها ببلالها».(2)

جاء التصوير في هذا الحديث لصلة الأرحام، وما أعظم صلة الأرحام لمالها من أثر في تأليف القلوب، ونشر الود والحب بين الناس، وقد أراد النبي ﷺ أن يصور هذه الصلة ويجسدها بمالها من مكانة في الدين وأثر في حياة الناس، فعبر عن هذه الصلة باستعارة رائعة في قوله: "ولكن لهم رحم أبلها ببلالها" فكأنه قال: أصلها بالمعروف اللائق بها وسر الجمال هنا في ذكر البلال والبلال بمعنى "البلل" وهو النداء والندوة من شأنها تجميع ما يحصل فيها وتأليفه بخلاف اليبس والقطيعة فمن شأنه التفريق، فنحن إذا نظرنا إلى الأرض في حال يبسها وجفافها وجد بها... نرى ظهور الشقوق والتصدع من شدة الجذب وقلة الماء،

1- المدونة، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ص264.

2- المدونة، كتاب الأدب، باب: تيل الرحم ببلالها، ص1138.

وهذه الصورة التي تكون عليها الأرض في هذه الحال تشبهها الرحم في حال القطيعة حيث يتباعد الناس عن بعضهم وتتقطع أوامر القربى ووشائج الرحم بينهم مع انتشار الفتور في العلاقات، وظهور العداوات، ولكن حين تبل الأرض بالماء حق بلالها تتصل الشقوق وتتلاحم الأجزاء ويجري الماء على وجه الأرض بلمعانه، فيتغير صورتها من اليبس والجفاف والجذب، إلى الرطوبة والخضار والنضار والرحم في حال الصلة تشبه الأرض في هذه الصورة الرائعة حيث ينشر الحب وتشيع المودة والصلة، وتثمر هذه الصلة التعاون والود والرحمة، وقال الخطابي وغيره: « بللت الرحم بلا وبلا وبلا لا أي نديتها بالصلة، وقد أطلقوا على الإعطاء الندى، وقالوا في البخيل: ما تتدى كفه بخير، فشبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بالماء الذي يطفئ ببرده الحرارة، ومنه الحديث " بلو أرحامكم ولو بالسلام».(1)

ويبدو لي في هذا التصوير أكثر من خصيصة دقيقة، وهو أنه يعتمد على أكثر من صورة يتقبلها الخيال، وتتفق مع الهدف تمام الاتفاق، فالصورة الأولى: التي شبهت بها صلة الرحم بالأرض المثمرة والقطيعة بالأرض الجذباء الفاحلة صورة واقعية دقيقة يسهل على ذهن أن يربط بين أجزائها وأجزاء الصورة المقصودة وكذلك الصورة الثانية: التي صورت فيها القطيعة بالحرارة والصلة بالماء الذي يطفئ الحرارة ببرودته ينطبق عليها ما سبق ذكره في الصورة الأولى.

وهذا ملحوظ هام على التصوير في البيان النبوي وهو قدرته على الإتيان بلوحة تصويرية، يمكن أن تولد منها صورة أخرى، وذلك لتثبيت المعنى في النفس وبيان أهميته في حياة المسلم والتأثير فيه أشد التأثير فيتمثل لهذه التعاليم ويترك ضدها، فيصل رحمه ويسال عن الأقارب ويبذل المعروف لهم، فتحول الضغائن إلى صلوات وود، والعداوات إلى صدقات وحب والقطيعة إلى التحام وحب ويكون المؤمن كالماء في جريانه وانسيابه وبرودته لينا ودودا وصولا.

1- ينظر، فتح الباري، كتاب الأدب، باب: تبل الرحم ببلالها، ج13، ص443،442.

- ومن الاستعارة قوله ﷺ : «الخير معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».(1)

في الحديث الشريف بيان لفضل الخيل وأهميتها من خلال ارتباط الخير بها وقوله: "الخير معقود بنواصيها الخير" استعارة مكنية حيث شبه الخير "وهو شيء معنوي" بشيء مادي مرموز له شيء من لوازمه وهو العقد (معقود) يقول الرضي: « وهذا القول مجاز لأن الخير في الحقيقة ليس يصح أن تعقد به نواصي الخيل، وإنما المراد أن الخير كثيرا ما يدرك به ويوصل إليه عليها، فهي كالوسائل إلى بلوغه والأرشية إلى قلبه، فكأنه معقود بنواصيها لشدة ملازمته لها، وكثرة انتهاز فرصة بها، لأنهم عليها يدركون الطوائل ويحبون الغنائم، ويفوقون الأعداء، ويبلغون العلياء».(2)

بالإضافة إلى المعنى الاستعاري نجد معنى كناية يدل على ملازمة الخير للخيل، ويحتمل أن يكون كنى بالناصية عن جميع ذات الفرس كما يقال فلان مبارك الناصية وقيل: فيه تفضيل الخيل على غيرها من الدواب لأنه لم يأت عنه ﷺ شيء غيرها مثل هذا القول (3) ، فالاستعارة في الحديث النبوي هي استعارة حجاجية، فالحديث يعمد إلى الصورة التي رسمها فيعطيه ألوانها وظلالها ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة، فالحوار، فإذا هي شاخصة.

د - الكناية في المثل النبوي:

إلى جانب كل من الاستعارة والتمثيل نجد الكناية التي لها أيضا دورا في الحجاج، فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه وإقناع قارئه كما قال الزركشي: « وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود فيوميء به إليه، ويجعله دليلا عليه، فيدل على المراد من طريق أولى».(4)

1- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير يوم القيامة، ص528.

2- الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص49.

3- ينظر، فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ج7، ص109، 108.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص500.

والكناية رمز له مدلول خاص يعطي التعبير اتساعا وبيعت على التفكير وإعمال
الذهن، وقد يكون وسيلة للارتفاع بالأساليب عن التصريح بما لا تحت ذكره مع حسن
التصوير وتقوية المعنى.⁽¹⁾

ولقد كانت الكناية مفتاحا للرمزية كمذهب أدبي يحدث من حيث تصوير الحقائق
والمعاني بشيء من الخفاء، وفي هذا الخفاء يكمن السحر، حيث لا يقطع على الخيال
رحلته في عالم المعاني.⁽²⁾

وسنلتقي مع الكنايات النبوية لنرى كيف جاءت على نسق طبيعي لا كلفة فيه وكيف
سبقت إلى لقطات نافذة، جمعت بين جمال التصوير، وتدعيم المعنى، مع الإيجاز والملح
دون تبسط في الإيضاح، واختيار الألفاظ الموحية الدالة، كما تقوم الكناية في القرآن
الكريم والحديث النبوي الشريف: « بدور بلاغي وأسلوبى، وتؤدي دورها ونصيبها كاملا
في أداء المعاني، فهي حيناً راسمة مصورة موحية وحيناً آخر مؤدبة مهذبة، وحيناً موجزة
تنقل المعنى وافيا في لفظ قليل ولا تستطيع الحقيقة أن تؤدي المعنى كما تؤديه الكناية في
المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية...».⁽³⁾

والكناية إلى جانب الصور البيانية التي سبق ذكرها لها أيضا وظيفة حجاجية، فهي
بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المخاطب لإقناع المتلقي أو القارئ بألفاظه المجازية، والبيان
النبوي ما اختار الكناية لأنها كناية أو التصريح لأنه تصريح، بل هنا وضع خاص
اقتضاه المقام وكان التصريح فيه أبلغ فأتى به ترهيبا أو تشريعا أو الكناية أوقع فأتى بها
تنفيرا أو ترغيبا، من قولهم لكل مقام مقال.

ومن الكنايات النبوية الواردة في أمثاله نذكر:

-
- 1- عبد الحميد حسن، الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، 1949م، ص182.
 - 2- حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي، الطبعة النموذجية، القاهرة، 1949م، ص46.
 - 3- رابح دوب، البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار فجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1999، ص335.

- قوله ﷺ : «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».(1)

والمثل فيه كناية عن كثرة الضراب في سبيل الله، وفيها أكثر من سر بلاغي:

الأول: على أن يكون المقصود منها أن يتقارب المجاهدون، ويجتمعوا إلى بعضهم صفا متراسا حين الزحف، فتصير السيوف تظل المجاهدين وهناك تكون الجنة، « وهي من الكلام النفيس الجامع المشتمل على ضروب من البلاغة، مع الوجازة وعذوبة اللفظ، فإنه أفاد الحض على الجهاد، والإخبار بالثواب عليه، والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف، والاجتماع حين الزحف، حتى تصير السيوف تظل المقاتلين».(2)

الثاني: على أن يكون المقصود منه الالتحام مع الأعداء في ساحة القتال والقرب منهم حتى يصير المقاتلان كل واحد منهما تحت سيف خصمه لحرصه على رفعه عليه، ولا يكون ذلك إلا عند التحام الصفوف، والضرب فوق الأعناق، وضرب كل بنان، وإن المطلوب هو الثبات والصبر في هذه الشدة عند نزول ساحة الوغى، حين يقبل الموت على المؤمن وهو ثابت فيكون مصيره الجنة.

وإذا حاولنا الكشف عن حاجية هذا المثل الكنائي، فإننا نجد له دورا فعالا في إبلاغ مضمون الرسالة للمتلقين في قالب جمالي كنائي إبداعي يثير النفس، ويجعل القارئ يتمثل هذه الصورة في مخيلته، فالرسول ﷺ يلوح إلى فضل الجهاد ويحث عليه وعلى الثبات عند الوغى والتحام الصفوف والسيوف، فحين يكون المقاتلون تحت ظلال هذه السيوف وفي شدة هذا الفرع فهناك تكون الجنة أقرب ما تكون بطبيعتها وخيراتها، وهذا الوصف الكنائي يجعل المؤمنين يمتثلون وبالتالي يسارعون إلى الجهاد في سبيل الله.

- قال رسول الله ﷺ : « يا أنجشة، رويدك "سوقك بالقوارير"».(3)

1- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، ص523.

2- فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، ج7، ص77.

3- المدونة، كتاب الأدب، باب من دعا صاحبه فنقص منه حرف، ص1170.

في هذا المثل كنى الرسول ﷺ عن السناء بالقوارير وذلك لرقتهن وضعفن عن الحركة وللطافتن وضعف بنيتن وسرعة تأثرهن وعدم تجلدهن فخاف عليهن من حيث السير بسرعة السقوط أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب، كما خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد الذي يحدو به الحادي أن يقع بقلوبهن منه، فأمره بالكف، وكناهن الرسول صلى الله عليه وسلم بالقوارير تشبيها لهن بقوارير الزجاج الرقيقة التي تحفظ وتسان بعناية لأنها قد تكسر مع أي ضربة، فأمر بالرفق والتمهل في سوق رحالهن.

- قال ﷺ: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». (1)

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث أن المولود يخلق سليم الفطرة ساذجا مهياً لما يلقي من خير أو من شر فينقله أبواه إلى دينهما بما يبثان في قلبه من ألوان العقيدة والسلوك، مثله في ذلك مثل البهيمة تولد مستجمعة الخلق سليمة القرن، كاملة الأعضاء، فيتناولها بالجدع أو الوسم صاحبها، فيغير وينقص ويشوه ما كان بريئاً من العيب. (2)

والشاهد قوله " يولد على الفطرة" وهي كناية عن النشأة الطيبة والعقيدة السليمة التي هي عقيدة التوحيد، وقد استعمل الرسول ﷺ هذه الكناية ليقنع الناس أن الطفل عندما يولد صفحة بيضاء، ووالداه هما اللذان يشكلان عقيدته وفق ما يريدان، وقد دعم كنيته هذه بمجموعة من الحجج: "أبواه يهودانه، أبواه ينصرانه، أبواه يمجسانه.

- قال ﷺ: « فَإِنَّكَ صَوَّابٌ يَوْسُفٌ». (3)

والمثال: كناية عن الكيد والخداع ومخالفة الباطن، ذلك أن السيدة عائشة رضي الله عنها خافت تشاؤم الناس من صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس في مرض النبي ﷺ، وقالت:

1- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله، ص 912.

2- ينظر: فتح الباري، كتاب الجنائز ما قيل في أولاد المشركين، ج 4، ص 166 وما بعدها.

3- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ص 629.

إنه رجل أسيف أي: رقيق بكاء، ولم يكن ذلك يخفي عن نور النبوة، ثم إن المقام جد كله فهو تشريع للتمهيد لخلافة أبي بكر رضي الله عنه.⁽¹⁾

والكناية هنا، لم تواجه السيدة عائشة بما تكره بل علمتها بطريقة مهذبة للصراحة وعدم المخادعة، فأتى بالتعبير كناية عن ذلك "كزليخا" أضافت النسوة وأظهرت إكرامهن، ولكن مرادها أن ينظرن جمال يوسف فيعذرنها في محبته، ثم هنا إيماء إلى الحب والخطأ والعفو الكريم.

- قال ﷺ : « لا يملأ جوف ابن آدم إلى التراب ».⁽²⁾

والمثل: كناية عن الطمع البشري، فهو حرص طماع لا يشبع، وبرهانه أنه لا يملأ جوفه إلا التراب، وهي كناية مؤثرة تصور النهاية مجسمة أمام الانسان ليرتدع ويقنع، ثم فيها الحكم النهائي على ابن آدم بهذا الطمع ضعفا يلزمه حتى الموت.

- قال ﷺ : « فنعم المرضعة ويئست الفاطمة ».⁽³⁾

وفي هذا المثل: كنى بالمرضعة عن الإمارة و الفاطمة عن الموت، فهنا كنايتان عن الإمارة، وكنى عنها بالمرضعة تدر لبنها، وتغذي وليدها، وتؤويه إلى صدرها فهو في متعة ونعيم، وكذلك الإمارة وما فيها من دنيا، فجاءت الكناية بالغة من دقة التصوير ولطف التحييل كل مبلغ، وتعبيره عن الثانية بالموت إنها كناية عن زوال الإمارة بموت أو سواه كما كانت الأولى كناية عن إقبالها، وهو المفهوم من قول الرضي: "أقام الإمارة في حلاوة أوائلها، ومرارة أواخرها، مقام المرضع التي تحسن الرضاع وتسيء الفطام، ثم يقول: لما في الخارج عنها من طرق السوء وشمات العدد".⁽⁴⁾

ولا يخفى كيف كان التجوز في خدمة الكناية التي اقتضاها الغرض تأكيدا وتصويرا وإيجازا تعليما وتخويفا من التهالك على الإمارة.

1- ينظر: فتح الباري، كتاب الآذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ج2، ص473.

2- المدونة، كتاب الرقاق، باب: ما يبقى من فتنة المال، ص1210.

3- المدونة، كتاب الأحكام، باب: ما يكره من الحرص على الإمارة، ص1331.

4- ينظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص182، 181.

وخلاصة القول يمكن أن ننبه إلى أننا وجدنا ما كان كناية عن صفة أكثر من غيره (موصوفا، نسبة)، ولعل ذلك راجع إلى أن المرء مجموع صفات تغييره بتغييرها، وكان الهدي النبوي ينفث في الانسان روحا، ويبدله خلقا آخر فلا جرم أن الكنايات عن صفات أكثر وأغزر وأبرز، سواء كناية عن صفة محمودة أو عن صفة غير محمودة، وقد أدت الكناية عن صفة دورها في الهدي النبوي ترهيبا أو ترغيبا مع قوة التصوير والتجسيم، ودقة التعبير، والإيحاء المثير، تركيزا في الإيجاز وقوة في التأكيد المدعم بالأغراض النبوية، وكل ذلك يجعلها كناية حجاجية بامتياز ساعدت في تأسيس الحجاج وأدت إلى الإقناع.

II-1-2 البديع:

يعتمد المرسل على علم البديع، وما فيه من محسنات بديعية في إقناع المتلقي بوجهة نظره إذ يخرج المحسن البديعي من دائرة الزخرفة إلى دائرة أوسع وهي الإقناع «إن محسنا بديعيا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتاد في علاقته الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالت المخاطب فإن المحسن البديعي يتم إدراكه باعتباره زخرفة أي باعتباره محسن أسلوب محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره من آدائه دور الإقناع»⁽¹⁾.

ومن أمثلة استعمالات البديع في الأمثال النبوية:

أ- الطباق:

« وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهما قد يكونان اسمين أو فعلين، أو حرفين، أو مختلفين، وهو ضربان: طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، وطباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا»⁽²⁾.

1- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص51.

2- سيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص303.

وجاء الطباق في المثل النبوي عذبا فطريا له دور في التراكيب صياغة ومعنى ملائما للأغراض معينة على ما تقتضيه المقامات، متحولا من مجرد محسن بديعي يستعمل لإمتاع المتلقي وإضفاء حسن وبهاء لشكل الخطاب إلى حجة لها تأثير وفعالية لدى المخاطب وتظهر حاجية هذا المحسن في الكثير من الأحاديث: ومن أمثله:

- قوله ﷺ: « لأبي موسى الأشعري ومعاذ لما بعثهما إلى اليمن: يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا». (1)

في هذا الحديث يوجه الرسول ﷺ إلى صفات لا بد من تحلي الداعي إلى الله بها، لا سيما إذا تعاون معه غيره لنجاح الدعوة، التيسير على الناس، وتبشيرهم وتطاوع الدعوة، وإن افتقدت صفة في الداعي انفض الناس من حوله وأخفق لذا كان التأكيد والتقرير هنا جد خطير يتطلبه المقام بالدعوة إلى الصفات أولا باعتبارها كحجج يمكن أن تحدث أثرا في نفس المرسل إليه، والنهي عن ضدها ثانيا، ثم جمع الحسن في مواجهة السيئ من الشيم عيانا أمام النظر والخيال ليعمل الترغيب في الأولى والتنفير عن أضرارها أثره المؤكد، السريع الباقي.

- قوله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا سقوا من الماء مروا على من فوقها فأذوهم، فقالوا: لو أنا خرقتنا في نصيبنا خرقتنا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا». (2)

ورد الطباق في هذا المثل في مجموعة من المواضع في قوله " القائم والواقع" وبين "أعلاها وأصلها"، و " وهلكوا ونجوا"، وقد جمع الرسول ﷺ بين لفظين متقابلين في المعنى كل

1- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى امامه، ص801.

2- المدونة، كتاب الشركة، باب: هل يفرع في القسمة والاستهام فيه، ص453.

مرة ليقنع المرسل إليه بإقامة حدود الله، وقد استعمل الطباقي -هنا- بوجهيه الزخرفي والحجائي معا.

- قوله ﷺ « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل مالك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». (1)

المثل يبين وضوح الحلال ووضوح الحرام وبينه عن الأمور المشتبهة بينهما التي لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام، فمن اتقى هذه المشتبهات وحذر منها استبرأ لدينه وعرضه، والمعنى أن الحلال حيث يخشى أن يؤول فعله مطلقا إلى مكروه أو محرم وجب اجتنابه، كالإكثار من الطيبات وفي الحديث أكثر من طباق فقد ورد بين اسمين "الحلال، والحرام" وبين فعلين "اتقى ووقع" "صلحت، فسدت" و"صلح، فسد"، استطاع الرسول ﷺ من خلاله إيضاح المعنى المقصود وتقويته ما شحن هذه المطابقات حججيا في تبين الحلال من الحرام واجتناب المشتبهات من الأمور، واقناع المرسل إليه الحذر منها والابتعاد عنها.

- قوله ﷺ : « حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعا وهات، ووأد البنات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». (2)

ورد الطباقي في قوله "منعا وهات" بين مصدر وفعل، ومعناه من "النهي منع ما أمر بإعطائه وطلب ما لا يستحق أخذه"، وقد يكون النهي عن السؤال مطلقا ويكون ذكره هنا مع ضده ثم أعيد تأكيدا للنهي عنه، وهو طباق إيجابي يضع المتلقي بين صورتين متضادتين (المنع والأخذ) وكلاهما محرم إذا أخذ من غير وجه حق.

1- المدونة، كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، ص371.

2- المدونة، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ص1136.

ب- المقابلة:

وهي نوع من الطباق بالجمع بين معنيين متوافقين أو أكثر ثم مقابلتها بأضدادها، وتكثر في البيان النبوي لدخولها في أغراض الدعوة بطريق مباشر، ذلك أن المتقابلات بطبيعتها تفرض نفسها في عالم المحسوس والمعقول والمتخيل، فكل أمر أو حالة له ضد مرغوب فيه أو عنه، بل إن الشيء الواحد تختلف فيه الحياة رفعا وخفضا وصلاحا وفسادا وخيرا وشرًا.⁽¹⁾

ونلاحظ أن المقابلة كالطباق قد تكون للإمام بأطراف المعنى استيعابا للحكم، أو تكون للتأكيد والتقرير الذي اقتضاه المقام.

ومن أمثلة المقابلة في الأمثال النبوية:

- قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل جواظ مستكبر».⁽²⁾

في المثل مقابلة شاملة بين أهل الجنة وأهل النار، وصفات النوع الأول: الضعف والتضعف والتواضع البالغ وإجابة الدعوة، والثاني غلظ القلب وكثرة التعالي والتكبر على الناس، والمتلقي يستشف من هذا القول الحجاجي ما يوحي إليه كل تضاد تحمله ثنائية من الثنائيات المذكورة بالمقارنة بينها، فيكون المتكلم قد حصره حلقين متناقضين: حقل الأخلاق الفاضلة في الدنيا وهم أهل الجنة وحقل الأخلاق المذمومة في الدنيا كذلك وهم أهل النار، وجمعهما معا: تأليف بين المتناقضات الحسية والنفسية لتؤتي المقابلة ثمرتها، والانتقال بالخيال من أهل الجنة المتخيلة إلى الحاضر في الدنيا ثم عودة الخيال في ومضة إلى الآخرة لتخيل النار وكل هذا المعنى ويقوي الصورة ترغيبا وترهيبا.

- ومن المقابلة قوله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».⁽³⁾

1- صباح عبيد دراز، السيمات البلاغية في بيان النبوة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2014م، ص410.

2- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: عتل بعد ذلك زنيم، ص951.

3- المدونة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة، ص616.

والمعنى « يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر و الصلاح و الفساد، وأن الخير من الناس يحن إلى شكله و الشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جلبت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت».(1)

ويستفاد من هذا المثل أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة بمن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك، ليسعى إلى إزالته حتى يتخلص من الوصف المذموم، وكذلك القول في عكسه.

- وقوله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغابت الشمس فقد أفطر الصائم».(2)

والمقابلة -هنا- بين إقبال الليل وإدبار النهار صورة فنية للحظة زمنية يتغير فيها الوجود، فتدبر آخر فلول النهار، وتقابل أولى طلوع الليل، وإن المقابلة هنا لتكاد تنطق سحرا مع المجاز الذي بعث الحركة والحياة في الليل والنهار، مع كشف الصورة كشفا يحقق الغرض التشريعي وهو تحديد وقت الإفطار للصائم.

ويتضح مما سبق أن المقابلة أدت دورها الحجاجي والبلاغي معا في البيان النبوي تبليغا وتأسيسا وتأكيدا، وخدمة لأغراض الدعوة المتنوعة، وقوة في المعاني والأغراض إذ تعد: «المقابلة والطباق من المحسنات البديعية التي تضي على الكلام رونقا وجمالا، وتعد كذلك حجة متوازية بين المتضادات فهي تقنية إقناعية».(3)

ج - التفريع:

«التفريع أو تقسيم الكل إلى أجزائه: وهو أن يذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه».(4)

1- فتح الباري ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة، ص545.

2- المدونة، كتاب الصوم، باب: متى يحل فطر الصائم، ص355.

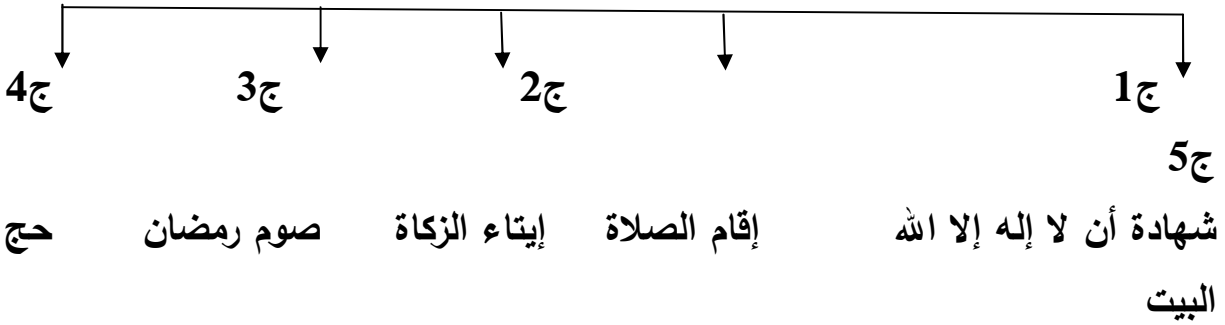
3- سليمة محفوظي، الحجاج في رسائل الجاحظ، دراسة تداولية حجاجية، مذكرة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة1، 2017/2016، ص306.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص494.

ومن أمثله:

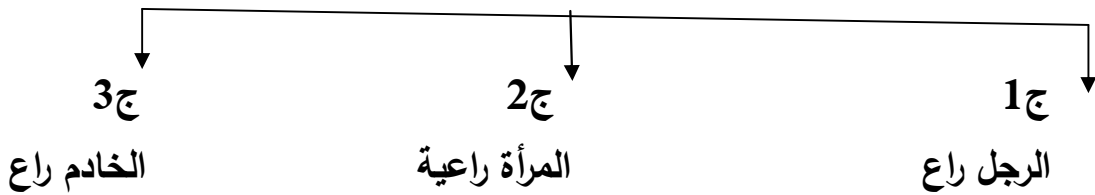
- قوله ﷺ : «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»⁽¹⁾.
طرح الرسول ﷺ في هذا الحديث قضية وهي "أسس بناء الإسلام" ثم جزأها إلى أجزاء، وكل جزء من هذه الأجزاء هو بمثابة حجة يدعم بها قضيته.

الإسلام



- قوله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في مال أبيه راع وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»⁽²⁾.
فالرسول ﷺ عرض قضية "كلكم راع ومسؤول عن رعيته" وهي القضية الإجمالية ثم فرعها إلى أجزاء كل منها حجة تدعم القضية الإجمالية، ويمكن تفصيل ذلك كما يلي:

القضية الكلية "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"



كل هذه الحجج داعمة لقضية الحديث ولو حذفنا إحداها ضعفت قوة الحديث وبالتالي تضعف قوة إقناعه.

1- المدونة، كتاب الايمان، باب: دعاؤكم إيمانكم، ص11.

2- المدونة، كتاب الاستقراض، باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ص436.

II-2 الآليات الحجاجية المنطقية :

العلاقات الخطابية التي يقوم عليها الخطاب الحجاجي تقوم على علاقة الدعوى أو النتيجة، ويشترط أن ترتبط النتيجة بمحتوى المقدمات، ويعتبر القياس من أهم الوسائل التي تبنى على هذا الأساس والقياس مثلما عرفه ابن سينا : « قول مؤلف من أقوال إذا وضعت عنها لذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها اضطرار».(1)

وينتج عن ترتيب المقدمات بالضرورة نتيجة خاضعة لمحتوى هذه المقدمات وهذا يعكس الارتباط الوثيق بين المقدمة والنتيجة.

وقد تذكر جميع أركان القياس " المقدمة الصغرى والكبرى والنتيجة " فيسمى قياسا كاملا وقد تضرر مقدمة من المقدمات الثلاث فيسمى قياسا مضمرا « والمقصود بالضمائر الأقيسة المنطقية التي أضمرنا بعض مقدماتها، ودعا إلى هذا الإضمار أسباب عديدة تتعلق بالتأثير الخطابي».(2)

ومن الأقيسة المتواترة نجد:

II-2-1 القياس المنطقي الكامل: « القياس المنطقي بنية أساسية في كل خطاب

حجاجي، ومن ثم يعيره الباحثون الاهتمام الأكبر، ولا يجب القياس إلا عن قول متقدم فيكون القياس نتيجة لذلك، كما لا يجب القياس عند المناطقة إلا عن مقدمتين إحداهما بالأخرى تعلق».(3)

ومن أمثلة القياس المنطقي:

- قوله ﷺ : «أما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».(4)

ويمكن تصوير القياس المنطقي في هذا الحديث على النحو التالي:

1- عمار زيوش، عدنان عبد القادر، الفلسفة، المعهد التربوي الوطني، العدد2، ص48.

2- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص462.

3- محمد العبد، النص في الخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعية، القاهرة، ط1، 2008، ص217،218.

4- المدونة، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ص7.

(المقدمة الكبرى)	←	كل الأعمال بالنيات
(المقدمة الصغرى)	←	لكل امرئ ما نوى
(النتيجة)	←	يجازي كل امرئ بما نوى

يكون هذا القياس من أقوال متعلقة ببعضها البعض تعلقا دلاليا منطقيا، ذلك أن المقدمة الصغرى جاءت منضوية تحت المقدمة الكبرى وجاءت النتيجة خاضعة لمضمون المقدمتين. ووظيفة القياس المنطقي في الخطاب الحجاجي هو الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب (المقدمات) إلى ما هو مشكل (النتائج).

ولا بد من مقدمتين: الأولى يجب أن تحتوي معنى كليا ثم مقدمة وسطى ثم النتيجة وما ثبت لكل فقد ثبت لكل واحد من جزئياته

يقول **وليم برانت**: « إذا لم يقبل المخاطب المقدمة الكبرى، كان الحجاج إذ ذاك سدى ». (1)

ومن أمثلة القياس المنطقي أيضا:

- قوله ﷺ: « ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله ». (2)

المقدمة الكبرى	←	(وجوب الحلف بالله تعالى)
المقدمة الصغرى	←	تحريم الحلف بغير الله
النتيجة	←	من حلف بغير الله فهو آثم

في هذه النماذج نلاحظ أن الرسول ﷺ قد عرض أقواله في شكل أقيسة منطقية، وعلى المخاطب أن يبذل جهدا لمعرفة الصلة بين الأقوال.

1- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص219.

2- المدونة، كتاب مناقب الانتصار، باب: أيام الجاهلية، ص708.

II-2-2 القياس المضمّر:

هو أحد أنواع القياس المنطقي « ومعياره هو أنه قياس محذوف المقدمة وهي عادة المقدمة الكبرى». (1)

ومن أمثلة هذا القياس في أمثال الرسول ﷺ :

- قوله ﷺ : « إذا لم تستح فافعل ما شئت » (2).

ويمكن عرض هذا القياس المضمّر في هذا المثل كما يلي:

المقدمة الكبرى (مضمرة) ← الحياء من الإيمان

المقدمة الصغرى (مذكورة) ← الحياء يمنع المعاصي

النتيجة (مضمرة) ← المؤمن لا يرتكب المعاصي

ولا يكون السبيل إلى معرفة المقدمة الكبرى إلا بالاستنباط، والحذف في هذا الحديث قد صير في الكلام طراوة وأكسبه رونقا وأعطاه حجة، في القياس المنطقي لا بد من قبول المخاطب للمقدمة الكبرى وإلا كان الحجاج عبثا، وفي القياس المضمّر يسلم جدلا تلك المقدمة. (3)

ومن أمثلة القياس أيضا:

- قوله ﷺ : « كل شراب أسكر فهو حرام ». (4)

ويمكن عرض هذا القول على القياس كالتالي:

المقدمة الكبرى: (مذكورة) ← كل شراب مسكر فهو حرام

المقدمة الصغرى: (مضمرة) ← البتّع مسكر

النتيجة (مضمرة) ← البتّع حرام.

من خلال هذه النماذج نلاحظ أن القياس المضمّر يستوجب حضورا يقظا للقارئ أو المستمع، بحيث يربط من سياق الحجاج ما هو موجود (مذكور) بما هو مضمّر (مقصور)

1- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص222.

2- المدونة، كتاب أحاديث الانبياء، ص651.

3- ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص225

4- المدونة، كتاب الأشربة، باب: الخمر من العسل وهو البتّع، ص1078.

وخاصة في اكتشاف المقدمات التي يبني بها المتكلم أقيسته، وحتى لا يسلم بما بني على ما يخالف معتقداته أو اهتماماته.

II-2-3 القياس بالخلف:

وهو من أنواع القياس ويعرف بأنه: « الذي تبين فيه المطلوب، من جهة تكذيب نقيضه، فيكون هو بالحقيقة مركبا من قياس اقتراني، وقياس انشائي»،⁽¹⁾ ويمكن تعريفه بأنه « إثبات المطلوب بإبطال نقيضه». ⁽²⁾

ومن أمثله قوله ﷺ لرجل استتكر أمر زوجته التي ولدت له مولودا لا يشابههما إذ كان أبيضين والولد اسودا، فقال له الرسول ﷺ : «هل لك من إبل، قال: نعم، قال: ما ألوانها؟، قال: حمر، قال: هل فيها من أورك؟ ، قال: نعم، قال: فأنى ذلك؟، قال: " لعل نزع عرق، قال : فلعل ابنك هذا نزعة». ⁽³⁾

وفي هذا القياس بين أن حكم الشيء حكم نظيرة، حيث قاس الرسول ﷺ للرجل حالته على ما هو شاهد محسوس.

II-2-1 القياس المتدرج:

القياس المتدرج -شأنه شأن القياس المنطقي- شكل من أشكال تحديد العلاقات المنطقية الدلالية بين الأقوال وما تعبر عنه من قضايا. ويعد القياس المتدرج امتدادا معقدا للتعليل القائم على القياس المنطقي، وذلك بأن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض، حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة. ومن أمثله:

1- طه السبعوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ص223.

2- طه السبعوي، المرجع نفسه، ص223.

3- المدونة، كتاب الطلاق، باب: إذا عرض لنفي الولد، ص1029.

- قوله ﷺ : «تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية».(1)

- . الناس معادن (أي أصول بعضهم نفيس خير وبعضهم خسيس شرير).
- . معادن الناس خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام.
- . الخيرة والشرف الإسلامي لا يكون إلا بالتفقه في الدين.
- . أشد الناس تفقها في الدين أشدهم كراهية للإمارة والولاية.
- . أشد الناس كراهية للإمارة خيرهم فيها.

نلاحظ في القياس المتدرج أنه عبارة عن قياسات عدة مترابطة هدفها إقناع السائل عن طريق عرض كل الخطوات التي توصله في النهاية إلى النتيجة، هذه الخطوات التي تكون بإنباء العناصر السابقة على اللاحقة وهكذا حتى الوصول إلى النتيجة.

ويشر وليم برانت: «إلا أن القياس المتدرج مهم جدا للحجاج، وذلك أنه يسمح للكاتب (المخاطب) بطرح خطوات واضحة تطبع حجاجه بطابع الهدوء، ولكنه الهدوء الذي لا يصل إلى الحركة البطيئة جدا، والتي تضيع على القارئ انتباهه...».(2)

واستعمل الرسول ﷺ الأقيسة لأنه كان يتجه بالحديث إلى مخاطب مميز ومتنوع المشارب، وهي وسيلة ناجحة لتحقيق الفائدة الإقناعية، كما توحى بنوع من الاطمئنان في النتائج لسلوكها طريقة منطقية في التقديم والاستنتاج.

1- المدونة، كتاب المناقب، باب: " يا أيها الناس ... إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، ص652.

2- محمد العبد، النص والخطاب والإتصال، ص228.

II-3 الآليات الحجاجية اللغوية والتداولية في أمثال صحيح البخاري:

II-3-1 الآليات اللغوية:

أ- التكرار:

التكرار أو ما يطلق عليه المعاودة من أبرز أساليب الحجاج اللغوية، إذ يعتمده المرسل لإثبات دعواه أو قضيته وللتكرار (أو ما يسمى أيضا بالترديد أو الترداد) وظائف خطابية عدة عبر عنها بالإفهام والإفصاح والكشف وتوليد الكلام والتشديد من أمره، وتقرير المعنى وإثباته.⁽¹⁾

فالتكرار ليس مجرد ألفاظ موضوعة في الخطاب أكثر من مرة « فليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلالة في البناء، ولكنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه». ⁽²⁾

وينقسم إلى تكرر ذي فائدة، وتكرر يأتي بغير فائدة، والذي يهمننا هو التكرار الذي يأتي بفائدة لأنه يسهم في تأكيد المعنى الذي يؤول إلى إقناع المتلقي، « واعلم أن المفيد من التكرار يأتي في الكلام تأكيدا له وتشبيها من أمره». ⁽³⁾

ويأتي التكرار في الجملة لغاية حجاجية، فتريد أي لفظة يؤدي إلى قبول الفكرة والافتناع بها، كما يساعد على التبليغ وإفهام القارئ، ويعين المخاطب على تثبيت الرأي أو الفكرة في العقل، فإذا دعم المحتج فكرته برهان أو حجة ما أدركت مراسيها واتضحت مقاصدها، ورسخت في ذهن المتلقي وإن أعده كسلسة حجاجية أقام تناغما بين أجزاء الخطاب وأكد الوحدة بين الأقسام أو أوهم القارئ بها.

1- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص231.

2- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص48.

3- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة للطباعة

والنشر، مصر، د.ط، د.ت، ص8

والتكرار ضربان: ضرب يرجع إلى اللفظ وضرب آخر إلى المعنى، يتمثل النوع الأول في إعادة اللفظة في ذاتها أكثر من مرة، بحيث يعد من فنون الكلام المصاحبة والمساعدة للنصوص والخطابات الحجاجية، ويعتبر داعما للحجج والبراهين لماله من وقع في القلوب، وبالذات في السياقات الخاصة، وتتحدد دلالات ومعاني التكرار اللفظي وفق سياقات خاصة بالمدح والثناء وسياق التعظيم والتهويل وكذلك سياق الوعيد والتهديد والعتاب (...)، أما النوع الثاني: فهو إعادة الحجة أو الدليل لا بلفظه بل بمعناه، فالمتكلم عند تقديمه الخطاب الحجاجي يقوم بتنويع الحجج والبراهين المعروضة في نص معين، ولكنه في حقيقة الأمر يستعيد ما ذكره، ويكرر ما استدل به فهو فاعل في المتلقي لخفائه، وعدم مقدرة المتلقي اكتشافه لأول وهلة.⁽¹⁾

- ومثال النوع الأول قوله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».⁽²⁾

الشاهد في هذا الحديث هو تكرير صدر الكلام وهو الجملة الاسمية (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) حيث تكرر ثلاث مرات، وفي شكل جمل شرطية جاء جواب كل منها جملة فعلية، فعلا فعل أمر مقترن بالفاء سدت مسد الخبر.

- وقوله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر».

والتقدير: من كان آمن، إلا أنه عدل إلى المضارع قصدا لاستمرار الإيمان وتجده بتجدد أمثاله وقفا فوقفا، والمراد: من كان يؤمن إيمانا كاملا، نظير ما مر عن الامتثال للأوامر الثلاثة كمال الإيمان لا حقيقته، أو هو محمول على المبالغة، أي تحصيلها وكرر هذا الشرط ثلاث مرات للاهتمام والاعتناء بكل خصلة مستقلة وتخصيص اليوم الآخر دون شيء من مكملات الإيمان بالله لأن رجاء الثواب وخشية العقاب راجعان إلى الإيمان باليوم

1- سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص168-172.

2- المدونة، كتاب الأدب، باب: إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ص1160.

الآخر فمن لا يعتقد قلمًا يرتدع عن شر، ويقبل على خير، فيكون له دخل في امتثال الأوامر الثلاثة»⁽¹⁾.

والترسيمة التالية توضح ذلك:

(جواب الشرط)

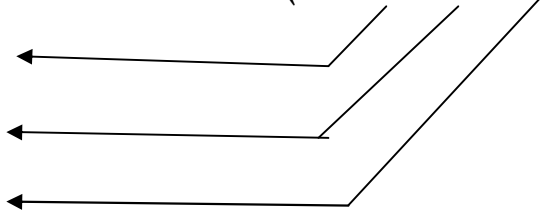
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
(جملة شرط، صدر الكلام

مكررة ثلاث مرات)

فليقل خيرا أو ليصمت (الكلام الطيب)

فليكرم جاره (الإحسان إلى الجار)

فليكرم ضيفه (إكرام الضيف) .



لا يأتي التكرار إلا لغاية حجاجية، وقد ذكر التكرار في هذا الخطاب أمام ثلاث قضايا أساسية تكون أخلاقيات المجتمع وهي: (الإحسان إلى الجار، إكرام الضيف، الكلام الطيب)، فتكرار الجملة السابقة دلت على أهمية تلك القضايا جميعا، وقد استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم لأن المقام يتطلب ذلك، ويحتاج إلى توكيدها لدى المتلقين لترسخ في أذهانهم.

والتكرار هنا فيه حث على الأعمال ورأينا كيف صدر هذا الخطاب بالشرط ليأتي بعد ذلك، وكان يمكن الاستغناء عن تكرير الشرط والاكتفاء بإيراد جوابه فقط، لكنه ﷺ عدل عن ذلك وكرر صدر الكلام لغرض الاهتمام والاعتناء بكل خصلة من الخصال المذكورة في جواب الشرط لما لذلك من الأهمية الكبرى، ويشمل القضايا الأساسية التي يريد أن يحث الناس عليها فكانت القضية الأولى والثانية متعلقين بحقوق الناس (الجار والضيف) فتحرير أذى الجار سواء بالقول أو بالعمل، كذلك إكرام الضيف والإحسان إليه بكل ما نملك ماديا ومعنويا ثم تأتي القضية الثالثة، وتتعلق بخلق المسلم، وهو كل ما يتلفظ به حيث يشمل ما ينطق به اللسان وما يتعدى نفعه إلى الغير ومما يقتصر نفعه على صاحبه.

1- حسين عبد الجليل يوسف، إعراب الأربعة حديثا النووي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2008،

والتكرار حجة معتمدة للتأكيد ومن مقاصدها التأثير والإقناع وهذا ما حققه هذا الخطاب التربوي، فالمبلغ اتخذه وسيلة تربوية لإبلاغ مقاصد مهمة وضرورية في حياة المتلقين.
أما النوع الثاني من التكرار - المعنى دون اللفظ - فنجد في قوله ﷺ: « يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا». (1)

في هذا الحديث أكد عليه الصلاة والسلام على الناس أن يسلكوا ما فيه بيسر وسهولة سواء تعلق بالأعمال والمعاملات مع الآخرين، وأن لا يسلكوا طرق العسر في عباداتهم ولا معاملاتهم، وأن يبشروا ويجعلوا طريقهم دائما البشارة، وألا ينفروا الناس من الأعمال الصالحة، ولقد أدى التكرار بالمعنى دون اللفظ وظيفة إقناعية إضافة إلى وظيفة التأكيد على هذه الأعمال، « ولم يكن التكرار في الحديث النبوي ناجما عن فقر لغوي، ولا عن عجز في التعبير، وإنما كان مقصودا متعمدا ليحمل جزءا من المعنى المراد، و كان وسيلة من وسائل الدعوة وطريقة من طرائقها يستعمله النبي ﷺ إذا وجد ضرورة لذلك». (2)

وبشكل عام كان النبي ﷺ يسعى لإقناع المتلقي و الجمهور مؤكدا على أسلوب التكرار بطريقة تفسيرية. (3)

ب- الأساليب الإنشائية:

لبناء وإنتاج نص حاجي لا بد من توظيف آليات وأدوات وأساليب تساعد على حسن عرض الأفكار وتوجيه موضوع الخطاب، وتكوين نص منسجم، وتعد الأساليب الإنشائية الطلبية من بين هذه الآليات التي يستخدمها المتكلم كشواهد وحجج لأغراض عديدة لطرح رأي أو الدفاع عن أطروحة... الخ.

1- المدونة، كتاب العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ص26.

2- أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 1-2، 2010، ص100.

3- عباس إقبالي، أساليب الإقناع في الحديث النبوي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 4، العدد 1

2020، ص 33. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/108045.33>

ومن بين هذه الأساليب:

- **الاستفهام:** «الاستفهام آلية حجاجية ترتبط بوقوع إستعمال اللغة، غنية بالقيم التداولية، يصبح المخاطب من خلالها شريكا في صناعة الخطاب، عن طريق بحثه عن الإجابات المحتملة، والتي تكون حجة محتملة في الغالب، أراد من خلالها صانع الخطاب من المخاطب أن يصل إليها»⁽¹⁾ فالاستفهام ما هو إلا «استعلام ما في ضمير المخاطب»⁽²⁾ والاستفهام طلب شيء لم يكن معلوما من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته وهي: الهمزة، هل، ما، من، متى، أيان، كيف، أين، أنى، كم، أي.⁽³⁾ وإن الأصل في الاستفهام هو طلب الفهم وقد يشوبه معنى الإنكار أو الاستبعاد أو التهكم وغيرها من المعاني البلاغية، وعندما تشوبه هذه المعاني يكون المغزى الأساس تنبيه المخاطب إلى موضع الأفكار فيرتدع وينزجر، ويقنع عما أنكر أو إلى موضع الإقرار فيقر به ويثبت، أو إلى موضع الاستبعاد فينتبه لبعده واستحالة وقوعه.

ومن الاستفهام في أحاديث المثل، قوله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنة شيء؟»، قالوا: لا يبقى من درنة شيء، قال: **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».⁽⁴⁾

بدأ ﷺ الحديث بقوله "أرأيتم" ودخول الهمزة على فعل الرؤية يفيد التنبيه لأن المراد طلب الإخبار المترتب على الرؤية، فالمعنى: أخبروني لو ثبت أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، وتتكبير (النهر) هنا وإيثار التعبير به دون "البحر" يدل على عظمة وصفاء مائه وعذوبته، ثم يسأل ﷺ مقرأ إياهم: "هل يبقى من درنة شيء؟"، فيقولون أنه لا

1- عفاف بورزق، حجاجية حجاجية المنجز الكلامي في لامية الامير عبد القادر، مجلة حوليات الآداب واللغات،

المجلد 5، العدد 12، 2018، ص 92. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/100644>

2- لجرجاني (الشريف علي بن محمد) كتاب التعريفات، مع فهرست تعريفات ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية جمعت من الكتب اللغوية والفقهية والفلسفية، ورتب على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، مكتبة لبنان ناشرون ط، 200ص1.

3- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط10، ج3، 1995، ص88.

4- المدونة، كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة، ص110.

يبقى من درنة شيء، وبعد هذا التنبيه وذلك التشويق يأتي قوله ﷺ : "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو بهن الله الخطايا"، فيثبت هذا المعنى في الأذهان ويقر في وجدان المخاطبين، لأنه جاء بعد تهيئتهم لتلقيه، وتشويقهم لمعرفته، والشيء إذا جاء بعد تمهيد له وتقديم، وبعد تهيئة وتشويق يكون أوقع في النفس وأثبت.

والمعنى الذي شوق إليه النبي ﷺ من الأهمية بمكان إنه بيان فضل الصلوات الخمس والحث على أدائها في أوقاتها، فمن حافظ عليها كانت له نورا ونجاة وبرهاننا، وتطهرا من الذنوب والخطايا، فصار مثله في الطهر والنقاء مثل ذلك الرجل الذي يغتسل من نهر أمام بابه خمس مرات كل يوم فلا يبقى بجسده من درنة شيء.

ومن الاستفهام الوارد في الحديث قوله ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، فجلس وكان متكئا وقال: ألا وقول الزور، قال فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»⁽¹⁾.

يتجلى لنا الاستفهام في هذا الحديث في بدايته "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" وقد نبه المخاطبين لتلقي المعاني المذكورة فعندما يكرر الاستفهام بقوله "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" ثلاثا تنتبه الأذهان وتتطلع النفوس وتشتاق إلى معرفة أكبر الكبائر، فإذا ما أخبر بها ﷺ بعد ذلك وقال: "الإشراك بالله وعقوق الوالدين...وقول الزور وشهادة الزور" ترسخت هذه المعاني في النفوس التي هيئت لتلقيها.

ونلاحظ شدة المبالغة في التحذير من قول الزور وشهادة الزور، وترجع تلك الشدة إلى جلوسه ﷺ قبل أن يخبر بها وقد كان متكئا، إنه لم يجلس عند الإخبار بالشرك وعقوق الوالدين، ثم جلس عند الإخبار بقول الزور ولشاهد الزور.

كما ترجع المبالغة في التحذير من قول الزور وشهادته إلى تكرار النبي صلى الله عليه وسلم للإخبار بهما، لقد ظل يكرر هذه العبارة "ألا وقول الزور وشهادة الزور" حتى قال الصحابة: "ليته سكت" تمنوا سكوته ﷺ إشفاقا عليه من كثرة التكرار وشدة الانفعال.

1- المدونة ، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ص472.

ونرجع أيضا إلى تصدير الإخبار عنهما بأداة التنبيه "ألا" دون الخبرين السابقين "الإشراك بالله وعقوق الوالدين"، فهي حرف استفتاح يؤتى به لتنبيه المخاطب من غفلته حتى يتجه لسماع ما يلقي فيقر في قلبه، ولذا لا يؤتى بها إلا في الأمور المهمة.

ولا تعني المبالغة في التحذير من قول الزور وشهادة الزور التهوين من شأن الإشراك بالله وعقوق الوالدين، لأن تلك المبالغة قد اقتضتها غفلة الناس عن خطر قول الزور وشهادة الزور، وقوله: "وجلس وكان متكئا". "يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعا على الناس، والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرها فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعاً، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالباً".⁽¹⁾

- ومن الاستفهام في الحديث النبوي قوله ﷺ: « ألا أخبركم بأهل الجنة؟: " كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره" " ألا أخبركم بأهل النار؟: " كل عتل، جواظ، مستكبر".⁽²⁾

هذه الاستفهامات هيأت وشوقت لمعرفة أهل الجنة وصفاتهم أهل النار وصفاتهم، وترسخت في أذهان السامعين واشتدت رغبتهم وقوي حرصهم على التحلي بصفات أهل الجنة وتجنب واعتزال صفات أصحاب النار.

إذن لأسلوب الاستفهام دور أساسي كبير، لأنه يعمل على جلب السامع أو المتلقي في عملية الحجاج بآلية أو طريقة تداولية، فقد أتاح الاستفهام للمتكلم مجالاً حجاجياً بلاغياً ذا طابع تداولي استطاع به أن يرسى ويوصل قصده التبليغي للمخاطب أو القارئ.

كما أن الدلالات التي يخرج إليها الاستفهام كالتشويق والتقريب والتحذير... الخ لها طاقة حجاجية وتوجيهية قوية تخدم النص الخطابي، وتفهم القارئ وتؤثر عليه وتتمكن من ذهنه

1- فتح الباري، كتاب الشهادات، ياب ما قيل في شهادة الزور، ج6، ص472.

2- المدونة، كتاب تفسير القرآن، باب: عتل بعد ذلك زنيماً، ص951.

حيث يقول "بيرلمان وتيتيكا" على التوجيه الاستفهامي: «صيغة التوجيه الاستفهامية نمط ذو أهمية بلاغية رفيعة إن السؤال يفترض وجود أمر يستند إليه ويوحي بأن هناك اتفاقاً على وجود هذا الأمر». (1)

• **الأمر** : الأمر أسلوب من الأساليب الإنشائية ويعرفه العلوي بأنه: « صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء» (2)، إذ « ينبغي أن يكون المتكلم في وضع يخول له الأمر وأن يتصف بما يجعله آمراً لمخاطبه ويوجه إليه الأمر». (3)

ويعد الأمر من أكثر الأساليب التي يستعملها المرسل في الإستراتيجية التوجيهية، وهناك أدوات كثيرة لإنجاز الأمر بشرط توفر السلطة وتوجه المنفعة تجاه المرسل، ومن صيغته: " افعل و لتفعل" واسم الأمر واسم الفاعل والمضارع المسبوق باللام... وغيرها. (4) وقد يخرج الأمر من معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سباق الكلام كالدعاء والإرشاد... وغيرها.

- ويكثر في المدونة مجيء الأمر من الرسول ﷺ بقصد التعليم وبيان الأحكام.
- كثر الأمر في المدونة وجاء غالباً بقصد التعليم وبيان الأحكام.
ولأسلوب الأمر وظيفة أساسية في العملية التداولية ودور مهم في المعنى الحجاجي إذ يرسخه في نفس المتلقي.

1- عزيز لدية، نظرية الحجاج، تطبيق على نشر ابن زيدون، عالم الكتب الحديث، إريد ، الأردن، ط1، 2015، ص107.

2- ينظر: قيس اسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد، د.ط، 1988، ص83.

3- عفاف بورزق ، حجاجية حجاجية المنجز الكلامي في لامية الامير عبد القادر ، مجلة حوليات الآداب واللغات،

المجلد 5، العدد 12، 2018، ص 93. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/100644>

4- ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص243.

ومما ورد بصيغة فعل الأمر في الأمثال النبوية:

- قوله ﷺ: « **اتقوا النار ولو بشق تمرة**». (1)

وفيه يحث الرسول ﷺ أصحابه على التصدق ولو بقليل الصدقة لأنها ستر من النار لذلك أمرهم أن يتقوا النار ولو بشق تمرة.

كما أمر الرسول ﷺ أصحابه باتقاء دعوة المظلوم وفيه حث وإرشاد للابتعاد عن ظلم الناس، وبين سبب ذلك وعظمتها، فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، فهي دعوة مستجابة

- فقال ﷺ: « **اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**». (2)

كما يبين لأصحابه كيفية أداء الصدقات وممن تكون في نموذج أمري آخر وهو:

- قوله ﷺ: « **خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وإبدأ بمن تعول**». (3)

ومعناه أن أفضل الصدقة ما وقع من غير محتاج إلى ما يتصدق به لنفسه أو لمن تلزمه صدقته، أي أفضل الصدقة ما أخرجته الإنسان من ماله بعد أن يستبقي منه قدر الكفاية لذلك قال بعده " **وابدأ بمن تعول**".

- ويذكر عن عثمان أن الرسول ﷺ قال له: « **إذا بعث فكل وإذا ابتعت فاكتل**». (4)

وهو في هذا المثل الأمري يعلمه أحكام البيع والشراء، والمعنى "إذا بعث فكل" أي فوف "وإذا ابتعت فاكتل" أي فاستوف، أي إذا أخذت أو أعطيت لا تزدد ولا تنقص.

وتكتسب الأحاديث الأمرية قوة حاجية وفعالية تأثيرية في توجيه المعنى المقصود للمرسل إليه، وترك وقع في نفسه مع إقناعه واستمالة ذهنه والامتثال لهذه الأوامر والإرشادات.

1- المدونة، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ص263.

2- المدونة، كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ، ص445.

3- المدونة، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ص265.

4- المدونة، كتاب البيوع، باب الكيل على البائع والمعطي، ص384.

ومما ورد فيه الأمر بلام الأمر والمضارع:

- قوله ﷺ: « من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه». (1)
- وقوله ﷺ: « ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا». (2)
- وقوله ﷺ: « فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة أو بكلمة طيبة». (3)

في الحديث الأول يحثهم الرسول ﷺ بصلة الأرحام، وفي الحديث الثاني بإفشاء العلم والجلوس في مجالسه حتى من لا يعلم وينشر العلم ولا يهلك، وفي الحديث الثالث يأمرهم باتقاء النار بالصدقة ولو بقليلها.

واعتمد الرسول ﷺ الأمر كثيرا في أحاديثه « كون الأمر من المعاني المجازية وهو فعل كلام يؤدي أغراضا خطابية ووظائف تواصلية معينة يحكمه مبدأ "الغرض" أو "القصد" الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب». (4)

• **النهي**: وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وصيغته واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية. (5)

ومن الأمثلة على النهي باستعمال الحرف "لا" الذي يسبق الفعل المضارع:

- قوله ﷺ: « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا». (6)

ويعد استعمال الرسول ﷺ النهي في هذا المثال دليلا صريحا على حرصه على أن يبلغ قصده التوجيهي إلى أصحابه، وأن يفهموا حرصه الشديد على التقيد بهذه الوصايا وعدم مخالفتها إذ لا تحتمل تأويلا غير معناها الحرفي.

1- المدونة، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، ص374.

2- المدونة، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، ج1، ص32.

3- المدونة، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، ص263.

4- عبد الجليل الشعراوي، آليات الحجاج القرآني، ص181.

5- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الانشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م، ص155.

6- المدونة، كتاب الأدب، باب: "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن"، ص1149.

المعروف أنه يستعمل النهي لتوجيه المخاطب والغائب، وذلك عند استعمال الحرف "لا" لأنه "يقع على فعل الشاهد والغائب"، كما يستعمل كثيرا في الخطابات العامة،⁽¹⁾ كقوله ﷺ: «لا تلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد».⁽²⁾ وفيه نهى الرسول ﷺ عن تلقي الركبان لبيع سلعهم، كما نهى عليه الصلاة والسلام أن يبيع حاضر لباد* أي ملاقة القادمين السلع».⁽³⁾ وقد يستعمل المرسل لا الناهية مع نون التوكيد في الفعل المضارع مثل:

- قوله ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة».⁽⁴⁾

وهو يستعمل الصيغة السابقة مع زيادة نون التوكيد، وذلك مؤثر تداولي على أن النهي هنا يعلو درجة في الخطابات السابقة، لأن فيه تأكيدا والتأكيد كان نتيجة لمعرفة المرسل إليه وبعناصر السياق جيدا، «..يا نساء المسلمات..»، وحاصله لأن فيه اختصارا لأن المخاطبين يعرفون المراد منه، أي لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئا ولو أنها تهدي لها مالا ينتفع به في الغالب، ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء أمر بضده وهو كناية عن التحابب والتواد، فكأنه قال لتودد الجارة لجارتها بهدية ولو حقرت فيتساوى في ذلك الغني والفقير وخص النهي بالنساء لأنهن موارد المودة والبغضاء ولأنهن أسرع انفعالا في كل منهما، ويحتمل أن يكون النهي للمعطية ويحتمل أن يكون للمهدي إليها ويمكن حمله على المعنيين».⁽⁵⁾

وأسلوب النهي بحسب ما سماه سيرل "الانجاز البسيط" يخرج في مواضع عدة من هذا المعنى الحرفي بحسب ما يقتضيه الساق و يلتزمه المقام فينجم عنه انجازات مختلفة.⁽⁶⁾ والنهي بقيمة ومنزلة الأمر يرسخ المعنى في نفس المخاطب، ويوجه سلوكه ويغير معتقده.

1- الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص350.

2- المدونة، كتاب البيوع، باب: هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، ص388.

3- فتح الباري، كتاب البيوع، باب: هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، ج5، ص584.

*قال الشيخ ابن باز: سواء بأجر أو بغير أجر لا يجوز، ينظر فتح الباري، كتاب البيوع، ج5، ص587.

4- المدونة، كتاب الأدب، باب: لا تحقرن جارة لجارتها، ص1142.

5- ينظر: فتح الباري، كتاب الأدب، باب: لا تحقرن جارة لجارتها، ج13، ص472.

6- عبد الجليل الشعراوي، آليات الحجاج القرآني، ص216.

II-3-2 التقنيات التداولية:

أ- الروابط الحجاجية: Les connecteur argumentatif

الروابط الحجاجية من القرائن الحجاجية الموجودة بكثرة في اللغة العربية شأنها في ذلك شأن باقي اللغات الطبيعية وهي التي: "تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسدن لكل قول دورا محددًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة".⁽¹⁾

وللروابط الحجاجية وظيفتان:

• الربط بين وحدتين دلالتين فأكثر.

• خدمة الدور الحجاجي للوحدات الدلالية التي تربط بينهما.

ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: لكن، حتى، الواو، الفاء، ثم، أما، إذن، كي، لأن... الخ، وسأحاول التطرق إلى بعض منها مبينة دورها في العملية الحجاجية:

1- **الرابط الحجاجي (لكن)** : " هي للاستدراك وتوسطها بين كلامين متغايرين نفيًا

وإيجابًا فستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي".⁽²⁾

" وحضورها في موضع معين من الخطاب يظهر أن هناك خلافا ويؤكد فكرة التناقض"⁽³⁾، يعني أن " لكن" تدخل في حجتين متناقضتين فهي إذا توسطت دليلين بوصفها رابطًا حجاجيًا جعلت الذي وراءها أقوى من الدليل الذي سبقها، وبذلك تكون الحجة التي تليها أقوى حجاجيًا من الحجة التي تسبقها، فتقوم بتوجيه النتيجة في الواجهة التي تثبتتها الحجة الثانية، وتوجه الحديث برمته وتكون هي النتيجة المقصودة من طرف المتكلم أو المحتج،⁽⁴⁾ فهي تأتي في خدمة النتيجة التي يسعى المتكلم لإثباتها.

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص26.

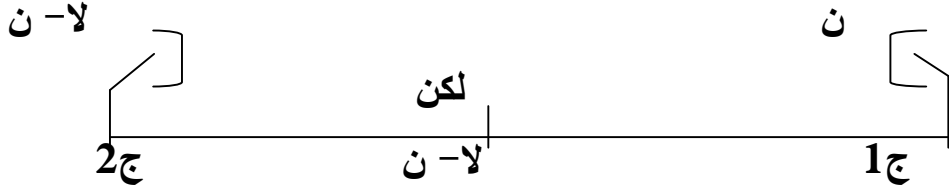
2- أبو البقاء بن يعيش الموصلي، شرح المفضل للزمخشري، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج4، 2001م، ص560.

3- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص374.

4- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص317.

ويمكن توضيح العلاقة الحجاجية كما يلي:

- إن المتكلم يقدم قول "أ" والقول "أ" كحجتين توجه الحجة الأولى نحو نتيجة معينة "ن" وتوجه الحجة الثانية نحو النتيجة المضادة لها "لان".
- إن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى في توجيه القول أو خطاب برمته، ويمكن توضيح العلاقة الحجاجية بالرسم البياني:



حيث ج1: الحجة الأولى

ج2: الحجة الثانية المضادة للأولى

ن: نتيجة الحجة الأولى.

لا-ن: النتيجة المضادة للنتيجة "ن".(1)

وقد ورد الرابط (لكن) في أمثال الرسول ﷺ في الأمثلة التالية:

- قال ﷺ : «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل إذا قطعت رحمه وصلها».(2)

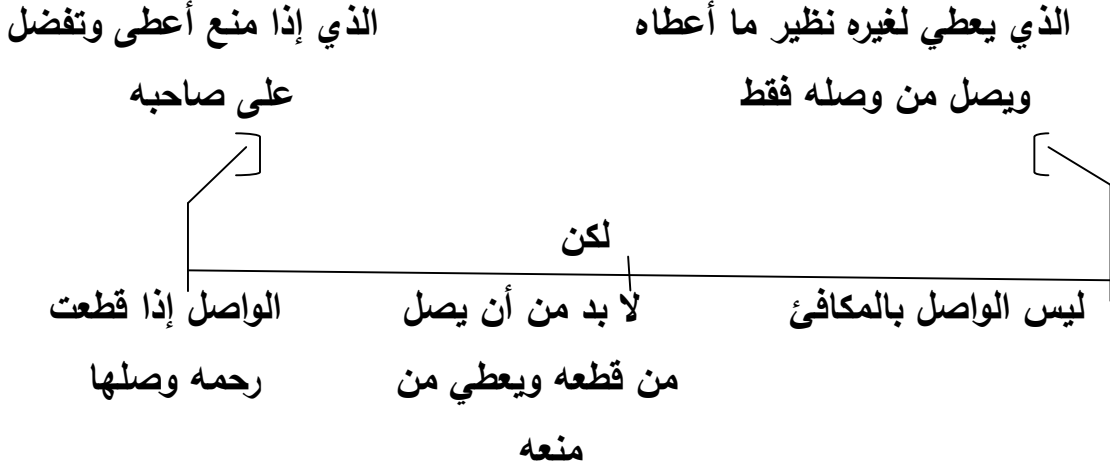
نلاحظ أن ما يقدم الرابط هو الحجة المتمثلة في "ليس الواصل بالمكافئ"، أي الذي يعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير أو الذي يصل من وصله وما يتلوه فهو "الواصل إذا قطعت رحمه وصلها"، أي الذي إذا منع أعطى أي ليست حقيقة الواصل من يكافئ صاحبه بمثل فعله ولكنه من يتفضل على صاحبه.

والحجة التي تلت الرابط هي الحجة التي اكتسبت قوة أكبر من الحجة الأولى باعتبارها النتيجة المضادة لها، فالجزء الأول خدم الجزء الذي يأتي بعد الرابط لأنه تضمن حجة خدمت نتيجة مضادة للنتيجة الأولى، ولقد كان للرابط الحجاجي "لكن" وظيفة مهمة حيث

1- فتح الباري، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، ج3، ص443.

2- المدونة، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، ص1138.

ربط بين قولين متفاوتين قوة، فكانت الحجة الثانية أكثر وأقوى حجية من الأولى لأنها النتيجة المعاكسة، وهذا ما يوضحه الرسم البياني التالي:



- ومثله قوله ﷺ: « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا». (1)

تمثل الحجة الأولى في قوله "لا هجرة بعد الفتح" أي بعد فتح مكة، قال الخطابي: « كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة». (2)

أما ما جاء بعد الرابط فقوله "جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا"، والمعنى " أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت، إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم والفرار بالعلم من الفتن...، وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه». (3)

وهي الحجة الثانية واكتسبت قوة أكبر من الحجة الأولى باعتبارها النتيجة المضادة لها، ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي:

- 1- المدونة، كتاب الجهاد والسير، باب: وجوب التفسير وما يجب من الجهاد والنية، ص525.
- 2- فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب: وجوب التفسير وما يجب من الجهاد والنية، ج7، ص83.
- 3- فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب: وجوب التفسير وما يجب من الجهاد والنية، ج7، ص84.

لا هجرة للمدينة بعد

فتح مكة ن

لا- ن (الهجرة بسبب الجهاد والعلم

باقية)

(مفارقة الوطن

إلى المدينة)

لكن

ج2: جهاد ونية واستنفار

لا- ن

ج1: لا هجرة بعد الفتح

الهجرة بسبب الجهاد

والنية الصالحة باقية

نلاحظ أن الحجة الثانية أكثر حجية من الأولى لأنها النتيجة المعاكسة.

2- حروف العطف: (الواو-ثم- الفاء)

إن حروف العطف لها قيمة حاجية كبيرة، فبالإضافة إلى ربطها بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة، ووصفها سلما حاجيا ترتب فيه هذه الحجج حسب قوتها، فإنها تسهم أيضا في بداعة المعنى المقصود وخاصة إذا استعمل كل حرف، واستغلت وظيفته في الموضع المناسب فذلك يزيد الإثبات على المعنى من جهة، ويلقي على الخطاب نوعا من التنظيم والانسجام من جهة أخرى.

• الرابط الحاجي "الواو":

ويعتبر من أهم الروابط الحاجية له وظيفة تكمن في الربط بين الملفوظات التي تحمل طاقة حاجية، وتعمل على تقويتها من أجل الوصول إلى نتيجة معينة، « ويستعمل الواو حاجيا وذلك بترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا، بل وتتجاوز ذلك إلى الترتيب العمودي». (1)

1- ينظر، الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص472.

ومن أمثلته في الحديث النبوي الشريف :

- قوله ﷺ : « ليس منا من لطم الخدود و شق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».(1)

حيث وصل الرابط الحجاجي "الواو" في هذا المثال بين الحجج التالية: "لطم الخدود" "شق الجيوب"، "دعا بدعوى الجاهلية"، ما جعل جميع هذه الحجج مترابطة ومتسقة ضمن السياق الذي وردت فيه هذه العلاقات الحجاجية، ولا يوجد بينها انفصال لأن كل حجة تزيد من قوة الحجة الأخرى للحصول على النتيجة وهذه القضايا والحجج تبين نتيجة وثبتها وهي أن من لطم خذه وشق ثيابه ودعا بدعوى الجاهلية تبرأ منه الرسول صلى الله عليه وسلم أي هو ليس من أهل سنته وطريقته وليس من المؤمنين الصادقين الصابرين على ما أصابهم. وتبدأ هذه الحجج من الحجة الأقل قوة إلى الحجة الأقوى.

ق2	- الدعاء بدعوى الجاهلية (الحجة الأقوى)	
	(و)	
ق1	- شق الجيوب	ن: ليس منا
	(و)	
ق	- لطم الخدود (الحجة الأقل قوة)	

والحجة الأقوى في هذا السلم: ق2 لأن لطم الخدود يأتي بعده شق الجيوب أقوى منه ثم دعوى الجاهلية لأنها من الأمور التي تخرج من الملة، وتبعد عن الدين وبالتالي اعتبرت أقوى حجة.

• الرابط الحجاجي "أو":

حرف عطف ومذهب الجمهور أنها تشترك في الإعراب لا في المعنى لأنك إذا قلت قام زيدا أو عمرو، فالفعل واقع بين أحدهما، وقال ابن مالك: « إنها تشترك في الإعراب

1- المدونة، كتاب الجنائز، باب: ليس منا من شق الجيوب، ص239.

والمعنى لأن ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء لأجله ولهذا الرابط معاني منها: الشك، والإفهام والتخيير والتفسير والإبانة»⁽¹⁾.

يقوم الرابط "أو" بالفصل بين الحجج، ويمكن التمثيل عليه:

- بقوله ﷺ: « لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع»⁽²⁾.

فصل الرابط الحجاجي "أو" بين حجة: "ينكح" وحجة "يدع" حيث أفاد "التخيير" في هذا المثال لأن المخاطب لا يستطيع الجمع بين الحجتين بل هو مخير بين واحدة من الحجج فقط، فعمل الرابط الحجاجي "أو" على خلق علاقة حجاجية بين مقصدية المتكلم وحججه، ومن خلال هذه الحجج التي تتقدم الرابط وتتلوه في هذا السياق نستطيع استنباط دلالة الحكم الشرعي المتمثل في تحريم الخطبة على خطبة شخص آخر، بل ينتظر حتى ينكح: أي حتى يتزوج الخاطب الأول فيحصل اليأس المحض أو "يترك" أي الخاطب الأول التزويج فيجوز حينئذ للثاني الخطبة فالغايتمان مختلفتان: الأولى ترجع إلى اليأس والثانية ترجع إلى الرجاء.

• الرابط الحجاجي "ثم":

حرف عطف يلعب دورا مهما في تقديم الحجج فهو « يفيد التشريك بين المتعاطفين والترتيب مع التراخي»⁽³⁾ فهو يقوم بترتيب الحجج أو الجمع بين قضيتين متباعدتين (التراخي).

ومن أمثله في الحديث الشريف:

- قوله ﷺ: « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»⁽⁴⁾.

1- المرادي الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص288.

2- المدونة، كتاب النكاح، باب: لا يخطب على خطبة أخيه، ص1000.

3- علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزغبى، المعجم الوافي في النحو العربي، دار الجيل، بيروت، ودار الآفاق الجديدة، المغرب، د.ت، ص132.

4- المدونة، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: فضل النبي ﷺ، ص676.

ربطت ثم بين أزمنة متباعدة قرن رسول ﷺ وقرن التابعين وقرن اتباع التابعين ثم زمن قوم لا يعتد بشهادتهم وإيمانهم حيث يفشوا فيهم الكذب والصفات الذميمة، حيث أفادت ثم تراخي في ربطها بين هذه القضايا أي بعد مدة زمنية طويلة.

ويكون هذا الرابط فعالاً في الخطاب، وتجعله أكثر إقناعاً وأقوى حجاً.

• الربط الحجاجي "الفاء":

وتكون على وجهين: الأول: حرف العطف والثاني: واقعة في الجواب، « والفاء العاطفة هي من الحروف التي تشترك في الإعراب و الحكم ومعناها: التعقيب فإذا قلت: قام زيد فعمرو دلت على أن قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة، فتشارك "ثم" في إفادة الترتيب وتفارقها في أنها تفيد الاتصال». (1)

وهي من الروابط الحجاجية تعمل على إيصال الحجج بعضها ببعض مثلها مثل "الواو" كما تقوم بوظيفة الترتيب للحصول على نتيجة معينة وهي إقناع المتلقي بفحوى الخطاب. (2) ومن أمثلة الفاء العاطفة :

- قوله ﷺ : « مثلي ومثل ما بعثني الله كمثلي رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعيني وإنني أنا النذير العريان فالنجاه النجاه فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلم فنجوا، وكذبت طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم». (3)

للفاء وظيفة حجاجية بارزة في هذا المثال حيث عملت على إيصال الحجج بعضها ببعض فربطت بين إنني أنا النذير العريان، وأطاعته، وأدلجوا، ونجوا، وكذا بين الحجج، كذبت، صباحهم، إجتاحهم، وقد زاد الرابط الحجاجي "الفاء" من الطاقة الحجاجية لطرح المتكلم إذ جاءت حججه مرتبة و مرتبطة فيما بينها، تبلغ رسالة ما تكون كنتيجة للعلاقات الحجاجية الجزئية وهي من يطع الرسول ﷺ ينجو ويفوز ومن يعصه يهلك ويخسر.

1- المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، ص61.

2- ينظر، الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص472.

3- المدونة، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ص1217.

II-3-3 أفعال الكلام في المثل النبوي:

سنحاول التطرق إلى جانب آخر من جوانب التداولية، وهي أفعال الكلام من خلال الأمثال النبوية والتي سنتناولها وفق تصنيف كل من أوستن و سيرل، وسنمثل بمثال واحد عن كل صنف مع قليل من الشرح والتحليل:

أ- عند أوستن :

● **الحكميات :** ومثالها قوله ﷺ : « **الدين النصيحة** »⁽¹⁾، وهي جملة اسمية تقريرية تكونت من مبتدأ وخبر، مما أدى إلى طرح الموضوع بأسلوب تقريرى موجز وغالبا ما يتصف كلامه عليه الصلاة والسلام بالإيجاز وقوة الإقناع وحسن الإشارة وعمق الدلالة، فجاءت ألفاظه منتقاة واضحة التركيب غير متكلفة تتفد إلى الأعماق تحمل المعنى الكثير في اللفظ القليل، وقد وصف الجاحظ كلامه عليه الصلاة والسلام فقال: « هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف »⁽²⁾.

● **الانفاديات:** ومثالها قوله ﷺ : « **ولا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا** »⁽³⁾.

إن أول ما يمكن ملاحظته على هذا الحديث، هو غلبة أسلوبى النهي والنفي، وهذا يدل على طغيان الأسلوب الإنشائي، والجمل الفعلية.

سنحاول فيما يلي استخراج الأفعال التي ساهمت في بناء الحديث :

" تحاسدوا، تناجشوا، تباغضوا، تدابروا، كونوا، يظلم، يخذل، يكذب، يحقره، يحقر، وفيما يلي أزمنة هذه الأفعال فهي كالاتي:

1- المدونة، كتاب الايمان، باب : قول النبي ﷺ الدين النصيحة، ص22.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، ص12، 13.

3- المدونة، كتاب الادب، باب : ما ينهى عنه من التحساد والتدابر، ص1149.

الماضي	المضارع	الأمر
/	تحاسدوا، تناجشوا ، تباغضوا،	كونوا

نلاحظ من خلال الجدول البياني في حضور الأفعال حيث انعدم الماضي وبلغت الأفعال المضارعة ثلاثة أفعال و الأمرية فعلا واحدا.

إن التنوع في الأفعال يؤدي إلى التنوع في الأغراض من التأكيد إلى التقرير إلى الأمر، وهذا يوحي بنوع من المنطقية في التعامل من النفس البشرية من أجل إقناعها، فاعتماد الخطاب النبوي على أكثر غرض واحد، يعني أنه ليس خطابا مفروضا على العقل والوجدان، بل يترك للمخاطب فرصة التفكير والاستدلال والاستقراء والاستنباط، وبالتالي فهذا التنوع في الأغراض هو من الآليات الإستراتيجية التي اعتمدها الرسول عليه الصلاة والسلام والتي تمثل في جوهرها تقنيات حجاجية تقوم على حمل المخاطب على الاذعان والافتناع.

وما يلفت الانتباه في هذا الحديث كثرة الأفعال المضارعة، وجاء ورودها لينهي عن مجموعة من الأفعال السيئة التي ينهى عنها ديننا الحنيف، ولعل في ذلك إشارة لما كان عليه الإنسان من حقيقة جاهلية، وقد كشف هاذ التوظيف عن نظرة الرسول صلى الله عليه وسلم المستقبلية التي حاول من خلالها إثارة المستقبل وهدم ما خلفه الماضي من مخلفات في أذهان الناس ليبنى على أنقاضه مستقبلا جديدا ينير حياة الانسانية وينظمها وفقا لميزان الشرع.

فالرسول ﷺ لأراد أن يقطع الصلة بسلبيات هذا الماضي أو الحاضر طلبا للمستقبل وإيجابياته وعدم التهاون والسرعة في تلبية النداء، من خلال التأكيد على هذا النهي في قوله: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا، لا تباغضوا، لا تدابروا" فالتأكيد هنا جاء لينهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم الأحكام والضوابط الشرعية - الخاصة بالمعاملات- للمتلقي وفرض حقيقتها عليه من خلال أداة النهي "لا" باعتبارها مسلمات ومقتضيات غير قابلة مبدئيا

للنقاش والمجادلة رغم أنها في صميم النقاش والجدل الدائر بين الرسول صلى الله عليه وسلم وخصومه.

1. **جملة الأمر:** كما وردت جملة الأمر مرة واحدة، وذلك لأن المقام لا يتسع لإلقاء الأوامر لأن الرسول ﷺ كان منشغلا بالنهي أي التشريع وأما التفاته للأمر فكان لجلب الأسماع ولفت الانتباه.

جاءت هذه الجملة تحمل معنى الأمر الصريح ليراد به الامتثال للطلب والالتزام به، وقد حملت هذه الجملة (كونوا عباد الله إخوانا) معنى النصح والإرشاد لأجل إيصال الرسالة إلى السامعين وإقناعهم بفحواها.

ولعل الانتقال من الجملة الناهية إلى الجملة الأمرية فيه تسلسل منطقي له قيمة حاجية بيّنة، توحى بقدرة المرسل على التأثير في المتلقي وإقناعه بطرق يسيرة بعيدة عن التكلف.

لذلك تعتبر الأساليب الإنشائية (الأفعال الإنجازية) من أهم الوسائل التداولية التي تتوسطها اللغة « لتثير الرغبة و الإحساس وهي صالحة للتأثير في العامة في مجال الوعظ والإرشاد»⁽¹⁾ ليصبح النص بأكمله يؤدي وظيفة أساسية، من خلال جملة الوظائف التي تؤديها هذه الأساليب ضمن البناء العام للنص، ليتحول إلى فعل لغوي واحد وهو طلب التغيير أو الانتقال بالمتلقي من حالة إلى أخرى.

لذلك فإن تحليل أي نص وفق نظرية أفعال الكلام يجعلنا نهتم بالوظائف التي تؤديها العبارات اللغوية والنصوص ضمن بناء لغوي معين يتحول من خلال شكله ومضمونه إلى فعل كلامي يؤدي وظيفة معينة، أي أن الدراسة التداولية تقوم على أساس تفسير النصوص كأفعال كلامية أو سلسلة أفعال كلامية وخير مثال على ذلك الأساليب الإنشائية.

فهذه الصيغ تعبر عن اللغة الحوارية والمشاركة الوجدانية بين المرسل والمتلقي وقد أثمرت هذه الصيغة عن التفاعل العميق بين الطرفين متمثلا في سرعة استجابة المخاطبين

1- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1996م، ص20.

للأوامر، ومن هنا يلجأ المتكلم إلى توظيف مثل هذه الأساليب ليعت في النص « حياة وحركة، ويمنحه أسباب القدرة على الإقناع والإمتاع، فيستهوي المستمعين ويجعلهم أكثر تفاعلا مع الهدف المنشود». (1)

أما فيم يخص فعل الأمر "كونوا" فقد جاء لغرض طربي بحت، وهو طلب الرسول ﷺ من المسلمين أن يكونوا إخوانا، وقد وُظف الأمر هنا لأن المقام يتطلب ذلك حتى يلفت انتباه المتلقي ويجعله على اتصال وثيق بما يقول، وكذلك للتأكيد على أهمية ما يقول أي أهمية الامر الذي يريده من المسلمين أما إذا انتقلنا إلى أهم الجمل والمتواليات الفعلية التي تكون الحديث فإننا ستجدها تتباين وتختلف بين الأمر والنهي والطلب، كما يلي:

نوع الجملة	المثال في الحديث	عددها
جملة الأمر	كونوا عباد الله إخوانا	01
جملة النهي	لا تحاسدوا، لا تتاجشوا، لا تباغضوا، لا تدابروا	04
جملة النفي	لا يظلمه، لا يخذله، لا يكذبه، لا يحقره	04

3- **جملة النهي:** تكررت هذه الجملة في الحديث، واختلفت دلالتها، فقد كان الرسول ﷺ ينهى عن جملة من الأمور يراها مهلكة لأمته إن تفشت واستفحل داؤها.

وجاء النهي دالا على التحذير والتنبيه مع النصح والإرشاد كما في قوله " لا تحاسدوا، لا تتاجشوا، لا تباغضوا..." داعيا في الآن ذاته إلى تبني جملة من القيم وتحويلها إلى أفعال ومواقف.

يظهر هذا من خلال هذه التعابير والأساليب لفت انتباه المرسل إليه والتأثير فيه من خلال انتباهه بوسائل معينة، وحمله على التركيز والاهتمام بما يقال، فقد حاول الرسول ﷺ تحقيق الإقناع بواسطة قوى أفعال الكلام الإنشائية من خلال العبارات وما تحققه بدورها من

1- محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1996، ص120.

آثار ونتائج مهما كانت صفتها فإن إيقاعها يبقى إقناع الآخر، ليس من باب إحداث الغلبة لطرف على حساب الآخر ولكن من اجل الحوار والتواصل.

على هذا النحو تنتهي إلى أمر هام يتمثل في قدرة الأفعال على معاضدة الحجاج ومساندة المرسل في سعيه إلى الإقناع والحمل على الإذعان تماما كبقية الأساليب الإنشائية من تمن ودعاء وقسم واستفهام لأن أسلوب النهي نابض بالإثارة، قادر على تحريك الوجدان وإحداث ما ينشد المرسل تحقيقه في المتلقي من تأثير وانفعال.

• **الوعديات :** ومثالها قوله ﷺ : «من اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه».(1)

وهو عبارة عن جملة شرطية خبرية وهي بمثابة الحجة التي تقدم لإقناع المتلقي كلما حصلت فائدة الخبر "جواب الشرط" والتي ترتبط بمن يوجه إليه الكلام حين يكون جاهلا لحكمه ولمضمونه، فيراد من ورائه إعلامه بأشياء يجهلها.

والعلاقة بين الشرط وجوابه قائمة على الارتباط السببي لأن الجواب حاصل من الشرط، واعتماد أسلوب الشرط باعتباره عملية حجاجية مؤثرة وفعالة، وهو وسيلة جذابة للآخر لأنه يضمن بقاءه معك، وهو من الناحية النفسية يبعث على الثقة.

• **السلوكيات :** ومثالها قوله ﷺ : « أعيرته بأمه؟! "إنك امرؤ فيك جاهلية»،(2) تكون الحديث من جملتين: إحداهما فعلية استفهامية والأخرى اسمية خبرية مؤكدة.

ولأسلوب الاستفهام دور أساسي لأنه يعمل على جلب السامع أو المتلقي ويوصل له قصده التبليغي، وهو أسلوب إنشائي وغرضه هنا التعجب من هذا الفعل "أعيرته بأمه؟! " خاصة وأنه صدر عن واحد من أفاضل الصحابة "أبو در الغفاري" الذي كان على درجة رفيعة من الإيمان وقد حمل هذا الأسلوب بين طياته: النصح والإرشاد والتعليم أي فيه دعوة للتخلي عن هذه الخصلة الجاهلية لأنها خصلة ذميمة.

1- المدونة، كتاب الايمان، باب : فضل من استبرأ لدينه، ص21.

2- المدونة، كتاب الايمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية لا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ص16.

ولأسلوب الاستفهام طاقة حجاجية هامة تنتمي إلى صنف الأقوال التي فيها انجاز الأفعال معينة، ولكنه انجاز ضمنى، لأن الاستفهام التعجبي يحمل بين طياته معنى الدعوة، وبالتالي تبدو صلته بالحجاج وثيقة لأنه يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين.

وكذلك أسلوب التأكيد مشحون بالإقناع والتأثير وهذا غاية ما يرمي إليه المرسل أي التأثير في الآخرين، « يستخدمه المتكلم لتثبيت شيء ما في نفس المخاطب وإزالة ما علق بها من شكوك وإماطة ما خالجه من شبهات».(1)

وفيما يخص ألفاظ الحديث فهي واضحة ومألوفة، وينضاف إلى ذلك الإيجاز حيث اعتمد الرسول ﷺ جملا قصيرة تحمل بين طياتها معان دقيقة، وهي سمة غالبية على كل أحاديث الرسول ﷺ، فهو نبي الله عز وجل الذي اختصه بأحسن البيان ليبلغ دينه ودعوته من أيسر السبل، وجعل له الحديث مختصرا ليكون قريبا إلى الفهم، وفي متناول جميع المسلمين، وقد ورد في الحديث النبوي « مجموعة من المفردات والكلمات مشحونة بقوة تعبيرية نتج عنها أثارا نفسية قوية على المتلقي وتأتي هذه المفردات ذات البعد الحجاجي لاستمالة المتلقي والتأثير فيه بغية حمله على الاذعان لهذه الاطروحات».(2)

• **التبينيّات : ومثالها قوله ﷺ : «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان».**(3)

المتواليات الكلامية في هذا الحديث	
1- بني الإسلام على خمس	2- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
3- إقام الصلاة	4- إيتاء الزكاة
5- حج البيت	6- صوم رمضان.

1- ذكور نزيهة، غلبوس صالح ، قضايا التداولية في التراث العربي ، أفعال الكلام أنموذجا ، مجلة العمدة العدد 5 ، 2018، ص 118. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/68358>

2- بودليمي صلاح الدين، الأبعاد الحجاجية لمعجم الكلمات و الألفاظ القرآنية ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 4، العدد 3 ، 2020، ص 120. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/117181>

3- المدونة، كتاب الايمان، باب: دعاؤكم إيمانكم، ص11.

تبدأ المتوالية الأولى بفعل مبني للمجهول يفيد الإخبار والتقرير، وتبدأ المتواليات الخمس الأخرى بمصدر يفيد الأمر، بحيث يمكن تعويضه بفعل مضارع مسبوق ب "أن" المصدرية فيصبح: أن تصوم، أن تقيم، أن تحج، أن تؤتي، أن تشهد، وهذه أفعال تحمل معنى الأمر.

لقد ابتداء هذا الحديث بجملة خبرية خالية من أدوات التوكيد حيث يريد الرسول ﷺ إخبار المتلقي أن الإسلام مبني على خمسة دعائم على سبيل التقرير، وبالتالي جاء الخطاب على أساس أن المتلقي خالي الذهن من هذا الأمر، وبعد ذكره لا ينبغي الإنكار، ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيا وهو ينسجم مع منطق التلقي الذي يقتضي تحقق قانون الإفادة باعتباره الوسيلة المنطقية التي تسبق الأوامر.

وعليه فأسلوب الحديث ترواح بين الخبر والإنشاء استجابة لمعاني التقرير والطلب، سواء تعلق الأمر بالخبر أو الإنشاء فإن قوة أفعال الكلام تكمن في الأثر الذي يتولد من القول، والذي يلقي بظلاله على نفسية المتلقي، ومن هنا فإن الإقناع في هذا السياق يتوقف على الدور الذي تؤديه قوانين الخطاب (خاصة الإخبارية والإفادة) في تحديد دلالات الأقوال.

وقد ارتأيت عرض أفعال الكلام كما جاء بها "سيرل" أيضا من خلال الأمثال القياسية أيضا والتي وضعها هو الآخر في خمسة أصناف يمكن أن نمثل عليها بالأمثلة التالية:

ب- عند سيرل :

- الإخباريات: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: « يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ » قال ﷺ: « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول». (1)

1- المدونة، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، ص7.

2. الأفعال الواردة في الحديث:

المضارع	الماضي
يأتيني، يفصم، يتمثل، يكلمني، أعي، يقول	وعيت، قال

يغلب على أفعال الحديث الفعل المضارع ثم الماضي وقد خلت من فعل الأمر، ووجود الأفعال يدل على الحركية والحيوية، كما تدل الأفعال الماضية على التقرير والأفعال المضارعة على الحال والاستقبال.

إلا أن الأفعال بكل أصنافها ذات أبعاد تداولية فلها قوة متضمنة في القول، كما يقول "سيرل": « أي ملأ اللفظ بقوة انجازية معينة، والقوة التعبيرية هي الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعدا أو تهديدا أو التماسا أو تقريرا...»⁽¹⁾.

وهذا ما نلمسه من الأفعال الآتية "يأتيني، يفصم، يكلمني.."، فالفعل القضوي يعبر عن تلك الحركية التي يقوم بها الرسول ﷺ من تألم وعناء وتحمل ووعي لما يحدث له أثناء تلقيه الوحي.

أما القوة المضمنة في هذه الأفعال فهي انجاز هذه الأعمال (تألم، تحمل، وعي) ولولا ذلك لما استطاع مواصلة تقبل الوحي، ولما تمكن من تبليغ الرسالة.

أما المتواليات الجميلة فإن الجمل التقريرية هي الأوفر حضورا "يأتيني مثل صلصة الجرس، يفصم علي، وقد وعيت، يتمثل لي فيكلمني، فأعي ما يقول" ونتوصل إلى أن الغرض من هذا إخبار الرسول ﷺ كل متلقي كيفية بدء نزول الوحي عليه وقيمة التحلي بالصبر، وتحمل الآلام والمعاناة والحالة النفسية التي أحسها وعاشها.

• توجيهيات : ومثاله قوله ﷺ : « سيخرج قوم من آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما

1- محمد مفتاح، الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، دار التنوير، بيروت، د.ط، د.ت، ص140.

يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم
القيامة»⁽¹⁾.

الأفعال الواردة في المثل:

الماضي	المضارع	الأمر
قتل، لقيتموهم	سيخرج، يقولون، يمرقون، يمرق	اقتلوهم

أما على مستوى الجمل نجد:

الجمل الخبرية أو التقريرية	الجمل الإنشائية
<ul style="list-style-type: none"> - سيخرج قوم من آخر الزمان - يقولون من قول خير البرية - يمرقون من الدين كما يمرق السهم 	اقتلوهم

كما نجد في المثل أسلوب التأكيد ب "أن" المشددة "فإن في قتلهم أجرا"، وذلك لتأكيد الأمر وهو قتل هؤلاء مقابل الأجر والثواب.

ونجد الحديث جاء وفق تراتبية فالرسول ﷺ اتبع أسلوب التدرج فبدأ الحديث بقول عام (سيخرج قوم في آخر زمان) ثم أخذ يعطي مواصفات هؤلاء القوم، ولهذا الترتيب بعد تداولي وهو محاولة إقناع السامع وحمله على القيام بالأمر (القتل) وذلك وفقا لإرادته طبعاً بعد إقامة الحجة عليهم.

وقد استعمل الرسول ﷺ لتحقيق الغرض الإنجازي من الحديث أسلوب التشبيه والتمثيل، فشبّه هؤلاء القوم في تلاعبهم بما جاء به خير البرية بالسهم الخارج من الرمية بكل سهولة وبساطة وسرعة، لذلك ختم حديثه بتأكيد عقوبة القتل مقابل الأجر والثواب لمن قام بالحد.

1- المدونة، كتاب فضائل القرآن، باب: من رأى بقرأة القرآن، ص 985.

• الوعديّات: ومثاله قوله ﷺ: « من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليها، ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط». (1)

الأفعال الواردة في هذا الحديث:

المضارع	الماضي
يصلي، يفرغ، يرجع، يرجع، تدفن	اتبع، صلى، رجع، كان

إذن تراوحت أفعال هذا الحديث بين الماضي الهادف للإخبار والتقرير والمضارع الهادف للحركية والحيوية.

أما على مستوى الجمل فقد تضمن جمل الشرط المتمثلة في:

- من اتبع جنازة مسلم... فإنه يرجع من الأجر بقيراطين.

- ومن صلى عليها ثم رجع... فإنه يرجع بقيراط.

وأسلوب الشرط المستعمل في هذا الخطاب، حضوره يستدعي حضور البعد التداولي، وذلك من خلال وجود شرط العمل وجوابه، المتمثل في الثواب الذي يستلزمه القيام بهذا العمل.

هذا وقد أغرى الله عباده للإقبال على هذا العمل باعتماد أسلوب التشبيه كوسيلة من وسائل الإقناع للوصول وبلوغ الهدف المنشود الذي يطمح إليه العباد ألا وهو الجزاء والعطاء من رب العباد.

أما المحتوى القضوي تمثل في الالتزام بالثواب في المستقبل ويكون بالأجر، فكل إنسان يجازى بقدر عمله، أما عن الغرض التداولي الذي أنجزه الحديث فهو حث وتحريض العباد على إتباع الجنائز (جنائز المسلمين) لما فيه من جزاء من الله ولما ينجر عنه من توحيد للصفوف وتدعيم لروابط الأخوة والمحبة.

1- المدونة، كتاب الإيمان، باب إتباع الجنائز من الإيمان، ص 19

- **التعبيريات:** قال ﷺ: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار». (1)
- الأفعال الواردة في هذا الحديث:

المضارع	الماضي
يكون، يحب، يكره، يعود، يقذف	وجد

يغلب على الحديث الفعل المضارع الدال على الحركية.

ومما يلاحظ على الحديث أن رسول الله ﷺ بدأ خطابه بمجمل ثم فصله ووضع إبهامه، (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) فالسامع لهذه المقدمة التشويقية يدفعه إلى التساؤل. والملاحظ في الأسلوب المتبع في شرح وتفصيل ما جاء مجملا في بدايته أنه استعمل الحرف "أن" ذات النون الخفيفة والتي يأتي بعدها غالبا فعل يقين.

والأفعال التي جاءت في الجمل بعد "أن" كلها تعبر عن المشاعر من حب وكره، فمن أدرك هذه المشاعر تذوق طعم الإيمان حلاوته.

فهذه الأفعال قد حققت الغرض الإنجازي المتمثل في حسن التعبير عن حالات نفسية متنوعة تختلج نفس الإنسان، فالمؤمن الصادق في إيمانه يظهر من خلال انفعالاته المختلفة.

والهدف التداولي التي تضمنه الحديث يتجلى في محاولة الوصول إلى درجة عالية من الإيمان وتذوق الحلاوة.

- **الإعلانيات:** ومثاله الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته، قال: " أحسبه قال هنية فقلت: " بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟" قال: " أقول: اللهم باعد بيني وبين

1- المدونة، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ص 13.

خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء و الثلج والبرد»⁽¹⁾.

. وردت في الحديث الأفعال التالية:

الماضي	المضارع	الأمر
قال، قلت، باعدت	يسكت، تقول، أقول، ينقى	باعد، نقني، اغسل

حيث أفاد الماضي التقرير والإخبار والمضارع الحركية أما الأمر ففيها التماس وطلب وعاء من الرسول ﷺ لتقبل طلباته.

أما الجمل فتغلب عليها الأساليب الإنشائية :

- القسم: في: بأبي وأمي

- النداء: يا رسول الله، استعمل "يا" لنداء البعيد وغرضه التحبب بذكره.

- الأمر: باعد بيني وبين خطاياي، نقني من الخطايا، اغسل خطاياي وغرضها الدعاء.

- الاستفهام: ما تقول؟ لطلب الفهم والمعرفة.

كما استعمل النص أسلوب الحوار الذي يعتبر وسيلة من وسائل طلب المعرفة والمدارك، كما استعان ببعض التشبيهات الحسية لتقريب الحقائق والمعاني.

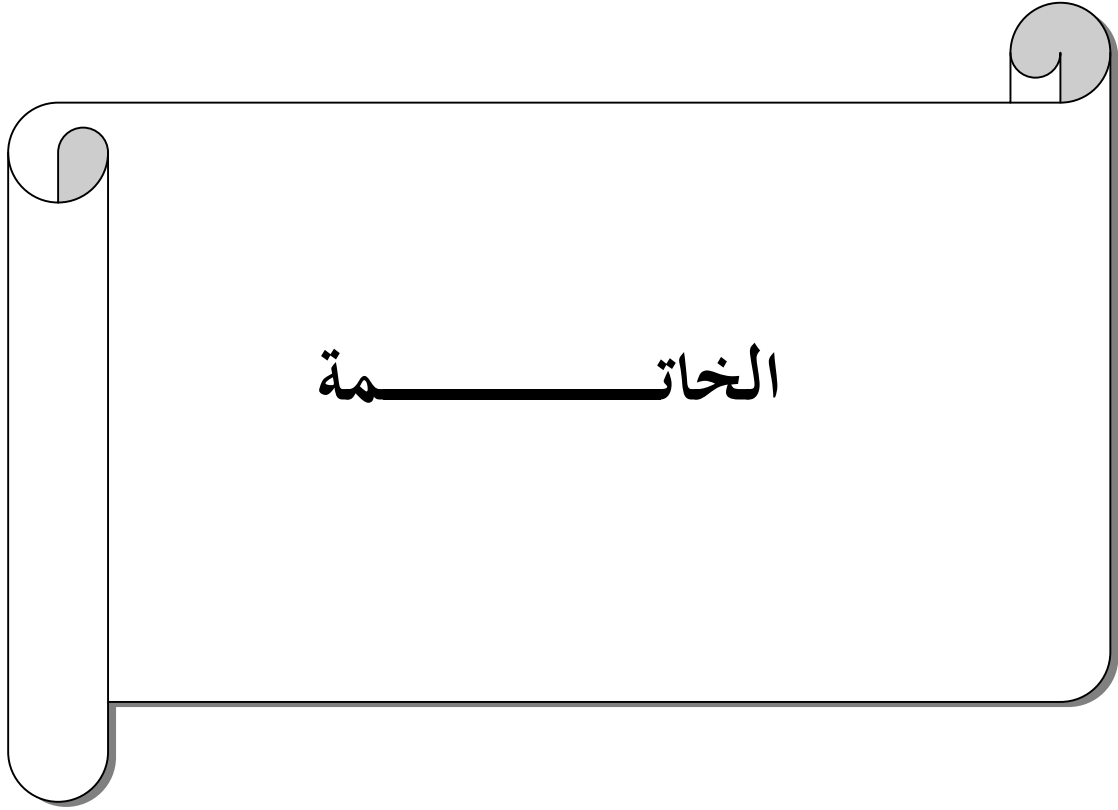
والملاحظ أن بين كل لفظة وأخرى وجود نوع من المفارقة والتضاد (المشرق، المغرب)، أما قوله: " أقول: اللهم... " ففيه إعلان عن القيام بفعل معين وقول معين، وبهذا يكون الرسول ﷺ من خلال إعلانه عن قوله هذا قد علمنا طريقة من طرق الدعاء، وذلك بين التكبير والقراءة وهذا هو الهدف التداولي الذي يرمي إليه الحديث.

وفي جميع أقواله ﷺ لا يحتاج إلى شرط الإخلاص فهو الصادق الأمين.

وتمتاز أمثاله ﷺ آية من آيات الله ومدرسة للتربية والارشاد ومشكاة نورانية للهداية و الاستبصار، وإيقاظ هم المخاطب وبعث كوامن نفسه واستنهاض مشاعره مهما كان نوعها.⁽²⁾

1- المدونة، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، ص 143.

2- أم كلثوم حويشي، مرداسي جودي ، تجليات الدلالة الإيحائية في الامثال القصصية في القرآن الكريم ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد 5، 2018م، ص 51. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/68352>.



إلى هنا يكون هذا البحث قد استوفى فصوله ومباحثه -بفضل الله وعونه- وقد رصدنا
النتائج التالية:

- تعرضنا في المدخل إلى مفهوم النص والخطاب والتداولية، وقد تنوعت دلالتهم في كثير من الحقول المعرفية، وكل هذه المفاهيم تخدم غاية واحدة هي محاولة التأثير ووصول المتكلم إلى هدفه التبليغي
- ارتبط المفهوم العربي للنص بثلاث معان أساسية، حيث انتقل المعنى من الدلالة الحسية كالسير الشديد إلى الدلالة على أمر معنوي كالسؤال على الشيء، ثم إلى الدلالة الاصطلاحية كالإسناد في علم الحديث، في حين نجد أن مفهوم النص عند الغربيين ارتبط أساسا بمعنى النسيج في المجال الصناعي، حيث عد النص نسيجا من الكلمات يرتبط بعضها ببعض.
- أما الخطاب فإنه يمثل وحدة تواصلية إيلاعية، ناتجة عن مخاطب معين موجهة إلى مخاطب معين في سياق معين، وهو تواصل لساني ينظر إليه كإجراء بين المتكلم والمخاطب، كما أنه يتنوع بتنوع الطرق التي يتخذها المتكلمون أو الكتاب، وذلك حسب مواقف اجتماعية وثقافية محددة فتنتج بذلك أنواع كثيرة من الخطابات مثل الخطاب الديني والعلمي والسياسي.
- يذهب أغلب المنظرين إلى أنه لا توجد حدود فاصلة بين مصطلحي النص والخطاب، إذ نجد تداخلا كبيرا بينهما يصل إلى حد الترادف، غير أن هناك من اعتبر أن النص بنية في مقابل كون الخطاب موقفا، كما أن النص في العادة مرتبط بالكتابة، والخطاب في الأصل كلام منطوق أضف إلى ذلك تميز الخطاب بالطول، وذلك أنه في جوهره حوار أو مبادلة كلامية، أما النص فيقصر حتى يكون كلمة مفردة، ويطول حتى يصبح مدونة كاملة.
- إن التدالية بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية، كسياق الحال، وغرض الكلام وإفادة السامع، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، ومفهوم الأفعال الكلامية، يمكن أن تكون أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتى مناحيه، ومفتاحا من مفاتيح فهمه، بشرط أن نختبر مفاهيمها حتى نتأكد من كفايتها الوصفية والتفسيرية لدراسة ظواهر اللغة العربية.

- لقد تجاوزت التداولية المفاهيم اللسانية التقليدية التي تبنت دراسة اللغة كنظام لساني يدرس في ذاته ولذاته، إلى دراستها كنظام للتواصل الفعال ممثلاً في دراسة أفعال الكلام، وأشكال الإقناع، وشروط تحقيق الخطاب الإقناعي والحجاجي وتحليل مختلف الخطابات مركزة على المقام الذي تحدث فيه تلك الخطابات وعلاقة العلامات اللغوية وغير اللغوية بمستعملها، إذ تنطلق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً.
- الأمثال لون من ألوان الأدب، امتاز بسرعة التصوير ودقة الأداء وإحكام العبارة، وتناسق الألفاظ، والإحاطة بالموضوع فهي في ذروة الإعجاز الفني.
- الأمثال النبوية لون من ألوان الهداية ترشد الخلق إلى الحق، وتبعدهم عن الباطل، فلها دور هام في خدمة الدعوة الإسلامية بتقريبها للعقول والأفهام.
- تأخذ أمثال الحديث في بعض الأحيان طابع القصة في عرض الجزئيات وتفصيل صفاتها، وذلك خلاف المألوف عند العرب من تكثيف المثل وعرضه في أقل عدد من الكلمات.
- نحت الأمثال في الحديث النبوي الشريف نحواً فريداً متميزاً، فأبرزت المعقول في صورة المحسوس، وأوضحت المبهم، وفصلت المجمل، فالرسول ﷺ حين يريد توضيح قضية تغمض على بعض الناس، يشرحها بمثل معروف لهم، ليظهر الخفي في صورة الجلي، والغائب في صورة الشاهد ويجعل المتخيل في صورة المتحقق، ومن فضل الأمثال على المعاني أنها تكسبها روعة وتستميل القلوب إليها.
- العناصر الإشارية الشخصية داخل حطاب الأمثال النبوية كشفت البعد التبليغي بارتباط الضمائر فيه مع السياق الكلامي، حيث أحالت على طرفي التخاطب حسب موضع "المتكلم" و "السامع" فكل منهما هو محدد المرجع ومطابق للواقع باعتبار شرط الصدق، وبالتالي تحققت العلاقة الوجودية بين العلامة الإشارية وما دلت عليه.
- أما الزمان والمكان فأغلب دورهما في مشاهد القيامة وإبراز أحداث اليوم الآخر وتجلية مواقفه، ويمثل المكان الوعاء الذي يحمل الأحداث.
- الاستعانة بالإحالة المقامية ك تقنية لغوية ساهم في إفهام المرسل إليه وتسهيل عملية الإقناع.

- إن ما يطرحه الدرس اللغوي الحديث من مقاربات حجاجية لتجد أثرها المباشر في كل ما ورد عن النبي ﷺ ، والفرق الوحيد هو عملية التنظير والتقعيد.
- لقد تفرد الحديث النبوي -بصفة عامة- وخطاب الأمثال بصفة خاصة في إقناعه كل المتلقين، وذلك باتساعه لكل الأدوات المعرفية والمنهجية مهما كان مصدرها، ومنها: المقاربة الحجاجية، لكونه خطابا يتسم بسمتين: التفاعلية والتواصلية.
- تميزت آليات الإقناع في الحديث النبوي بالتنوع والتعدد، أما النوع ففرضته طبيعة المتلقين، وأما التعدد فأملته صفة النبوة التي اتسم بها سيد الخلق أجمعين.
- في الفكر اليوناني القديم وعند "أرسطو" تحديدا الحجاج يعد تابعا للبرهان من جهة وللخطابة من جهة أخرى، ويرتبط بالخطابة باعتباره المسار المنطقي الذي يؤسس للحجاج.
- ارتبط الحجاج في التراث العربي بالجدل، وظهر مرادفا له، وتجلت مبادئ الحجاج في الدرس العربي البلاغي، إذ اهتمت البلاغة بإستراتيجية التأثير والإقناع، وتوفرت على جانب تداول هام مرتبط بنظرية الحجاج وسبق معرفي إلى بعض الإشارات التي تعد اليوم محور الدرس اللساني والبلاغي الغربيين، حيث تناولت أهم الوسائل اللغوية وغير اللغوية المؤدية إلى الاستمالة والتأثير والإقناع.
- كما رصد البحث أهم الاتجاهات التي ساهمت في وضع نظرية حديثة للحجاج عند الغرب أولها البلاغة أو الخطابة الجديدة " لبيرلمان وتيتيكا" إذ حاولا إضفاء بعد عقلي على الحجاج، فهو عندهما حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين الأطراف المتحاوره.
- ونظرية أفعال الكلام "لأوستين وسيرل" التي اهتمت بالبعد التداولي للحجاج، حيث يعد الحجاج آلية حوارية تداولية تنظيمية، تخضع فيه الحجج لنشاط الأفعال اللغوية المتنوعة.
- تم نظرية الحجاج في اللغة ل "ديكرو" فالحجاج عنده قائم في جوهر اللغة نفسها بصرف النظر عن استخدامها، فكل قول مهما كانت الغاية منه والدافع إليه، فهو قول حجاجي.

- وتعلق الحجاج عند "مايير" بنظرية المساءلة فاستغل الحجاج باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف يحمل المتلقي على اتخاذ إزاء مشكل معروض في سياق تخاطبي.
- والحجاج عند "تولمين" هو حجاج منطقي يحاكي في بنائه الممارسة القانونية كممارسة عقلانية ثابتة.
- يحمل خطاب الأمثال في مجمله طابعا حجاجيا خالصا، يريد المتكلم من خلاله التأثير في المخاطب وإقناعه، وقد تعددت الآليات الحجاجية في نصوص الأمثال بين ما هو لغوي مثل: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، وبين ما هو بلاغي كالكناية والمجاز والاستعارة والتشبيه والمحسنات البديعية، وكان لهذه الآليات وقع فعال في عقل وقلب المتلقي، فهو يتفاعل باستمرار مع كل حجة.
- دور الروابط الحجاجية في الأمثال واضح وجلي، فقد عملت على الربط بين محتويات الرسالة، وخلقت انسجاما نصيا حجاجيا.
- لجأ خطاب الأمثال إلى النزعة التكرارية، لأن التكرار المعنوي أو اللفظي يساهم في توكيد الفكرة وإبلاغها وتقريرها في ذهن المتلقي، ولأن له وقع وأثر بليغ تنقاد له النفوس انقيادا، وهذا غاية ما يطمح إليه الرسول ﷺ.
- لجوء المتكلم إلى توظيف الأساليب الإنشائية فتح له مجالا كبيرا لتبليغ أفكاره وأتاح للمتلقي التأمل فيها، ما ساعده على بناء الخطاب حجاجيا.
- الحجاج على مستوى البلاغة هو جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة وهي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع غايته الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل.
- توظيف الصور البيانية كشف قدرة المتكلم الفائقة وخدمة غايته ومقصده، لما لها من بعد تأثيري داخل الخطاب يصل به المتكلم إلى عقل المتلقي.
- تكمن حجية الاستعارة في جعلها المخاطب أسير هذه الصورة، من خلال ربط المجاز بالواقع.
- توظيف التشبيه شحن الأقوال بطاقة حجاجية تأثيرية إقناعية قربت المعاني للقارئ ووضحتها.

- للصورة الكنائية دور حجاجي إقناعي كبير لأنها تتخطى الدلالة المباشرة إلى الدلالة الضمنية.
- أضفى جانب البديع جمالا وتأثيرا حجاجيا، حيث أتاح كل من الطباق والمقابلة فرصة الاختيار والمقارنة.
- نظرا لأن الرسول ﷺ يتوجه إلى مخاطب مميز ومتنوع المشارب، كان لا يكفي الاعتماد على وسائل الإقناع اللغوية والبلاغية، بل استخدم الأقيسة المنطقية بمختلف أنواعها لأنها وسيلة ناجحة لتحقيق الفائدة الإقناعية كونها توحى بنوع من الاطمئنان في النتائج لسلوكلها طريقة منطقية في التقديم والاستنتاج.
- توصل "أوستين" إلى أن اللغة تؤثر في السامع ومهمتها لا تنتهي عند الإخبار والوصف، لكنها تتعداهما إلى إنجاز الأفعال، فالمتكلم بمجرد تلفظه بكلمة أنجز عملا أو فعلا.
- في الأخير أنه إلى أن خطاب الأمثال يعد مادة دسمة للدراسات التداولية لما يحتويه من قضايا لغوية وسياقية، وغناه بجوانب مهمة من الدرس التداولي فقد تنوعت فيه الأفعال الكلامية بمختلف أنواعها، ويزخر باللغة الحجاجية، إذ نلمس في معظم عباراته بعدا حجاجيا، يحاول المتكلم من خلاله إقناع السامع، وبذلك فإن الآليات التداولية تسمح بالولوج في مضامين النصوص التراثية لاستنكاه خباياها ومعرفة أسرارها.
- وأن البحث في الخطاب النبوي وتداوليته لا زال يحتاج إلى الكثير من الدراسات، وهذه الدراسة التي قدمتها ما هي إلى قطرة من بحر ولعلها تكون بداية لبحوث أخرى في هذا الجانب.

والله أسأل أن يتقبل مني صالح العمل

وأن يجنبني الزلل، وألا يحرمني أجره، وأن يعلمني

ما ينفعني وينفعني بما علمني،

إنه سميع قريب مجيب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم

المراجع

المراجع بالعربية:

1. ابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، تح: عبد القادر شيبية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، ط1، 2001م.
2. ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1961
3. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت لبنان، د ط، د ت.
4. ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، د.ط، د.ت.
5. ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، صححه: بدر الدين النساني، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1327هـ.
6. ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، تح: سعيد محمد عمر الحطاب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، 1981م
7. ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، اختصره: أحمد بن شعبان، و محمد بن عبادي، مكتبة الصفا، ميدان الأزهر، مصر، ط1.
8. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: عبد الله علي الكبير و آخرون، د ط، د ت.
9. ابن يعيش، شرح المفصل، تح: أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوقيفية، القاهرة، د.ط، د.ت.
10. أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، تحقيق: عبد السلام محمود هارون، دار الفكر، دط، 1979م
11. أبو الحسن اسحاق بن وهب، البرهان في وجود البيان، تح: حقي محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، مصر، د.ط، د.ت

12. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، الوسيط في الأمثال، تحقيق: عفيف محمد بن عبد الرحمن، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، 1975م.
13. أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد الوسوي (الشريف الرضي) ، المجازات النبوية، تح مروان العطية ومحمد رضوان الداية، مؤسسة فؤاد للتجليد ، بيروت ، د.ط، 1987.
14. أبو السعود بن محمد العماري الحنفي، تفسير ابن السعود، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة ، د ط، د ت.
15. أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني(ت518) ، مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع و النشر، الأسيطانة ، د.ط ، د.ت.
16. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، اعتنى بها وضبط نصها : أحمد جاد، دار البصائر، الجزائر، د.ط، د.ت.
17. أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب و السنة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، الفجالة، القاهرة ، دط، دت.
18. أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصفهاني ، كتاب الأمثال في الحديث النبوي، تح عبد العلي عبد المجيد، دار السلفية، بومباي، الهند، ط₁، 1982.
19. أبي بكر محمد بن عبد الله (المعروف بابن العربي)، عارضة الأحوزي بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط₁، 1997م.
20. أبي عبيد القاسم بن سلام ، كتاب لأمثال ، تح: د عبد المجيد قطامش، دار المامون للتراث، دمشق، ط₁، 1980.
21. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط₁، 2010م.
22. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ط، د.ت.
23. أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، ط₁، 1989م.
24. أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1996م.
25. الأزهر الزناد ، نسيج النص، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان، ط₁، 1993م.

26. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، عون الباري لحل أدلة البخاري، دار الرشيد، حلب، سوريا، د.ط، د.ت.
27. الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، بيروت لبنان، د ط، 1968م.
28. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
29. الرامهرمزي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ، كتاب الأمثال في الحديث، تحقيق: عبد العلي بن عبد الحميد الأعظمي، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط1، أكتوبر1983م.
30. الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث ، د ط، 2006م.
31. الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود عمر ، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
32. الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود عمر ، الكشاف، تح : عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان الرياض ، ط1، 1998م.
33. السكاكي أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تح، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.
34. السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008م.
35. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1999م.
36. الطبري محمد ابن جرير ، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ط1، 1994م.
37. الطوسي محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد القصير، الطبعة العلمية، النجف الأشرف، د ط، 1957م.

38. الفخر الرازي، تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ، دار الفكر بيروت لبنان ، ط1 ، 1981م.
39. الفيروز آبادي مجد الدين محمد يعقوب ، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م.
40. المرادي الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح : فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
41. النووي أبو زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1994م.
42. بدر الدين العيني (أبو محمد محمود بن أحمد ت 155هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود بن محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
43. بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي و النقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012م.
44. بوقرة نعمان، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2009م.
45. تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.
46. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م.
47. تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م.
48. حافظ اسماعيلي العلوي، التداوليات، علم استعمال اللغة، منشورات عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط1، 2011م.
49. حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي، الطبعة النموذجية، القاهرة، 1949م.

50. حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون بيروت لبنان ، ط1، 1997م.
51. حسين رفعت حسان، الموقعية في النحو العربي، دراسة سياقية، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2005م.
52. حسين عبد الجليل يوسف، إعراب الأربعة حديثا النووية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2008م.
53. حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج للنشر، ط1، 1999م.
54. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العظمة، الجزائر، ط1، 2009م.
55. خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص و السياق، عالم الكتب الحديث ، أريد الأردن، ط1، 2008م.
56. رابح دوب، البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار فجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1999م.
57. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، ط1، أريد الأردن، 2007م.
58. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د ط، 1988م.
59. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تح : محمد عبد السلام هارون وآخرون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
60. صابر الحباشة، الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، الدار المتوسطة للنشر، تونس، بيروت، ط1، 2010م.
61. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مراحل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م.

62. صابر حسن محمد أبو سليمان، غاية البيان في أمثال القرآن، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع، الرياض، ط1، 2001م.
63. صباح عبيد دراز، السيمات البلاغية في بيان النبوة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2014م.
64. صحراوي مسعود، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.
65. صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992م.
66. طه السباعوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
67. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.
68. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، د.ط، 1997م.
69. طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د.ط، د.ت.
70. عباس محمود العقاد، عبقرية محمد ﷺ، دار الكتاب العربي، ط1، 1971 م.
71. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، 1966م.
72. عبد الحميد حسن، الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، 1949م.
73. عبد الجليل الشعراوي ، آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إربد، بيروت، ط1، 2006م.
74. عبد الغفار حامد هلال، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم والسنة النبوية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، 2014م.
75. عبد الرحمن النجلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ط1، 1979م.
76. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجج افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012م.
77. عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م.

78. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاك، دار المدني، جده، (د.ط.)، (د.ت).
79. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط5، 2004م.
80. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ط1، 2001م.
81. عبد الهادي عبد المهدي، طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ، دار الاعتصام، د ط، 1978م.
82. عبد الطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الإختلاف، الرباط، ط1، 2013م.
83. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
84. علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 1996م.
85. علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزغبى، المعجم الوافي في النحو العربي، دار الجيل، بيروت، ودار الآفاق الجديدة، المغرب، د.ت.
86. عيد بلبع، نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، كلية الآداب، جامعة المنوفية، كلية التربية للبنات، جامعة طيبة المدينة المنورة، 2008م.
87. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار السلاطين، الأردن، عمان، ط1، 2010م.
88. فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: صمادي حمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والعلوم الانسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس.
89. قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه لبني اسرائيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012م.
90. قيس اسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد، د.ط، 1988م.

91. كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1984م
92. محمد أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، مكتبة الرشيد، 2007م.
93. محمد أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2002م.
94. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير دار سحنون، تونس، د.ط، 1997م.
95. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطاب العربية، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م.
96. محمد العبد، النص في الخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعية، القاهرة، ط1، 2008م.
97. محمد بن عمر بازمول، المطالع والأصول في فهم أحاديث الرسول، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، الصنوبر البحري، المحمدية، الجزائر، ط1، 2017م.
98. محمد جابر فياض العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية ، د.ط.
99. محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2006م.
100. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م.
101. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار النشر للثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط6، د.ت.
102. محمد عبد العزيز الخولي، الأدب النبوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
103. محمد علي السراج، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، مراجعة وتنسيق: خير الدين شميبي باشا، دار الفكر، د.ط، د.ت.

104. محمد مفتاح، الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، دار التنوير، بيروت، د.ط،

د.ت

105. محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم، دار المعرفة

الجامعية، الكويت، د.ط، 2011م.

106. محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، بين المذاهب الغربية

الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1996م.

107. مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالاته "محاور الإحالة الكلامية"، طبعة وزارة الثقافة،

دمشق، 1998م.

108. مصطفى صادق الرافعي، وحي العلم، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

109. ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار

البيضاء، المغرب، ط3، 2002م.

110. نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، تونس،

د.ط، 2009م.

111. يحي بن عبد الله المعلمي، الأمثال الشواهد في الحديث الشريف، دار المعلمي للنشر،

الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1994م.

112. هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي و أنواعه و خصائصه، منشورات الاختلاف،

الجزائر، ط3، 2013م.

المراجع المترجمة:

113. أرسطو طاليس، كتاب الخطابة، تر: إبراهيم سلامة، مكتبة الانجلو المصرية، مصر،

ط2.

114. الجيلالي دولاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر.

115. آن روجول وچاك مشلير، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003م.
116. جاك موشلر، آن ريول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجدوب، منشورات دار بسياترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010م.
117. جليان براون، وجورج يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، دط، 1997م.
118. جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م.
119. جوليا كرسيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، سلسلة المعرفة الادبية ط1، 1991م.
120. فرانسواز آرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش مركز الإهداء القومي، د.ط، د.ت.
121. روبر دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م
122. فان دايك، النص والسياق، استقصاء الحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، د.ط، 2000م.
123. هنرش بلث، البلاغة نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، د.ط، 1999م.
124. Nathalie garric et Frédéric calas , « Introduction à la pragmatique », hachette, 2007
125. J.Dubois, dictionnaire de linguistique, Larousse, 2002

المجلات العلمية:

126. أبو بكر العزاوي، البنية الحجاجية للخطاب القرآني، سورة الأعلى نموذجاً، (مجلة المشكاة) العدد19، وحدة 1994م.
127. الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية، مجلة اللغة العربية، جامعة الجزائر، العدد07.

128. أم كلثوم حويشي، مرداسي جودي ، تجليات الدلالة الايحائية في الامثال القصصية في القرآن الكريم ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، العدد 5 ، 2018م.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/68352>
129. أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 1-2، 2010م.
130. أوشن دلال، حياوي فطومة، تداولية الاستعارة الحجاجية لنص الرثاء، مرثية متمم بن نويرة أنموذجا، مجلة المخبر، (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد 05، مارس 2009م.
131. باديس الهويمل، التداولية و البلاغة، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 07، 2011م.
132. بودليمي صلاح الدين، الأبعاد الحجاجية لمعجم الكلمات و الألفاظ القرآنية ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 4، العدد 3 ، 2020، ص 120.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/117181>
133. بهية بنت محمد بن عمر، بعض الدلالات التربوية في الأمثال النبوية من خلال كتاب الحديث للرامهرمزي. بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية و المقارنة.
134. بودليمي صلاح الدين ، الأبعاد الحجاجية لمعجم الكلمات و الألفاظ القرآنية ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 4، العدد 3 ، 2020م.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/117181>
135. جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني- ضرورة ملحة- "مداخلة قدمها في المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
136. حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، مجلة عالم الفكر، العدد 1، يوليو-سبتمبر، 2001م.

137. حمادي مصطفى، تداولية الاشارات في الخطاب القراني، مجلة الأثر، العدد 26، سبتمبر 2016م.
138. ذكور نزيهة ، غليوس صالح ، قضايا التداولية في التراث العربي ، أفعال الكلام أنموذجا ، مجلة العمدة العدد 5 ، 2018م.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/68358>
139. سليمة محفوظي، الحجاج في رسائل الجاحظ، دراسة تداولية حجاجية، مذكرة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة1، 2017/2016م.
140. صابر عبد الدايم، من أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد1، العدد3، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، 1994م.
141. طالب هاشم طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، 1999/1998، مركز الإنماء القومي، لبنان.
142. عباس إقبالي ، أساليب الاقناع في الحديث النبوي ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 4، العدد 1 2020م.
143. عفاف بورزق ، حجاجية حجاجية المنجز الكلامي في لامية الامير عبد القادر ، مجلة حوليات الآداب واللغات، المجلد5 ، العدد 12، 2018م.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/100644>
144. عمار زيوش، عدناني عبد القادر، الفلسفة، المعهد التربوي الوطني، العدد2.
145. لنده قياس، تداولية الإشارات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي، مجلة أبوليوس، المجلد5، العدد09، جوان، 2018م.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/108045>
146. محمد آدم عثمان حامد، الأمثال النبوية في الصحيحين (دراسة تحليلية للظواهر النحوية والصرفية والدلالية)، رسالة دكتوراه، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، جامعة المدنية العالمية، ماليزيا، سنة 2015م.

147. محمد يزيد سالم ، عبد السلام عاين ، حاجية الاستعارة عند عبد القادر الجرجاني ،
مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد 4 ، 2018م.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/66015>

148. مروان بن عبد الله بن محمد المحمدي، الأمثال في الكتب الستة وموطأ الإمام مالك،
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: عويد بن عباد المطرفي، جامعة أم القرى،
كلية الدعوى وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

149. مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيوييه، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 33،
سبتمبر 2001م.

الموقع الإلكتروني:

.150 .<https://www.asjp.cerist.dz>

الفهرس

أمقدمة
01 الفصل التمهيدي: التداولية، الخطاب و المدونة
02 I- التداولية المفهوم و المصطلح
03 I-1- التداولية في اللغة
05 I-2- مفهوم التداولية إصطلاحا
08 I-3- كيف ظهرت التداولية و ما هي اتجاهاتها؟
09 I-3-1- تداولية الدرجة الأولى
10 I-3-2- تداولية الدرجة الثانية
10 I-3-3- تداولية الدرجة الثالثة
11 II- مفهوم النص و الخطاب
11 II-1- مفهوم النص
11 II-1-1- النص في المعجم
12 II-1-2- النص في الدراسات اللغوية الحديثة
15 II-2- مفهوم الخطاب
15 II-2-1- في المعاجم العربية
16 II-2-2- الخطاب في القرآن
17 II-2-3- الخطاب في الدراسات اللغوية الحديثة
18 II-3- الفرق بين النص و الخطاب
21 III- المدونة (صحيح البخاري)
22 III-1- التعريف بالمدونة
23 III-2- سبب اختيار المدونة

24 الفصل الأول: المثل و ما يتعلق به
25 I- مفهوم المثل
25 I-1- المثل في كتب اللغة و المعاجم
26 I-2- المثل إصطلاحا
27 I-2-1- الإصطلاح الأدبي للمثل
28 I-2-2- المثل عند البلاغيين
29 I-2-3- المثل عند علماء القرآن و المفسرين
31 II- ضرب المثل
34 III- أنواع الأمثال
34 III-1- المثل الموجز السائر
35 III-2- أمثال التمثيل القياسية
37 IV- أغراض ضرب المثل في الحديث
40 V- دلالة التمثيل النبوي على الحكم الشرعي
41 VI- الكتب المؤلفة في أمثال الرسول
55 VII- نصوص الأمثال النبوية في صحيح البخاري
55 VII-1- نصوص الأمثال المرسلة في صحيح البخاري
75 VII-2- نصوص الأمثال القياسية في صحيح البخاري
88 الفصل الثاني: السياق والإشارات في المثل النبوي
89 I- الإشارات : المصطلح والمفهوم
89 I-1- تعريف الإشارات
90 I-2- تعريف الإحالة
95 I-3- علاقة الإشارات بالإحالة:
98 I-4- أنواع الإشارات
113 II - السياق في الأمثال النبوية

114II-1- المرسل.
115 II-2- الرسالة
117 II-3- المرسل إليه
118 III - الاشارات في المثل النبوي
118 III-1- الاشارات الشخصية
164 III-2- الاشارات المكانية
170 III-3- الاشارات الزمانية
175 الفصل الثالث: حجاجية المثل النبوي في صحيح البخاري.
176 I- الحجاج :المفهوم والمصطلح.
176 I-1- مفهوم الحجاج : لغة و اصطلاحا
178 I-2- الحجاج في الثقافة الغربية
196 I-3- الحجاج في الثقافة العربية
204 I-4- أنواع الخطاب الحجاجي.
209 II - الآليات الحجاجية في أمثال صحيح البخاري.
209 II-1- الآليات البلاغية الحجاجية في أمثال صحيح البخاري.
243 II-2- الآليات الحجاجية المنطقية في أمثال صحيح البخاري.
248 II-3- الآليات الحجاجية اللغوية و التداولية في أمثال صحيح البخاري.
277 خاتمة
283 قائمة المراجع
296 الفهرس

الملخص:

تناولت هذه الدراسة: الأمثال النبوية في صحيح البخاري (دراسة تداولية)، ومادتها أحاديث رسول الله ﷺ التي عدها العلماء من قبيل المثل، التي وردت في صحيح البخاري وهي نوعان: النوع الأول: (أحاديث موجزة) جرت مجرى المثل السائر، وأما النوع الثاني فهي أحاديث التمثيل القياسية، حيث جاءت الدراسة رغبة في الإسهام بدراسة نصوص الأمثال النبوية لما لها من أهمية بالغة في مجال الدرس اللغوي التداولي، فتناولت الدراسة الإشارات في نصوص الأمثال وتنوعت بين ضمائر الحضور والغياب كما تنوعت إحالاتها بين قبلية وبعدية وداخلية وخارجية، كما تناولت آليات الحجاج في الأمثال النبوية فتنوعت بين الآليات البلاغية كالمجاز والاستعارة والكناية والبديع، والآليات اللغوية كالتكرار، والآليات المنطقية كالقياس، ووقفت الدراسة في الأخير على تصنيف الأمثال النبوية وفق تصنيف كل من: سورل و أوستين لأفعال اللغة.

Abstract :

This study devait with the prophetic proverbs of Boukhari summary (a deliberative study),the subject of which is God Messenger's talk. This was prepared by the scholars, through the Bukhari Summary, on two types. The first type of (briefs propheties talks) took place in the course of the same proverbs. Whereas, the second one. is the standard representatives talks, where the study was conducted in order to contribute to the study of prophetic proverbs texts, because of their importance in the area of deliberative Language. Indeed, the study looked at references to proverbs and varied between presence and absence, internal and external pronouns. As well as the pilgrims mechanisms in prophetic proverbs, ranging from rheorical mechanisms, such as : metaphore, exaltation, borrow, euphemisme and Language mechanisms, such as : repetition and logical mechanisms as :measurement. The study finally approved the classification of prophetic proverbs according to Sorl and Ostin's classification using in acts of Language

Résumé :

La présente étude porte sur les proverbes prophétiques cités dans le sommaire d'El-Boukhari (étude délibératives),dont la substance est les paroles prophétiques sélectionnées par les linguistes du domaine. Celles-ci comportent deux types ,le premier type sont (les paroles prophétiques courtes) élaborées suivant le style adopté. Tandis que, le second type, est un ensemble de paroles de représentations standard, sachant que, cette étude est proposée en vue de contribuer à l'analyse des textes liées aux proverbes prophétiques, qui sont d'une importance majeure dans le domaine du langage deliberatif. En outre, l'étude a examiné les références dans les textes liés aux styles linguistiques, et leur variété entre : les pronoms de présence et d'absence, leur transmission qui variait également entre être antérieures ou postérieures, internes ou externes. Comme, elle a abordé les mécanismes adopté par les pèlerins à travers les proverbes prophétiques, variés entre les mécanismes rhétoriques, tels que : la métaphore, le sens figuré, l'emprunt, à cote des mécanismes linguistiques tels que : l'évaluation. En résumé, la présente étude est parvenue à classer les prophétiques, selon la classification de Sorl et Ostin pour ce qui est des actes de la langue .